

اختبار البطة

دراسات نقدية في فكر وممارسة
محمود محمد طه والجمهوريين

عادل عبد العاطي

أكتوبر ٢٠٢١

حقوق الملكية الفكرية

بعض الحقوق محفوظة

هذا الكتاب متاح على رخصة المشاع الإبداعي



نسب المصنف - منع الاشتقاق

CC BY-ND

جدول المحتويات

٠	حقوق الملكية الفكرية
٠	إهداء
١	شكر وتقدير
٢	تمهيد
٥	مقدمة القراء
٥	بقلم المستشار أبو بكر القاضي
٦	(١) إشكالية (عدم مرحلة الحدود والقصاص):.....
٨	(٢) البعد التكفيري في الفكرة الجمهورية:.....
٩	(٣) إنصاف لبعض الجمهوريين المعاصرين:.....
٩	(٤) (الأصالة): القشة التي قصمت ظهر الأستاذ محمود وفكرته الجمهورية!!.....
١٢	٥- المسيح:.....
١٣	٦- إختبار البطة ؟.....
١٤	٧- هل انتحر الأستاذ محمود؟ ام نحره تلاميذه؟.....
١	الفصل الأول - الكتابات الأولى.....
٢	تأملات في أفق المعرفة والشهادة
٢	حول حياة واستشهاد محمود محمد طه
٢	مقدمة:.....
٤	في أفق المعرفة.....
٤	نظرة في فكر محمود الفلسفي:.....
٧	في أفق الشهادة.....
٧	او الابتسام في مواجهة الموت:.....
.	

حركة الإخوان الجمهوريين تحت منظار النقد
والتاريخ ١٩٤٥-١٩٨٥ ١٤

- ١٤..... مقدمة:
١٥..... نبذة عن المؤسس:
١٥..... الاستاذ الشهيد محمود محمد طه:
٢١..... الحركة الجمهورية: البدايات والنمو والتطور:
من الحزب الى الجماعة: جدل الدينى والسياسى فى تطور الحركة
الجمهورية:
٢٥.....
٣٠..... الإخوان الجمهوريين: فى دلالات الإسم:
٣٢..... من هم الإخوان الجمهوريين؟ محاولة للتشريح الاجتماعى:
الحركة الجمهورية اشكال النشاط والدعوة- الطابع السلمى
والاتصال الفردى:
٣٥.....

طريق العارف ومسؤولية المثقف - نظرية المعرفة
عند الجمهوريين ٤١

- ٤١..... نظرية المعرفة عند الجمهوريين:
٤٣..... وسيلة المعرفة هي الله:
٤٥..... المعرفة الحدسية والمنهج العلمى:

حول الفتى الفائت، العائش المائت - متوكل
مصطفى الحسين ٤٨
محسن خالد ومحمود محمد طه: إبداع عرفاني فى
مركز دائرة الوجود (السودان) ٥١

- ٥٢..... مقدمة:
٥٣..... دور السودان المركزى عند محسن ومحمود:
٥٧..... الجذور الفكرية لدعوات محسن ومحمود:

لماذا وقفت مع محسن خالد ضد خصومه؟ ٥٩

الفصل الثاني ٦١

التكفير وتطبيق الحدود عند الجمهوريين ٦١

محمود محمد طه والدعوة لتطبيق الحدود ٦٢

مقدمة: ٦٢

تطبيق الحدود في الادبيات المبكرة للجمهوريين: ٦٢

تطبيق الحدود في كتيب الديباجة: ٦٥

الخلط بين الحدود والدستور: ٦٧

محمود محمد طه والجمهوريون وتكفير المجتمع

والجميع ٧٠

مقدمة: ٧٠

المجتمع في نظر محمود محمد طه جاهلي: ٧٠

المسلمون اليوم ليسوا على شيء: ٧٢

المسيحيون واليهود كفار في نظر الجمهوريين: ٧٤

الاديان الأخرى ليست ديناً: ٧٥

شر الختام: الجمهورية هي الإسلام وهي الدين: ٧٧

بعض الملاحظات النقدية حول تكفيرية

الجمهوريين ٨٠

مقدمة: ٨٠

تناقض تكفيرية الجمهوريين مع تسامح الصوفية: ٨٠

هل التسامح الديني ينفي ايمان المرء بدينه أو مذهبه؟! ٨٢

الإسلام ووحدة الديانات: ٨٣

ضرورة التسامح الديني وافكار بعض الجمهوريين

المعاصرين: ٨٤

- ٨٥.....: الجذور الفكرية لتكفيرية الجمهوريين:
- ٨٧..... هل الفكرة الجمهورية دين جديد؟
- الفصل الثالث - المرايا المكبرة: صورة محمود محمد طه عن نفسه وصورة الجمهوريين عنه ٨٩

٩٠ محمود محمد طه: نبي أم رسول؟

- ٩٠..... مقدمة:
- ٩٠..... محمود محمد طه: نبي أم رسول:
- ٩٣..... ترك التقليد والصلاة الفردية والأصالة:
- ٩٥..... محمود والشك في أصالته:

٩٩ الاصلة / الأصيل الواحد / صلاة الأصلة

- ٩٩..... محمود أصيلا حسب كلماته:
- ١٠٠..... حق الجميع في الأصلة والعبادة الفردية:
- ١٠٣..... أصالة الاستاذ محيسي وظهور فكرة الأصيل الواحد:
- فكرة الأصيل الواحد تنسف كل تنظير محمود عن الفردية والأصلة:
- ١٠٥..... صلاة الأصلة وردود الجمهوريين:
- ١٠٧.....

١١١ الإنسان الكامل والوهية محمود محمد طه

- ١١١..... مقدمة:
- ١١١..... في تاريخ فكرة الإنسان الكامل:
- ١١٣..... معنى (الإنسان الكامل) في التصوف الإسلامي:
- ١١٥..... الإنسان الكامل عند محمود محمد طه:
- ١١٧..... الأصيل الواحد والإنسان الكامل والوهية محمود محمد طه:
- ١١٩..... جبن الجمهوريين وتشوه المرأة والتجارب التاريخية:

حول المسيح المحمدي ونزوله في السودان في القرن العشرين

- مقدمة: ١٢١
دور المسيح في الطائفة الجمهورية: ١٢١
المسيح قد صلب ولم يرفع: ١٢٢
هل المسيح هو الله عند الجمهوريين؟! ١٢٤
عودة المسيح المحمدي في السودان: ١٢٧
رسالة المسيح المحمدي هي الرسالة الثانية من الإسلام: ١٣٠

اختبار البطة: الإله المجدد والرجل السوداني المحدد

- اختبار البطة: ١٣٣
المسيح المحمدي هو الله مجسدا وهو لا يموت: ١٣٤
هل مات محمود ام هناك شك في موته كما يظن بعض
الجمهوريين؟! ١٣٦
أسطورة الطبيب وقصة الوصية: ١٣٧
موت محمود والحيرة والشك والبلبلية: ١٣٩
إله مجسد أم رجل محدود محدد؟! ١٤٢
الفصل الرابع ١٤٤
في نقد الممارسة السياسية للجمهوريين ١٤٤

الطائفة الجمهورية وتزييف التاريخ السياسي ١٤٥

- مقدمة: ١٤٥
بدايات النشاط السياسي / تأسيس الحزب الجمهوري: ١٤٥
هل تفرد الحزب الجمهوري بالمطالبة بالحكم الجمهوري
والاستقلال?: ١٤٧

هل كان محمود محمد طه أول سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية؟!.....	١٥١
الحزب الجمهوري: الإسلام وعروبية في أقصى تجلياتها.....	١٥٥
مقدمة:.....	١٥٥
الحزب الجمهوري منذ البدء حزب للإسلام السياسي:.....	١٥٥
دستور الجمهوريين المقترح للسودان هو دستور إسلامي:.....	١٥٧
الحزب الجمهوري حزب عروبي:.....	١٦١
الحزب الجمهوري وغياب مفهوم المواطنة:.....	١٦٤

دعم الدكتاتور المصلح في انتظار حكم "الرجل"

١٦٦

مقدمة:.....	١٦٦
الدكتاتور المصلح والخطاب لمحمد نجيب:.....	١٦٦
الحزب الجمهوري والخطاب لعبد الناصر:.....	١٦٨
مفهوم الوصاية وجذور مواقف الجمهوريين الفكرية:.....	١٧٠
الوصي الاخير / الرجل / المسيح المحمدي:.....	١٧٢

من الدعم السلبي للدعم الإيجابي للدكتاتوريات

١٧٥

مقدمة:.....	١٧٥
الجمهوريون بعد الاستقلال والموقف من نظام عبود:.....	١٧٥
الجمهوريون وفترة ما بعد اكتوبر:.....	١٧٨
مايو ودعم الدكتاتورية الإيجابي:.....	١٨٠
الصدام مع مايو والموقف من نظام الإنقاذ:.....	١٨٣
لا مبدئية الجمهوريين وموقفهم اليوم:.....	١٨٤

الفصل الخامس ١٨٧

الجمهوريون والموقف الرجعي تجاه المرأة..... ١٨٧

الطائفة الجمهورية والخطاب المعادي للمرأة-

قضية الزي ١٨٩

مقدمة: ١٨٩

محدودية محمود: ١٨٩

قضية الزي كمعيار لعقل المرأة وخلقها: ١٩٠

قضية الزواج والأحوال الشخصية ١٩٣

مقدمة: ١٩٣

ولاية المرأة على نفسها: ١٩٣

قضية تعدد الزوجات: ١٩٤

الجمهوريون أبناء الفكر السلفي التقليدي: ١٩٦

هل مكان المرأة هو البيت؟! ١٩٨

مقدمة: ١٩٨

محل المرأة هو البيت عند الجمهوريين: ١٩٨

المجتمعات الراسمالية والاشتراكية ام المجتمع الاقطاعي

?: ٢٠٣

المرأة كجهاز استيلاد والذهول عن التغيير الاجتماعي: ٢٠٤

خاتمة: ٢٠٥

الفصل السادس ٢٠٧

كتابات متفرقة ٢٠٧

ما هذا العبث في كتاب مدرسي؟! ٢٠٩

مقدمة: ٢٠٩

بعض الأخطاء التاريخية في الكتاب: ٢٠٩

المركزية العرقية: ٢١٠

إنعدام الأمانة العلمية والركاكة الظاهرة: ٢١١

سرقة كتاب القرائ من الويكيبيديا دون الإشارة
للمصدر ٢١٦

بوست الفيسبوك الذي سرق منه كتاب القرائ
خطراته ٢١٩

هل سرقت الطائفة الجمهورية أفكارها من الديانة
البهائية؟! ٢٢٨

الفصل السابع ٢٣٢

مساجلات وردود ٢٣٢

خطوات في طريق الحقيقة - حوار مع الاستاذ عمر
القرائ ٢٣٤

مقدمة: ٢٣٤

تصحيح وتصويب: ٢٣٥

النقد ومنهج الجمهوريين: ٢٣٧

الجذر الصوفي والنشاط السياسي: ٢٤٠

الاضطراب عندي ام عند الجمهوريين؟ ٢٤٢

بؤس النقد اليساري؟ ٢٤٤

٢٤٦ رسالة الى صديقة جمهورية
العقل والعقلانية ومنهج الجمهوريين - ردي على
رد الدكتور قصي همور حول نظرية المعرفة عند
الجمهوريين ٢٥٠

نظرية المعرفة عند الصوفية والجمهوريين: ٢٥٠

تفسير محمود محمد طه للقرآن: ٢٥٢

- ٢٥٤..... محمود محمد طه والتحليلات العلمية والتنبؤات:
- ٢٥٥..... العلم اللدني ومصادر الفكر:
- ٢٥٧..... الفكر الحر واحترام العقل:
- ٢٥٨..... عن نيته وبرجسون وكيركغارد:

٢٦٠ بين امانتي وتزوير الجمهوريين

- ٢٦٠..... مقدمة:
- ٢٦٠..... السؤال الاول:
- ٢٦٦..... السؤال الثاني:
- ٢٦٨..... خاتمة:

إهداء

الى الباحثين/الباحثات عن الحقيقة،
في كل زمان ومكان.

شكر وتقدير

لا يسعني في بداية هذا الكتاب إلا ان أتقدم بالشكر والعرفان للتالية
أسماءهم:

الراحل المقيم متوكل مصطفى الحسين، على حواراته الليلية الطويلة
والصريحة معي حول الفكر الجمهوري، لروحه السمحة الخلود الأبدى،
المستشار أبو بكر القاضي، على كتاباته الملهمة في نقد الفكرة الجمهورية
وعلى تفضله بقراءة مخطوطة الكتاب وكتابة مقدمة القراء،
**الدكتور ياسر الشريف والأستاذ محمد عثمان أبو الريش والأستاذ عبد
الله عثمان والدكتور قصي همورر والأستاذ عمر هواري والدكتور حيدر
بدوي صادق**، على تكرمهم بنقاشي حول الفكرة الجمهورية لسنوات
دون ضيق أو تبرم في منبر سودانيز اون لاين،
باشمهندس مصطفى أبو قصيصة، على تفضله بمراجعة الكتاب لغوياً،
جميع القراء والقارئات، الذين تابعوا كتاباتي حول الفكرة الجمهورية
والجمهوريين وعلقوا عليها سلباً او ايجاباً وشجعوني على المواصلة.

لهم كلهم مني التقدير والمودة.

تمهيد

هذا الكتاب هو تجميع لمجموعة مقالات كتبتها عبر السنين حول محمود محمد طه والفكر الجمهوري والإخوان الجمهوريين. أول هذه المقالات كتبتها في عام ١٩٩٩، وكتبت آخرها في سبتمبر ٢٠٢١م. في هذه الفترة بين المقال الأول والأخير سالت مياه كثيرة تحت الجسر، وتحولت مشاعري تجاه الجمهوريين من الحذب والتعاطف المشروع في التسعينات، الى النقد الكامل بعد ذهاب البشير، ودخول الجمهوريين في سلطة البرهان-حمدوك الدموية، في تكرار لأكبر أخطائهم التاريخية في دعم الديكتاتوريات والديكتاتوريين.

يتكون الكتاب من سبعة فصول، الأول منها يحوي كتاباتي المبكرة عن محمود محمد طه والجمهوريين، وقد يلاحظ البعض أنني أصف محمودا بالأستاذ حينها. وقد نعي على البعض أنني لا أسميه بذلك الاسم في مقالتي الأخيرة. وأقول هنا أنني احذو حذو محمود، والذي لا يصف في كتابته عن رسول المسلمين الكريم محمد بن عبد الله مثلا، بأي وصف تبجيل، ولا يقدم على اسمه ولا يلحقه بأي لقب. فكان كيالي من نفس المكيال، ما دام ان الألقاب ليس لها معنى عند الجمهوريين.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لقضيتين خطيرتين، وهما قضية تكفير محمود محمد طه (والجمهوريون من بعده) للمجتمع السوداني، بل وكل المجتمعات الإنسانية، ثم دعوته لتطبيق الحدود بأكثر أشكالها وحشية، وهي دعوة تتناقض مع أي إصلاح ديني، كما تتناقض مع تطور البشرية وارتقاء القانون والحس الإنساني.

اما الفصل الثالث فقد كرسته للصورة التي رسمها محمود محمد طه لنفسه وصورته عند الجمهوريين، وقد أسميت سلسلة المقالات تلك بالمرايا المكبرة، حيث أزعم أن محمود ينظر لنفسه كما ينظر الجمهوريو

لشخصه عن طريق مرايا مكبرة، تنفي إنسانيته ومحدوديته، وتحوله الى إله أو شبه إله.

ويتطرق الفصل الرابع لنقد الممارسة السياسية للجمهوريين، وهي ممارسة عرجاء تدعم كل ديكتاتورية طالما سمحت لهم بالنشاط، في انتظار نزول المسيح ومجيء دولتهم. والمقالات تكشف رفض الجمهوريين للديمقراطية الليبرالية وآلياتها، ودعمهم المستدام للديكتاتوريات، وعدم اهتمامهم بحياة وعذابات الناس تحتها.

ويعرج الفصل الخامس لموقف الجمهوريين من المرأة وقضاياها، وهو موقف سلفي ورجعي بإمتياز، حيث يمارسون التمييز ضد النساء في قوانين الأحوال الشخصية كما يطالبون بأن تقبع المرأة في البيت، باعتباره مكانها الطبيعي، وينطلقون في ذلك من مناهج الفقه التقليدي التي ترى في المرأة أداة ولادة واستمتاع للرجل.

وفي الفصل السادس أنزلت بعض الكتابات المتفرقة، وخصوصا ما تعلق بممارسات الدكتور عمر القراي عند توليه موقع مدير المناهج السودانية، والفوضى والمحسوبية التي مارسها هناك، وخطر ذلك على الوحدة الوطنية وعلى التعليم والأمانة العلمية، في ظل دفاع الجمهوريين وعدد كبير من المخدوعين عنه.

أما الفصل السابع والأخير فقد وثقت فيه ردودي في بعض المساجلات والحوارات مع بعض الجمهوريين وغيرهم والذين ردوا على بعض كتاباتي ومقالاتي، وهي سجلات وردود تميز بعضها بشيء من الموضوعية، بينما كان بعضها الآخر ساذجاً، ينطلق من روح التبذير الفج لمواقف وأفكار لا يمكن تبريرها. ولم انزل كتابات الجمهوريين والمنافحين عنهم لأني لا أملك الحق الأدبي في نشرها، وإن كنت قد أشرت لمواضع نشرها على الشبكة العالمية، لمن يريد الرجوع إليها كاملة.

هناك أيضاً بعض المقالات التي كتبتها عن الجمهوريين أو في النقاش معهم بعد الفراغ من تحرير هذا الكتاب. سأحاول نشرها في مجلد ثانٍ مستقل أو سأقوم بإضافتها إلى أي طبعة لاحقة للكتاب. أتمنى أن يكون الكتاب مفيداً للقراء والباحثين، وأن يسهم في توسيع دوائر الفكر النقدي في السودان.

عادل عبد العاطي

٣٠ سبتمبر ٢٠٢١م

مقدمة القراء بقلم المستشار أبو بكر القاضي

يطيب لي، وبكل الحب ان أقدم للقراء الكرام كتاب: (إختبار البطة: - دراسات نقدية في فكر وممارسة محمود محمد طه والجمهوريين). ومؤلفه هو الناشط والكاتب والصحفي / عادل عبد العاطي، المهتم بقضايا التحول الديموقراطي والليبرالية، منذ شبابه المبكر.

والمطلع على هذا الكتاب سيلاحظ ان مؤلفه على وعي ومعرفة ممتازة بالفكرة الجمهورية من خلال مصادرها (الكتب / المحاضرات المسجلة/ الانشاد العرفاني.. الخ). وقد استعان المؤلف في نقده وتحليله للفكرة الجمهورية ومرشدها الأستاذ محمود والجمهوريين بهذه المصادر الاصلية للفكرة الجمهورية، وكذلك من خلال حواراته مع الجمهوريين منذ عام ١٩٩٩م. خلال هذه الفترة استطاع المؤلف ان يتحرر من عقدة الذنب التي أحس بها كل ناشط بسبب التقصير الذي يرقى إلى التفریط. وأعني بالتقصير انه كان ممكناً بجهد متواضع في تحريك الشارع، أن يضطر النميري إلى العفو عن الأستاذ محمود دون ان يذله بالإعتذار او الإستتابة.

أكثر من ذلك فقد طبق المؤلف أدبيات الفكرة الجمهورية علي الأستاذ محمود نفسه. أعني انه تسامي عن التقديس، ومارس التجريد، وصار يذكر اسم محمود حافاً، بدون ألقاب (أسوة بموقف الأستاذ محمود نفسه من النبي صلى الله عليه وسلم). وقد شرح المؤلف موقفه هذا بالقدر الكافي.

ويعينني ان المؤلف قد خلص إلى نتائج (مسببة تسببًا جيداً) في نقد الفكرة وهذا هو الشيء المهم. ولا غرابة، بل ولا عبرة إن لم ترض هذه الاستنتاجات بعض الجمهوريين. فمن البدهة ان الشخص ليس محايداً تجاه نفسه او من يحبه كالزوجة والأصول والفروع والأقارب حتى الدرجة الرابعة. لذلك فإن القاضي يتنحى من عند نفسه عن نظر أي دعوى يجد نفسه غير محايد فيها.

وفي النقد الفكري يحق للجمهوريين الرد والشرح والبيان والدفاع عن فكرتهم، بل هذا شيء مطلوب، مع ملاحظة ان شهادتهم مجروحة بحكم ارتباطهم العاطفي التاريخي بالفكرة التي وهبها حياتهم وسخروا لها كل امكاناتهم، رغم حدوث متغيرات جوهرية تستدعي المراجعة وإعادة النظر في الفكرة برمتها. والقاضي والحكم هو انت أيها القارئ الكريم. استفت قلبك وان افتاك الناس.

قبل ان أبدأ مهمتي في كتابة هذه المقدمة يلزمي التنويه الى أن مهمتي كما أريدها لنفسني هي تسليط الأضواء على الأفكار والرؤى التي طرحها المؤلف حول الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية، دون أن أقحم أفكاري الخاصة حول الفكرة بل ودون اي محاولة مني بإقناع القارئ بصحة الحجج والأسانيد التي طرحها المؤلف لتأييد وجهة نظره. فقد تكفل المؤلف نفسه بهذه المهمة. وانطلاقاً من هذه الخلفية أتوجه الى تسليط الاضواء على بعض موضوعات الكتاب:

(1) إشكالية (عدم مرحلية الحدود والقصاص):

أشار المؤلف لإشكالية (عدم مرحلية الحدود والقصاص)، وبالتالي عدم خضوعها لتطويع التشريع وفقاً لمنهج الفكرة الجمهورية. فتحت عنوان: (تطبيق الحدود في الأدبيات المبكرة للجمهوريين) يقول المؤلف:

(من خلال موقف الأستاذ محمود من قوانين سبتمبر والذي كلفه حياته، توهم بعض الناس أن موقفه كان مبدئياً ضد قوانين سبتمبر نفسها لكونها - من منظور مبادئ حقوق الإنسان (عقوبات وحشية). إلا أن الحقيقة غير ذلك، فقد كانت أدبيات الفكرة الجمهورية الواردة في كتبها الأساسية مؤيدة للحدود والقصاص، ولم يشملها التطوير ضمن أمور الرسالة الأولى المرحلية وفقاً لرؤية الفكرة الجمهورية حول الأصول والفروع، رغم أن سور آيات الحدود والقصاص (مدنية) مما يجعلها (آيات فروع) وبالتالي يشملها التطوير طبقاً لمنهج الفكرة الجمهورية.)

ويورد المؤلف حديث الأستاذ محمود عن الحدود الوارد في آخر كتاب ألفه وهو كتاب الديباجة، ليصف عقوبات الحدود بانها (وحشية)، وهذا الوصف مطابق لما تضمنه الإعلان العالمي لحقوق الانسان في هذا الخصوص، وهذا هو وصف المؤلف مقدوناً بالنص المقتطف المأخوذ من كتاب الديباجة، وهذا النص شارح عن نفسه في بيان (الوحشية):
(قد يقول قائل أن كل هذا كلام نظري لا يعبر عن موقف محمود، فلنقرأ إننا هذا النص الوحشي من نفس الكتاب والذي يتلذذ فيه محمود بوصف عقوبات الحدود الوحشية في خلاصة سلفية لا نزاع حولها، بل وتخلف حتى عن بعض السلفية الذين يرفضون حد الرجم الذي لا يوجد له أساس في القرآن، حيث يقول محمود: (من انتفع بصلاته امتنع عن الفحشاء، والمنكر.. ومن لم ينتفع تعرض للحدود.. وحد الزنا للمحصن الرجم بالحجارة على رأسه حتى يتهشم.. وللبيكر الجلد مائة جلدة.. الخ.)

وختم المؤلف هذه الجزئية من كتابة بسؤاله الإستنكارى:

(سؤالى هو: أين هو التجديد وما هو فرق محمود محمد طه والجمهوريين عن داعش وطلالبان؟)

(٢) البعد التكفييري في الفكرة الجمهورية:

تناول المؤلف البعد التكفييري في الفكرة الجمهورية. وخلص إلى أن (الطائفة الجمهورية (تكفيرية بدرجة أسوأ من السلفيين!!). هذا هو رأي المؤلف الذي طرحه بكل جرأة في الفصل الثاني من الكتاب:

(يظن الكثيرون إن الطائفة الجمهورية تقف مع الحريات عموماً وحرية الدين والعقيدة خصوصاً، ولكن هذا الظن باطل لا يقوم على قدمين. إذ أن الطائفة الجمهورية تكفيرية بدرجة أسوأ من السلفيين، ولم يزد القمع السلطوي في زمن نميري والمضايقة القانونية قبله وأثناءه إلا إصراراً على تكفيرها للمجتمع وكل من هو غير جمهوري.)

ويمضي المؤلف في بيان الافاق التكفيرية التي ترد إليها الفكرة الجمهورية فيقول في ذات الفصل الثاني ما يلي:

(لماذا يكفر الجمهوريون غيرهم ويرون ان كل العالم جاهلي وان المسلمين ليسوا على شيء وان اليهود كفار وان النصارى يعيشون في جاهلية وان البهائية والأحمدية ليس لهم حظ من الدين وانما هما مجرد إلهامات ظلامية وان الشيعة منحرفون الخ؟ يفعلون ذلك لأنهم يؤمنون ان فكرتهم هي الإسلام نفسه وهي الدين نفسه. ليست رؤية للإسلام او اجتهاد في إطار الإسلام، لا بل هي الإسلام نفسه المعروف بالأف واللام. اذهب أكثر واقول انهم لا يرون انها الإسلام فقط؛ الإسلام الذي تحدث القرآن عنه أنه لن يقبل سواه، والذي حاول بعض الإصلاحيون مده ليشمل كل الأديان الايراهيمية، بل يرون انها الدين في أصل نفسه؛ وان كل ما عداها ليس إسلاماً؛ بل ليس ديناً ولا حظ له من الدين.)

(٣) إنصاف لبعض الجمهوريين المعاصرين:

لقد أنصف المؤلف بعض الجمهوريين المعارضين (ومنهم الدكتور قصي همور). ففي بحثه تحت عنوان: (ضرورة التسامح الديني وأفكار بعض الجمهوريين المعاصرين)، يكشف المؤلف لقرائه التطورات الإيجابية التي حدثت لاحقاً في أفكار بعض الجمهوريين المعاصرين، فيقول:

(وقد انتبه بعض الجمهوريين المعاصرين مثل الدكتور قصي همور لضرورة التسامح الديني؛ حيث كتب في مقال له بعنوان " التسامح الديني ضرورة واجبة"، أنه يجب أن يشمل كل الأديان، حيث ذكر: (وهناك أمر لا بد من التنبيه له، وهو أن التسامح الديني يشمل كل الأديان، ويجب أن يكون كذلك وإلا لفقد قيمته، فعندما يتسامح المسلم مثلاً مع اليهودي والمسيحي بحكم أنها كتابيان مثله، هذا لا يغنيه عن أن يكون على نفس القدر من التسامح مع أصحاب ديانات أخرى قد يعتقد هو أنها وثنية مثلاً (كحال نظرة الكثير من المسلمين للهندوس والبوذيين، وكحال نظرة الكتابيين الأفارقة إلى أهلهم من أصحاب المعتقدات المحلية) أو أنها باطلة بحكم عقيدته لأنها ظهرت بعدها (مثل نظرة الكتابيين إلى البهائية والسيخية).. فالتسامح الديني إن لم يكن شاملاً فهو لن يعدو كونه تحزب مجموعة من الأديان في نظرتها للأديان الأخرى، ومثل هذا التحزب لا يحل المشكلة بأي حال من الأحوال ولا يحقق التعايش السلمي الذي نرجوه ونحتاجه على هذه الأرض.. ومن باب أولى، فإن التسامح بين أهل الدين الواحد هو أمر لا محيص عنه).

(٤) (الأصالة): القشة التي قصمت ظهر الأستاذ محمود وفكرته

الجمهورية!!

لقد أدرك المؤلف من خلال دراسته المحيطة بالفكرة الجمهورية، ومن خلال معرفته الواسعة بالتراث الصوفي خاصةً فيما يتعلق بالإنسان

الكامل، ويعلم الأديان المقارن ان (الإشكالية في الفكرة الجمهورية تكمن في أصالة الاستاذ محمود، ثم إحتكاره لكل المقامات الدينية الكبيرة لنفسه، فهو الأصيل الواحد، الإنسان الكامل، المسيح المحمدي.. الخ). لقد توقف المؤلف كثيراً عند مسألة (صلاة الأستاذ محمود) ومفهوم الأصالة (كحق متاح لكل سالك مجود للتقليد)، وقام بتمحيص (مسألة صلاة الأستاذ محمود وتوابعها فحصاً مجهرياً) وذلك لعلمه ان السبب الذي قاد الأستاذ محمود لحبل المشنقة هو سبب سياسي بحت، ولكنه يدرك ايضا ان (الغبينة) التي بررت للسفاح نميري وبقية خصوم الأستاذ محمود هي (صلاة الأستاذ محمود). بمعنى ان النميري قد وجد الجرأة لإعدام الاستاذ محمود لأنه كان يري انه (رجل لا يصلي الصلاة ذات الركوع والسجود التي دوام عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه). هذا، وقد شمل بحث ملفات (الأصلاء السابقين واللاحقين للأستاذ محمود). ثم دلف لبحث (التغيير الجوهرى) الذي أحدثه الأستاذ محمود من خلال طرحه لمفهوم (الأصيل الواحد). ولأهمية هذا الامر سوف نتابع أطروحات المؤلف بشأن هذا الملف في النقاط التالية:

(أ) حق الجميع في الأصالة والعبادة الفردية:

خلص المؤلف في بحثه عن هذا الموضوع الى القول:

(والأصالة في البدء - حسب المنهج الجمهورى - كانت مرحلة متاحة لكل البشر، ليحققوا فرديتهم بها. بل قيل إنها تحقق الإسلام في صورته العلمية، وهي التي تثبت تفرد الإسلام عن غيره من الفلسفات المعاصرة، بأعلاء الفردية الخ. جاء مثلا في محاضرة " الإسلام برسالته الاولى لا يصلح للإنسانية القرن العشرين" التالي: (وتتمثل دعوة الحزب الجمهورى، في هذا الباب، في الدعوة إلى تحقيق الفردية، لئلى كل فرد، وذلك بفتح الطريق أمام الناس ليرتقوا بتقليد المعصوم، في عبادته، وفيما يتيسر من أسلوب عادته، حتى يفضي بهم إتقان التقليد إلى سقوط التقليد - إلى الأصالة

– فهم يقلدون النبي في أعماله ليقاوه في حاله. بيد أن حاله الأصالة، وليس في الأصالة تقليد، وإنما فيها تأس. فهو عمدة تقليدنا بعمله، وهو عمدة أصالتنا بمجاله).

(ب) الأصلاء (السابقون واللاحقون) للأستاذ محمود في تحقيق الأصالة؟

في إطار بحثه عن الأصالة، تناول المؤلف ملفات الأصلاء السابقين (مثل الشيخ احمد البدوي في طنطا) وذلك من خلال مصادر الفكرة الجمهورية، وتوقف المؤلف كثيراً عند موقف الأستاذ محمود من (أصالة تلميذه/ الأستاذ محمد خير محيسي). ونقل المؤلف قصة (إنكار الاستاذ محمود لأصالة محيسي عن رواية (د. ياسر الشريف) أحد كبار الجمهوريين، وهي مثبتة بالكامل في متن الكتاب، أناشد القارئ بمراجعتها. وحول واقعة إنكار الأستاذ محمود لأصالة محيسي يقول المؤلف:

(في الحق إن محمود انقلب على نفسه تماماً حين أعلن أحد الجمهوريين المخضرمين والذي كان قد انضم له ولطائفته منذ نهاية الخمسينات، وهو الأستاذ محمد خير محيسي، أنه وصل مرحلة الأصالة وأنه أصبح يتلقى عن الله كفاها وأنه تلقى صلواته الفردية. ماذا كان موقف محمود حينها؟! أنكر محمود حينها على الرجل أن يكون وصل إلى هذه المرحلة، واعتبر ذلك من تلبيس ابليس عليه، وطلب منه أن يرجع للتقليد وهو صاغر، وعندما أصر الأستاذ محيسي على أصالته (وهي أمر شخصي بينه وبين الله حسب تنظير محمود السابق) طرده محمود من المجتمع الجمهوري، وأمر بمقاطعته اجتماعياً).

(ج) الأستاذ محمود ينكر ان تكون الأصالة متاحة للجميع!!

وفي نظر المؤلف أن محموداً لم يكتف بإنكار أصالة الأستاذ محيسي (كما أنكر من قبل نبوة العم ابو بكر خاطر، الذي قال عن نفسه أنه نبي وأن محمود أيضاً نبي)، بل أنكر أن تكون الأصالة متاحة لكل الناس، وقال إنها هي متاحة

فقط لرجل واحدا! وذلك خلال طرحه الجديد لفكرة (الأصيل الواحد).
وحول هذا التراجع يقول المؤلف:

(في الحق فهذا تراجع ما بعده تراجع.. ولؤم ليس بعده لؤم. فبعد ان كان كل الجمهوريين - بل كل البشر - موعودون بتحقيق فرديتهم وأصالتهم إذا ما جودوا التقليد، تم نزع هذا الوعد منهم بين ليلة وضحاها، وذلك لان أحدهم تجرأ مثل محمود تماما- انه وصل الي هذا المقام.)

أكثر من ذلك فإن المؤلف يرى ان فكرة الأصيل الواحد تنسف كل تنظير الأستاذ محمود عن الفردية والأصالة حين يقول:
(الشاهد أن فكرة الأصيل الواحد تنسف كل تنظير محمود السابق عن الفردية والأصالة، وأن الأصالة أصل في الدين الإسلامي، وأنها تخرج الفرد من القطيع، وتوضح أن كل فكرة الأصالة وصلاتها إنما صبغت من أجله وحده، وبغرض التبرير لتهويماته واوهامه). كما يرى المؤلف ان الأستاذ محمود بطرحه لفكرة الأصيل الواحد إنما كان:

(يمارس الاستهبال الفكري والخذاع اللفظي، حين يقول إن الآخرين - عدا الأصيل الواحد - يحققون اصالتهم الفردية في إطار التقليد، فكيف يكون الانسان مقلدا واصيلا في نفس الآن؟!)

٥- المسيح:

تناول المؤلف دور المسيح في الطائفة الجمهورية بالقول:

(يشكل المسيح شخصية جوهرية في الطائفة الجمهورية، ونظرتهم له تختلف عن نظرة بقية المسلمين له وتخالفها بالمرة، وهذه واحدة من أسباب زعمنا أن "الفكرة" الجمهورية دين جديد يختلف عن دين القوم، وهو أمر سنرجع له بمقال منفصل. ويؤكد زعمنا عن اهتمام محمود والجمهوريين بشخصية المسيح، فوق ظن محمود المعلن

عنه في ذلك الحوار القديم انه المسيح العائد، هو افرادهم حجما كبيرا لهذه الشخصية في ادبياتهم، ومنها كتاب (عودة المسيح) الصادر في ديسمبر عام ١٩٨٠، وكتاب (المسيح) الصادر في ديسمبر ١٩٨٢، وكتاب (الموالد الثلاثة، مولد محمد، مولد المسيح ومولد السودان) والصادر في ديسمبر ١٩٨٢. والمتابع يلاحظ أن هذه الكتب قد صدرت في اخر سنوات حياة محمود، وأنها خرجت على التوالي في ثلاثة سنوات متتابة في شهر ديسمبر من كل عام. وغير هذه الثلاثة كتب، فيمكن أن تجد إشارة للمسيح في العديد من الكتب الأخرى لمحمود والجمهوريين، ومن أهمها كتاب (القرآن ومصطفى محمود والتفسير المصري) وكتاب (التقليد، الأصيل، الأصلاء) وكتاب (أدب السالك في طريق محمد) وكتاب (الشيعه) الخ الخ

٦- إختبار البطة ؟

ما هي قصة (إختبار البطة) كما يرويها المؤلف؟ انها اجابة ذكية على السؤال: هل قال الأستاذ محمود صراحة انه (رسول الرسالة الثانية من الإسلام)؟ وانه المسيح؟ وانه الانسان الكامل؟ وهذه قصة إختبار البطة كما يرويها المؤلف:

(إختبار البطة:

تابعنا في الحلقات السابقة تصور محمود محمد طه عن نفسه وتصور الجمهوريين عنه، وقلنا إن الرجل كان يرى نفسه نبيا ورسولا واصيلا، وأن كان يشوبه الشك في ذلك ويرجو كل ذلك لنفسه، ثم تابعنا انقلاب الأصيل الواحد، لنصل لمفهوم الإنسان الكامل والمسيح المحمدي الذي رسم محمود والجمهوريون أوصافه وظروف نزوله، لتتنطبق كل الإنطباق على محمود محمد طه.

وقد جادلنا بعض الجمهوريين ان محمودًا لم يقل صراحة انه رسول الرسالة الثانية او انه الأصيل الواحد أو أنه الإنسان الكامل أو المسيح المحمدي الخ، ولكن كما يقول إختبار البطة: إذا كانت تبدو مثل البطة وتسبح مثل البطة وتبطن مثل البطة،

فهي غالباً بطة. فإذا كان محمود يقول إنه أصيل ويقول إنه امتلك عبادة فردية، ثم يقول في موقع آخر أن الأصيل الواحد هو الشخص الوحيد الذي يكون له عبادة فردية، فهل يعني هذا أي شيء سوى قوله إنه الأصيل الواحد؟! وإذا كان الجمهوريون يقولون إن المسيح المحمدي سينزل في السودان، في القرن العشرين، وسيحكم بالرسالة الثانية من الإسلام، أي فكرة محمود محمد طه، وإذا كان محمود يقول في بداية الخمسينات أنه ألقى إليه وتواتر الإلقاء أنه المسيح، وإذا كان الجمهوريون ينشدون امام محمود وهو لا يعترض (أنت ابن مريم فينا - لم يبق غير التجلي)، فهل تكون هذه البطة سوى بطة؟!)

٧- هل انتحر الأستاذ محمود؟ ام نحره تلاميذه؟

لقد طرح المؤلف (احتمالية انتحار الأستاذ محمود) وقدم لها الشواهد. ويبدو ان حادثة إعدام الأستاذ محمود (لم يمض نصف قرن على مرورها) قد جعلت المؤلف يكتفى بإثارة الموضوع مع التسبب اللازم لهذه المرحلة، دون التوسع في دراسته وذلك لان الانتحار يحمل بعدا سلبياً هو (تحميل مسؤولية اعدام الشهيد محمود للضحية). يقول المؤلف:

(رجوعاً مرة أخرى إلى روايات الوجدان الشعبي، انه في تلك الأيام الحرجة بين حكم المحكمة والتنفيذ، قامت مجموعة من بيروقراطيي الإتحاد الاشتراكي (من خلال صراعها داخل ذلك التنظيم ضد الهيمنة المتزايدة للإخوان المسلمين) بالتدخل لسي نميري لاسترحامه حول محمود علي أساس أنه قد دعم النظام دائماً وفي ظل أوقات حرجة وعصية، فلا يمكن أن تكون هذه نهايته. فرد السفاح بما فيه من عنجهية وطغيان وبطر، بأنه مستعد للعضو عن محمود، شرط أن يعتذر له علناً. ووصلت المساعي والإخبار إلى محمود، فكان رده بعد التأكد من أن رده سيصل السفاح: "قولوا لنميري

أنا ما بنكسر ليك، وأنا يموت ويقابل ربي نضيف، لكن أنت حتموت بي سوء الخاتمة
"!!

هل كان محمود يبحث عن الموت؟

هذا ما قد يتبادر من الوهولة الأولى، في تعامل محمود مع المحكمة ومع مجمل مؤسسات النظام، في الشهور الأخيرة من حياته، وفتحته لمعركة واضحة ضد النظام وسياساته، وهو الذي يعلم مبلغ الحقد الذي تكنه له القوى السلفية، وخصوصا جماعة الإخوان المسلمين، كما يعلم الطابع الدموي والطغيان المنفلت للسفاح النميري).

فلكأن المؤلف قد اراد ان (يضع على طاولة البحث) - احتمال (انتحار) الأستاذ محمود. وقد قدم المؤلف الحثيثيات الدالة على هذا الاحتمال في متن كتابه.

والسؤال هو: هل انتحر الأستاذ محمود؟ ام نحره تلاميذه، حين عجزوا عن قيادة وتحريك منظمات المجتمع المدني للضغط على نظام مايو لأخلاء سبيل الاستاذ محمود وتلاميذه الاربعة دون استتابة او إذلال؟ وحين روجوا لمعجزة أن النميري لن يستطيع أن يمس شعرة من راس الأستاذ؟

في المقتطف التالي يضع المؤلف لومًا كبيرًا على تلاميذ وتلميذات الأستاذ محمود، خلاصته انه كان بإمكانهم استنهاض الشارع لإنقاذ حياة الأستاذ. وهذه هي ادانة المؤلف للجمهوريين لموقفهم المتخاذل:

(وإذا كان اتباعه قد ظلموه في حياته، فقد فعلوا ذلك عندما حملوه أكثر مما يحتمل من آيات التقدير والتقدير، فلم ينظروا إلى فكره بمنظار النقد العلمي التاريخي، وحين ربطوا مجمل حركتهم بشخصه، وحين رأوا فيه الكمال. وظلموه أكثر، حينما روجوا قبل أيام من موته أوهاما لا يسندها منطق، حول عدم قدرة الحكام على اغتياله. فتركوه بذلك في يد الموت وحيدا، في وقت كان أكثر ما يحتاج فيه إلى التضامن، وغلوا بذلك أيادي قوى شعبية كثيرة، كانت سحائب غضبها تتجمع ضد

النظام. وحين زعم بعضهم استحالة إعدامه، وضعوا الناس قسراً في حالة ترقب في انتظار المعجزة، وأخلوا بذلك الساحة بينه وبين السفاحين).

أخيراً كل الشكر للمؤلف الأستاذ عادل عبد العاطي لاهتمامه بالفكرة الجمهورية واقتطاع مساحة من زمنه لدراستها ونقدها. فان أعظم تبجيل واحترام للشهيد محمود في هذا الزمن العجيب هو ان تقرأ أفكاره وتناقشها وتنقدها. إن مثل هذا النقد والنقاش هو الذي يجعل الأستاذ محمود شهيدا حيا بين الناس. وأجزم بان هذا الكتاب سيشجع الآلاف لزيارة موقع الفكرة الجمهورية وقراءة الفكرة من مصادرها. والتعامل مع الأستاذ محمود كفاحا من غير وساطة الجمهوريين الذين ما زادوه الا خبالا كما يتضح في متن الكتاب!!

المستشار أبوبكر القاضي

كاردف/ ويلز/ المملكة المتحدة

٢٠٢١/٩/١٩م

الفصل الأول - الكتابات الأولى

تأملات في أفق المعرفة والشهادة حول حياة واستشهاد محمود محمد طه

"لا يبلغ أحد درج الحقيقة، حتى يشهد فيه ألف صديق، بأنه زنديق."
الجنيد: توفي ٢٩٧ هجرية.

"إذا استطعت بذل الروح فتعال، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية."
ذو النون المصري ت: ٢٤٥ هجرية.

"علماء الظاهر هم زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن هم زينة السماء والملكوت.
وعلماء الظاهر هم أهل الخبر واللسان، وعلماء الباطن من أرباب القلوب والعيان"
أبو طالب المكي ت: ٣٦٨ هجرية.

مقدمة:

تعرض الأستاذ محمود محمد طه (١٩٠٩-١٩٨٥) لظلم تاريخي كبير في تقييمه، شخصاصاً وفكراً ومواقفاً من قبل بعض مؤيديه وجل معارضييه على السواء. ومما يؤسف له أن محاولة جادة لتقييم نشاطه وجهده على ساحة الفكر والفلسفة والسياسة والسودانية، لم تتم حتى الآن، رغم مرور أكثر من ١٥ عام على رحيله من دنيانا^١.

١ نستثنى من ذلك محاولات متفرقة، من أهمها الكتاب الصغير الذي أصدره مركز الدراسات السودانية بالقاهرة، تحت إشراف د: حيدر إبراهيم علي بعنوان: محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان- القاهرة يناير ١٩٩١، ومحاولة للتاصيل القانوني لافكار الاستاذ محمود في مساهمات الاستاذ عبد الله احمد النعيم، ومن اهمها كتاب نحو تطوير التشريع الاسلامي.

وان كان الظلم من قبل أعداءه ، والذي تبدى في ابشع صوره ، في مهزلة إعدامه البشعة في يناير ١٩٨٥ ، قد لقي جزاء من التصحيح على مستوى القانون ، بحكم المحكمة العليا ببطلان حكم الإدانة والإعدام (١٩٨٧) ، إلا أن التصحيح على مستوى الفكر لم يتم حتى الآن ، ولا يزال الكثير من المواطنين السودانيين ، وغير السودانيين ، والذين وان رفضوا مهزلة إعدامه لاسباب عرفوا أنها كانت ، ولا زالت ، سياسية ، ألا انهم لا زالوا ينظروا حتى الآن، إلى الكثير من أفكاره ومواقفه من خلال منظار التشويه الذي لعبت فيه دعاية القوى الظلامية والسلفية القسط الأكبر، ولعب دوراً غير قليلٍ منه عدد من أتباعه نفسهم ، وإن بنيات طيبة .

وإذا كان أتباعه قد ظلموه في حياته، فقد فعلوا ذلك عندما حملوه أكثر مما يحتمل من آيات التقدير والتقدير، فلم ينظروا إلى فكره بمنظار النقد العلمي التاريخي، وحين ربطوا مجمل حركتهم بشخصه، وحين رأوا فيه الكمال. وظلموه أكثر، حينما روجوا قبل أيام من موته أوهاماً لا يسندها منطق، حول عدم قدرة الحكام على اغتياله. فتركوه بذلك في يد الموت وحيداً، في وقت كان أكثر ما يحتاج فيه إلى التضامن، وغلوا بذلك أيادي قوى شعبية كثيرة، كانت سحائب غضبها تتجمع ضد النظام. وحين زعم بعضهم استحالة إعدامه، وضعوا الناس قسراً في حالة ترقب في انتظار المعجزة، وأخلوا بذلك الساحة بينه وبين السفاحين.

وظلمه بعض اتباعه بعد موته، حين تراجعوا بغير انتظام، ودعموا تراجعهم بفكرة انه مات فداءً لكل الشعب، مدخلين مزيداً من الغيبية على معنى موته البطولي النبيل، وجاعلينه ستاراً للإحباط والسلبية، دون أن يفرقوا بين معاني الفداء الإيجابي المحرك لدواعي النضال، والتضحية السلبية التي ترتبط بالانكسار والاستسلام. وحين تركوا للمتطرفين منهم وهم انه لم يقتل، أو على الأقل سيعود من جديد، لم يفعلوا غير أن تأخروا عن قامته خطوات وخطوات.

إلا أن الظلم الحقيقي يتبدى في فشل معظم أتباعه ومؤيديه عن أن ينظروا بعين النقد والتحليل لنتاج فكره ونشاطه ومنهجه، وتركوا بذلك الجهد الذي بناه عبر عشرات السنين، يضيع بين طيات التجاهل والنسيان أو سوء الفهم، وفي تركهم الحركة التي بناها تتحطم وتقف عند الحدود التي رسمها لها، والتي ما كان لها إلا أن تنهار وتندثر بموته، إذا أرادت أن تلتزم بمنهج فكره القديم. أن مقتل هذه الحركة الذي تكرر بمقتله وتحللها من بعده، ليجد جذوره في مجمل النهج الفكري والاجتماعي لمحمود، الأمر الذي سنناقشه لاحقاً، إلا إن تلاميذه لم يخطوا خطوة واحدة للأمام لإنقاذ هذا التراث العظيم، بفهم هذا المنهج نفسه وتطويره، بدلا من التكلس في صورته المثالية، التي تكرست في أذهانهم عنه، والتي تعرضت للاهتزاز بشدة، في درامية موته ورحيله.

في أفق المعرفة

نظرة في فكر محمود الفلسفي:

بالرغم من تعدد أوجه نشاط محمود الفكري، وكتابته في العديد من المواضيع السياسية والفكرية والاجتماعية، إلا إن تصنيفي الأول والأخير له يقوم باعتباره صوفيا، صوفيا في عالمه الفكري، صوفيا في ممارسته، صوفيا في صورة استشهاده ورحيله.

وقد لا يدرك الكثيرون، بمن فيهم بعض أتباع محمود نفسه، أن جل أفكاره تتماهى مع لب أفكار الصوفية، سواء في مدارسها الكونية، أو في صورتها العربية الإسلامية، أو في تجليها في الواقع السوداني. إن التناقض -أو التمايز- بين الظاهر و الباطن، بين الحقيقة والشريعة، والذي هو ركن أساسي في نظرية المعرفة عند الصوفية، قد تحول عند محمود محمد طه إلى تناقض وتمايز الأصول والفروع في القرآن، أو كما سماها بالقرآن في مرحلتيه المكية والمدنية، كما إن الطريق للوصول إلى

الحقيقة، والقائم على السعي و مجاهدة النفس عند الصوفية، هو نفسه طريق التقليد والأصالة عند محمود، والذي يتبلور حول فكرة أن الرسول محمد كان هو الأصيل الأول، والذي وصل إلى أصالته -الأخذ مباشرة عن الرب في ليلة الإسراء والمعراج - بعد جهد من تقليد عبادة إبراهيم، واتباع جبريل. كذلك طريق الأصالة لأي فرد يقوم على تقليد الرسول، وإجادة التقليد، حتى كشف الحجب وإدراك الأصالة.

بل أن فكرة الإنسان الكامل عند محمود، إنما هي فكرة قديمة ومفهوم أساسي عند قدامى الصوفية، ويقوم عليها مجمل اعتقادهم في وحدة الوجود المادي والإلهي والإنساني، يكتب ابن عربي:

"إن مرتبة الإنسان الكامل إنما هي جميع المراتب الإلهية والكونية التي تضم العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود، فهي (مرتبة الإنسان الكامل) مساوية للمرتبة الإلهية، ولا فرق بينها إلا في الألوهية، لذلك صار الإنسان الكامل خليفة الله في الأرض"

أن فكرة الإنسان الكامل، أي الربوبية متجسدة في صورة إنسان مكتمل، أو الإنسانية الفائقة كتبد للرب متشخصنا، تجد انعكاسها في العديد من الأديان والفلسفات، وعلى رأسها المسيحية، وقد انعكست في الفلسفة الصينية التاوية، وكان لها وجودها في الفلسفة العربية الإسلامية، كما إن مفاهيم مقارنة أيضا لهذا المفهوم ، مثل وحدة الوجود ، و المعية (وهو معكم أينما كنتم)، والسريان، الذي وسعه صلاح الدين الشيرازي، ليجعل وجود الله حضورا فعليا في الموجودات، والمشابه لمفهوم التاو TAO، كقوة مادية في الموجودات، عند الفيلسوف الصيني تسونغ تسه ، تحتاج إلى قراءة دقيقة لمعرفة مدى تقاربها أو توازنها مع الفكر الجمهوري.¹

¹ حاولنا إنجاز بعض من ذلك في مخطوطتنا: " مفهوم الإنسان الكامل قديما وحديثا"

بتماهى محمود في فكره، مع الحلاج والسهروردي وابن عربي، وان كان في صورة سودانية معاصرة، أي بالشكل الذي فرضه واقع الزمان والمكان الجديدين، لكن المأساة الكبرى في حياة وفكر محمود، انه حاول دمج طريق الصوفية، والذي هو طريق للخلاص والمعرفة الفردي، قائم على البعد عن العالم والزهد فيه، والبعد عن الجماعة والانصراف عنها، والبحث عن الحقيقة في ذات الإنسان الصوفي ، والوصول إلى الله وإلى منابع الحق متفردا، حاول جمع كل ذلك مع طريق جماعي ونشاط اجتماعي ، وهو طريق مخالف تماما لنهج الصوفية الفردية (في عالمها الفكري والسلوكي وليس في كاريكاتوراتها الطرائقية)¹.

خالف محمود بتنظيمه للحزب الجمهوري، ومن بعد للإخوان الجمهوريين، طريق الصوفية الفردي، فإذا كانت العلاقة بين الصوفي والمريد، بين الشيخ والحوار، بين القطب والسالك، هي علاقة فردية قائمة على الاتصال الشخصي والتأثير المباشر، فان محمود حاول بناءها عن طريق تنظيم، رابطة، جماعة، تغيير اسمها من الحزب إلى الإخوان، إلا إنها احتفظت دائما بصورتها كتتنظيم له أفكاره الفلسفية والاجتماعية وله نشاطه السياسي.²

ومن الطبيعي أن نمو الأحزاب السياسية والنقابات ومعركة الاستقلال، وهي الأحداث التي عاصرها محمود، ووجود ونشاط التنظيمات الدينية القديمة والجديدة، في شكل طرائق دينية أو طرق صوفية أو حركات سلفية، قد فرضت على أي مفكر جاد الانخراط في درجة من درجات العمل التنظيمي والفعل الاجتماعي والسياسي، ألا أن طريق أهل الحق،

¹ راجع حول الطابع الثوري للفكر الصوفي وتدهوره اللاحق حسين مروة: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، المجلد الأول دار الفارابي - بيروت لبنان وكذلك مخطوطتنا: "الصوفية الاجتماعية كفسلفة للحياة وآداه للتغيير"

² حاولنا إنجاز ذلك في مخطوطتنا عن الإخوان الجمهوريين: "الإخوان الجمهوريون في منظار النقد والتاريخ".

طريق الصوفية، لا يمكن الوصول إليه بوسائل أهل الدنيا، أهل الظاهر. كان محمود في سعيه لنشر فكره، مواجهاً بمشكلة الأداة، وقد اختارها بان يطرح كل أفكاره أو جلها في كتبه وإصداراته، حتى يتصل بها مع تلاميذه ومؤيديه، لكنه بهذا طرحها أمام الجميع، فعرضها بذلك لسوء الفهم -أو سوء النية - المعشعشة في البيئة السلفية، التي حاصرت بها المؤسسات الدينية الرسمية المسلم العادي في وسط وشمال السودان لعشرات السنين.

إن تناقض محمود وحركته أراه في تناقض الطريق الفردي الصوفي للمعرفة والسلوك، مع الشكل الجماعي الواسع والمكشوف للنشاط الذي اتخذته حركته، وهو تناقض كان لا بد أن يؤدي إلى الانفجار، وتحطيم أحد طرفي التناقض.

في أفق الشهادة

او الابتسام في مواجهة الموت:

موت محمود محمد طه، يشكل في تاريخنا الفكري -السياسي الحديث، علامة بارزة على حجم الأزمة والمأساة إلى عانها مجتمعنا في أواخر سنوات حكم الطاغية نميري. ويطل كحصيلة مرة للتردى الاقتصادي والسياسي والفكري الشامل الذي ساد تلك الحقبة. انه وصمة عار في جبين عصرنا، ويوم كالح في تاريخ شعبنا.

لكن الميدالية لها وجهان. فأمام العنف الوحشي للسلطة، والهوس اللاعقلاني والتشنج المرضي الذي ركب السلفيين، ورغبتهم العارمة في رؤية انهار الدم وهي تسيل، كان الوجه الآخر يتمثل في الصمود البطولي لمحمود، وانشراحه في مواجهة الموت، الذي شبه بصمود فرسان العصور الوسطى وبصمود ود حبوبه وأبطال المهديّة (حسب محمد إبراهيم نقد). وتكرر مرة أخرى، وان بشكل المهزلة هذه المرة، مقتل

الحلاج والسهورردى وبنفس السيناريو: تحالف الحكام الفاسدين المفسدين + علماء السوء الذي وضعوا أنفسهم مطية لكل ظالم + أسوأ حثالات المجتمع التي وقفت تطالب بدمهم وتستمتع بمشهد موتهم! الصمود والبطولة والجمال في استشهد محمود، قدم للوجدان الشعبي مادة غنية للعديد من الحكايات التي دخلت حيز التداول والإنتشار. وبغض النظر عن مدى الدقة والحقيقة التاريخية الكامنة في هذه القصص، إلا إنها تشكل معياراً لحساسية الشعب وتعامله مع مجمل القضية، ولاتجاه خط تعاطفه. فقد تردد أن محمود قبل صياغة بيانه الشهير: هذا أو الطوفان. قد طلب إحضار تسجيل أغنية احمد المصطفى أنا أم درمان، وكان يسمعها ويردد معها المقطع القائل:

(فيا سودان إذا ما النفس هانت أقدم للفداء روعي بنفسي)

وتردد أيضاً أن محمود كان يقول إن محنة مايو لن تنقشع إلا إذا كانت هناك تضحية كبرى، كان يموت رجل عظيم، أتراه كان يقصد نفسه، ومن أعظم منه كان بارزا على الساحة وقتها؟؟ المحكمة ذاتها التي حكمت زوراً وبهتاناً على محمود، كانت مربضاً للقتلة، لا منبراً للقضاء، ويصح في وصفها ووصف موقف محمود منها قول الشاعر المصري كمال عبد الحليم في رثاء الطالب اليسارى السودانى صلاح بشرى، والذي استشهد في السجون المصرية بدءاً من عام ١٩٤٨:

*صاح فيهم لن أدافع لن أقول كلمة
يا شياطين المدافع كيف صرتم محكمة؟*

فقد رفض محمود مطلق التعامل معها، وهذا وان كان بتقدير سياسي يحسب في دائرة الخطأ، حيث كان يمكن تحويل المحاكمة بعمل سياسي وقانوني منظم، إلى مظاهرة كبرى ضد النظام، كما تم في

محكمات فاطمة احمد إبراهيم والبعثيين في ذلك الوقت، وان يتم بذلك غل يد القتلة والنظام قانونيا وتحريك العمل الشعبي سياسياً وتعبوياً، إلا إن الصوفي عند محمود له مرجعية أخرى، إنها مرجعية التسليم (أسلمت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين). إن شهادة محمود في المحكمة، تشكل على قصرها قمة أدب السهل الممتنع، والاختصار المحكم، وشهادة وإفادةً للتاريخ والأجيال. كما إنها تعبر عن درجة عالية من النضج السياسي والفكري، وبها وحدها أدان محمود قوانين سبتمبر إلى ابد الدهر، أدان السلطة وقضاتها المأجورين ووضع على جبينهم وصمة العار الأبدية. لقد أصبح محمود أذن هو القاضي الحقيقي، وشاهد العصر وضمير الشعب، وتحولوا هم إلى مدانين. فلنتأمل في هذا النص المعجز:

(.. أنا أعلنت رأبي مرارا في قوانين سبتمبر ٨٣، من أنها مخالفة للشريعة والإسلام، أكثر من ذلك، فإنها شوهت الشريعة وشوهت الإسلام. ونفرت عنه. يضاف إلى ذلك إنها وضعت واستغلت لإرهاب الشعب، وسوقه إلى الاستكاثرة عن طريق إذلاله. ثم أنها هددت وحدة البلاد، هذا من ناحية التنظير. أما من ناحية التطبيق، فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحنها، غير مؤهلين فنياً، وضعفوا أخلاقياً، عن ألا يضعوا أنفسهم تحت سيطرة السلطة التنفيذية، تستعملهم لإضاعة الحقوق، وإذلال الشعب، وتشويه الإسلام، وإهانة الفكر والمفكرين، وإذلال المعارضين السياسيين.

ومن اجل ذلك فأنا غير مستعد للتعاون مع أي محكمة تنكرت حرمة القضاء المستقل ، ورضيت إن تكون من أدوات إذلال الشعب وإهانة الفكر الحر والتنكيل بالمعارضين السياسيين)^١

^١ عن منشور للإخوان الجمهوريين بعنوان: ماذا قال الأستاذ محمود محمد طه في المحكمة؟! - أم درمان - الاثنين ٧ يناير ١٩٨٥ الموافق ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ.

بهذا النص أنهى محمود محمد طه سيرة حياة عامرة بالنشاط الفكري والمواقف الاجتماعية ببطولة نادرة، كما انه تجاوز به كل نواقص فكره السياسي، وكل تأييد سابق له لمايو. رافضا بصورة قاطعة للديكتاتورية والإرهاب ومسح الدين. بل انه انتقل إلى أفق أخطر واقعية، في التعامل مع مسألة الشريعة، حيث انتقل من المفاهيم المجردة والمثالية المطروحة في نظرية "الرسالة الثانية من الإسلام"، والتقسيم - الغير مفهوم شعبياً والغير متجانس منطقياً - بين آيات الأصول والفروع، وبين الشريعة والسنة، إلى منهج يتعاطى مع الإطار السياسي والإجتماعي لوظيفة القانون، وكون القانون -أي قانون - يأخذ محتواه في مجرى تطبيقه، وبمقدار تعبيره عن السلطة التي تكرس به سيادتها. وان القيمة الحقيقية للقانون تأتي عندما يستجيب لنوازح الحرية، ويعبر عن احتياجات المجتمع والشعب الملحة في لحظة معينة من لحظات تطوره (وفي تلك الأيام تمثلت هذه الاحتياجات في القيم التي دافع عنها محمود، كالديمقراطية / الوحدة الوطنية / حرية الفكر والاعتقاد الخ الخ.) هذه القيم التي صيغت وطبقت قوانين سبتمبر لقمعها وإهدارها.

سجل محمود بهذا النص القصير تقدما في الفهم السياسي لطبيعة النظام القائم، مقابل تقليصٍ لجانب الاجتهاد الفكري المختلف عليه، حيث لم يبين رفضه لقوانين سبتمبر على أسس أيولوجية (عدم صلاحية الشريعة للقرن العشرين وعودة الإسلام بالسنة لا بالشريعة) وإنما على أسباب قانونية وسياسية (التشويه في هذه القوانين لمبادئ الشريعة المدرسية، والغرض السياسي القهري من تطبيقها). إنها واقعية أكثر، وأصالة اقل إذن، تجاوز بها محمود نفسه وتنظيمه بوعي سياسي عالٍ وحيسٍ وطني وتاريخي مرهفٍ وعميق.

رجوعا مرة أخرى إلى روايات الوجدان الشعبي، انه في تلك الأيام الحرجة بين حكم المحكمة والتنفيذ، قامت مجموعة من بيروقراطيين الإتحاد الإشتراكي (في صراعها داخل ذلك التنظيم ضد الهيمنة المتزايدة

للإخوان المسلمين)، قامت بالتدخل لدى نميري لاسترحامه حول قضية محمود، على أساس أن محموداً دعم النظام دائماً وفي ظل أوقات حرجة وعصيبة، فلا يمكن أن تكون هذه نهايته. فرد السفاح بما فيه من عنجبية وطغيان وبطر، بأنه مستعد للعفو عن محمود، شرط أن يعتذر له علناً. ووصلت المساعي والأخبار إلى محمود، فكان رده بعد التأكد من أن رده سيصل السفاح: "قولوا لنميري أنا ما بنكسر ليك، وأنا بموت وبقابل ربي نضيف، لكن أنت حتموت بسوء الخاتمة!!"

هل كان محمود يبحث عن الموت؟؟ هذا ما قد يتراءى من الوهلة الأولى، في تعامل محمود مع المحكمة ومع مجمل مؤسسات النظام، في الشهور الأخيرة من حياته، وفتحته معركة واضحة ضد النظام وسياساته، وهو الذي يعلم مبلغ الحقد الذي تكنه له القوى السلفية، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين، كما يعلم الطابع الدموي والطغيان المنفلت للسفاح نميري. ومما يعزز هذه الرؤية كذلك فكرة الفداء التي لا بد من وجود سند واقعي لها في تفكير محمود، طالما قد كررها الجمهوريون مراراً بعد استشهاد بان "الأستاذ قد فدى الشعب السوداني^١.

إلا إن تعامل محمود مع تلاميذه ورفاقه المتهمين معه في نفس القضية، قد سجل جانبا آخر. فمما لا ريب فيه، أن محمود قد أوصى تلاميذه بتجنب الموت ومسايرة السلطة، حتى ولو كان ذلك بالتبرؤ منه. وفق مبدأ "التقية" الذي سارت عليه العديد من الحركات الإسلامية المعارضة، وحتى بعض أقطاب الصوفية، إلا أن محمود قد رفض هذا الخيار لنفسه، فيما حاول حماية حياة رفاقه وتلاميذه.^٢

^١ من بيانات الإخوان الجمهوريين بتاريخ ٩-١-١٩٨٥ و ٢١-٤-١٩٨٥.

^٢ في حوار لاحق لي بعد كتابة هذا المقال، مع الاستاذ عمر القراي، اوضح لي وجهة نظره بان معلوماتي بهذا الصدد خاطئة، حيث لم يطلب الاستاذ محمود من اتباعه حينها التراجع عن افكارهم بل طلب منهم على العكس التمسك بها وتقديم التضحية. وقال القراي انهم ببساطة عجزوا عن ذلك. وإذا كان الامر كما ذكر

هنا يظهر مرة أخرى سلوك الصوفي، السائر وحده في درب الحقيقة، والموت هو أقصى تجلى للحقيقة، سواء في صورته البيولوجية أو في صورته المعرفية. في صورته البيولوجية باعتباره الحقيقة الوحيدة الثابتة حتى الآن، والخاضع لها كل بشر. وفي صورته المعرفية، باعتباره الكسر الأخير للحاجز بين الإنسان ومصدر الحقيقة، باعتباره انفاءً للجسد واندماجاً بالروح مع مركز الأنوار وسر الأسرار. وبالنسبة للصوفي يؤمن بوحدة الوجود فما كانت فكرة الموت لتشكل له رعباً أو فزعا (إذا استطعت بذل الروح فتعال، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية). لهذا فقد كانت ابتسامه محمود الغامضة حين النطق بالحكم (أكانت يا ترى ابتسامه رضى أم ابتسامه سخرية؟)، ولهذا كان انشراحه وتماسكه وهو يصعد درج المشنقة.

توصية محمود لتلاميذه بالتنكر له، ان صحت، تظهر مبدأ الفردية عند الصوفي، وتحمله للمسئولية وحده، وهذا يذكرنا بالحلاج الذي دافع عن تلاميذه وأصدقائه وحماهم من الموت ولم يدافع عن نفسه، بل كان يرى انه يستحق الموت، لأنه (أفشى الأسرار). وفي الحقيقة فهناك تشابهات مذهلة ما بين شخصية محمود ومصيره وشخصية الحلاج ومنتهاه - يذكر هادي العلوي أن الحلاج قد قتل لتأسيسه تنظيمًا سرّيًا لمعارضة السلطة، وليس لشطحاته الصوفية - ومحمود رغم انه لم يذهب إلى مرحلة الحلاج، من معارضة السلطة منذ البدء أو تصريحات الانجذاب، الا انه قتل حتما لاسباب سياسية. كما انه بهذه الوصية وذلك السلوك قد انخرط تماما في درب مشابه، درب الوجدانية الصوفية، وتخلّى عن فكرة الصوفية الجماعية " في شكل تنظيم أو

الاستاذ القراى، فان معظم الجزء الاخير من المقال الحالى يحتاج الى اعادة صياغة، الامر الذي سنقوم به - فى إطار مناقشة فرضية استاذ القراى - فى مكان آخر. ما يهمنا هنا انه حتى ولو صدقت معلومة الاستاذ القراى، فمواجهة محمود للموت وحده وانشراحه فى مواجهته تثبت قسطا كبيرا من تحليلاتنا.

جماعة، حيث رفض أي تحمل للمسئولية من قبل تلاميذه، و حملها وحده حينما تراجع عنها الآخرون ، ومضى إلى الموت وحده، كأباذر، وهو الذي يعلم أن موته سيكون موتاً للجماعة والتنظيم، المرتبطان به اشد الارتباط. إضافة لمعرفته بالدور السلبي الذي ستقوم به عملية المسايرة للسلطة من قبل تلاميذه على الروح المعنوية والتماسك الداخلي لمجمل الجمهوريين، وعلى هؤلاء التلاميذ الذي رافقوه في أيامه الأخيرة، والذين اضطروا الي التبرؤ منه على الملاء -حسب نصيحته او حسب خوفهم - وقلوبهم تتمزق، ولسانهم لا يسايرهم، إنقاذا لحيوات كان يقدرها محمود، وما كان يتورع عن إهدارها السفاح. لكنه التناقض الأصلي الذي ذكرناه من قبل، والذي كان لا بد له من الانفجار، وشطب أحد طرفيه، هذا الطرف كان التنظيم، وكان الخلود للأستاذ.

حركة الإخوان الجمهوريين تحت منظار النقد والتاريخ ١٩٤٥ - ١٩٨٥

مقدمة:

تشكل الذكرى السادسة عشر لاعتقال المفكر السوداني الفذ، الاستاذ محمود محمد طه، فرصة لاعادة قراءة تراث وتجربة واحدة من اهم الحركات الفكرية -الدينية السودانية بعد الحرب الكونية الثانية، واكثرها اثارة للجدل، اعنى هنا حركة الإخوان الجمهوريين. لا ينبغي ان تغيب هذه الذكرى، باسترجاعاتها المؤلمة، عن نظرنا واجب استخلاص الحكمة الكامنة في هذه التجربة المتفردة، والتي تجلت بعمق في شخصية الاستاذ محمود، وسيرة حياته النضرة، واستشهاده الباسل. ان هدف هذه القراءة ليس اذن التبجيل الاجوف او النقد المغرض، وانما محاولة الغوص في التاريخ لاستخلاص التجارب والدروس، وتسجيل الحقائق التي طالما ضاعت وتضيع في ساحة الغرض السودانية، والغرض مرض كما يقول اهلنا العارفين.

يتكون المقال الحالى من جزئيين، الاول منهما تاريخى، ننشره هنا، وقد حاولنا فيه رصد الحقائق كما كانت، وإن اضعفنا اليها بعضاً من تعليقاتنا، بما يسمح بتفسيرها، وبما يدع مجالاً للاخريين للتعليق عليها. والثانى نقدي تحليلى، سننشره قريباً، وهو يقوم على قراءة نقدية لثوابت الفكر الجمهورى، فيما نعتقد انه استخلاص للحكمة الكامنة بين زواياه، حصراً للايجابى واعترافاً به، ورسداً للسلبى، او ما نعتقد انه السلبى، لتجاوزه من اجل بناء فكر سودانى جديد، يغتنى من التجربة الجمهورية، وهي تجربة رائدة من تجارب الفكر السودانى، دون ان يتقيد بها، او يحد بحدودها، المربوطة بقيود الزمان والمكان، والمتأثرة

باسقاطات البيئة والتجارب الشخصية لمن بنوها، وقاموا بها، ونذروا حياتهم لها.

اننا لا نخفى هنا اعجابنا الذي لا ينقطع بشخصية الاستاذ محمود، وتقديرنا غير المحدود لسيرة حياته واستشهاده، فقد كان الرجل شمساً في ظلمة، وقامةً فارعةً تحدث قزمية الرجال وتفرعن الاحوال، الا ان هذا الإعجاب، وذلك التقدير، يفرضان علينا فرضاً، مهمة البحث عن الحقيقة، التي طالما سعى الاستاذ في دروبها، وقدم حياته فداءً لها. ولهذا تأتي محاولتنا المتواضعة في هذا المقال لمقاربة تاريخ الحركة الجمهورية والفكر الجمهورى، نقدمها للقارى ونأمل في الحوار معه، فان رأى فيها الصواب، فهذا ما نطمع فيه، وان رأى انها اغرقت في الذات، وغابت عن دروب الحق، فكلنا امل ان يتصدى لها الاخرون بالنقد والتقويم، عسى ان نصل معا للحقيقة، والتي هى صنو الحرية، وهما القيمتان التين عاشهما محمود في حياته، وقدم روحه دفاعاً عنهما في محراب مماته.

نبذة عن المؤسس:

الاستاذ الشهيد محمود محمد طه:

لا يمكن تناول الحركة الجمهورية، بعد حوالى ٥٥ عام من تاسيسها، و١٦ عام على توقف نشاطها الرسمى، بمعزل عن شخصية الرجل الذي أسسها وعاصرها وقادها، منذ مولدها الاول وحتى ماساتها الدامية في يناير ١٩٨٥. ارتبطت الفكرة والحركة الجمهورية ارتباطاً لا فكاك منه، بشخصية مؤسسها ومفكرها وزعيمها الاول والاخير، الاستاذ الشهيد محمود محمد طه.

ولد الاستاذ محمود محمد طه في العام ١٩٠٩ بمدينة رفاعة، شرق النيل الأزرق، وتلقى تعليمه الاولى والمتوسط بها، والتي رغم صغرها فقد

كانت واحدة من اهم مدن السودان في سبقتها للتعليم الاهلي والعمل الاصلاحى ، والتي خرج منها المصلح الاجتماعى والتربوي الكبير الشيخ بابكر بدري ، ثم التحق بكلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم لاحقا) ، كلية الهندسة ، وتخرج منها بتفوق في العام ١٩٣٦ ، ومارس عمله كمهندس بمصلحة سكك حديد السودان بمدينة عطبرة ، وقد كان ملتزما طوال عمله بعطبرة جانب العمال وصغار الموظفين السودانيين في مواجهة عنت وظلم الادارة الانجليزية ، وكان ذلك موقفاً متفرداً وسط كبار الموظفين والمهندسين، وعاملاً حاسماً للدفاع عن مصالح المستضعفين ، في غياب التنظيم النقابي للعمال وصغار الموظفين. ثم ما لبث بحثاً عن الاستقلالية ان استقال من عمله في الحكومة في العام ١٩٤١ ، ليمارس عمله الخاص بعد ذلك في المجال الهندسي، والذي مارسه حتى انطلاقة نشاطه السياسي في منتصف الاربعينات.

في اكتوبر ١٩٤٥ ، عقدت مجموعة من الخريجين اجتماعا بنادى الخريجين بالخرطوم، اسست فيه الحزب الجمهورى، وانتخبت المهندس محمود محمد طه رئيساً له، وما لبث الاستاذ ان دخل في مواجهات حادة مع الادارة الاستعمارية، وتصاعدت الحملة لتصل إلي اعتقال الاستاذ محمود ومجموعة من رفاقه لمدة خمسين يوم، اطلق سراحه بعدها، ثم ما مضى حين إلا واعتقل مرة اخرى، حيث قاد حملة تضامن مع امراة في مدينة رفاعة، اعتقلت لممارستها الختان الفرعونى تجاه ابنتها ليمضى حوالى العامين في السجن، ويخرج منه في العام ١٩٤٩ ، ليدخل في خلوة بمدينة رفاعة استمرت حتى العام ١٩٥١ ، ليخرج بعدها شخصية دينية واضحة، ومذهبية جديدة عرفت في السودان بالفكرة الجمهورية .

مارس الاستاذ من بعدها نشاطه السياسى والفكرى والتعليمي، عن طريق الاشتراكات في النشاطات الوطنية والتحررية، فكان من المناهضين لقانون النشاط الهدام في اوائل الخمسينات، وغيره من القوانين المقيدة للحريات، كما اتجه للكتابة الصحفية، فكانت مقالاته

ورسائله حول القضايا المحلية والإقليمية والعالمية تحتل صفحات الصحف الرئيسية في الخمسينات، ومن بينها صحيفة الحزب قصيرة العمر، الجمهورية، والتي استمرت لمدة ٦ اشهر فقط، اضافة إلى اصدارات الحزب الرسمية، وإلى كتبه التي بدأ سيلها ينهمر منذ اوائل الستينات، والتي توجهها باصداره للكتاب الام للدعوة الجمهورية، والذي ضمن فيه افكاره التجديدية والإصلاحية، تحت عنوان: "الرسالة الثانية من الإسلام" الذي صدرت طبعته الاولى في يناير ١٩٦٧، وصدرت منه بعد ذلك اربع طبعات لاحقة، وترجم للانجليزية، ودارت حوله الكثير من الدراسات والكتب، تراوحت ما بين الاطراء والتأييد، ومحاولات النقد الهادف، والهجوم السلفى عليها بدعوى الكفر والردة والإلحاد.

في سياق ذلك، تعرض الاستاذ محمود الى المؤامرة الاولى تجاهه في العام ١٩٦٨، حيث رفع بعض ممن يسمون أنفسهم برجال الدين قضية ضد الاستاذ محمود امام محكمة للاحوال الشخصية (المحكمة الشرعية) يزعموا فيها بردته، وقامت المحكمة في غياب الاستاذ وتجاهله لها، وكان ان حكمت بغلظة وجهل بردته، وبتطبيق زوجته منه، ودعت إلى حل الحزب الجمهوري وإغلاق دوره ومصادرة ممتلكاته، في سابقة قد تكون هي الاولى في العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين.

كان حكم المحكمة الشرعية سياسياً، وقد كان جزءاً من الحملة الفكرية والدعائية الى قاداتها قوى الطائفية والظلام ضد ثورة اكتوبر ومنجزاتها، والتي اسست على استغلال الدين لاهداف سياسية، فتم تحتها حل الحزب الشيوعي وطرد نوابه من البرلمان، ومطاردة وتحجيم الحركة النقابية، وبناء ديكتاتورية مدنية باسم الدستور الإسلامي. ان اختيار الاستاذ محمود ليكون هدفا لحكم الردة لم يكن عبثاً، فقد كان من ابرز الناشطين في مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية، ومن اكثر الناقدین للطائفية وسياساتها، ومن اكثر المتصدین لدعوات الهوس الديني والظلمية المرفوعة من تنظيم الإخوان المسلمين، فحق بذلك عليه

غضب هذا الحلف غير المقدس من تجار الدين ومستغلى الشعب من قادة البيوتات الطائفية وانصارهم من الجهلاء وغلظ القلوب ممن اسماوا انفسهم زورا بعلماء الدين.

بعد وصول انقلاب مايو ١٩٦٩ إلى السلطة، وحله جميع الاحزاب السياسية، بما فيها نشاط الحزب الجمهوري، فقد انتهى الحزب كتنظيم، بينما ساند الاستاذ محمود ومؤيدوه النظام، باعتباره انقاذاً للبلاد من السياسات الطائفية المعادية للديمقراطية والفكر وفي العام ١٩٧٣ اعاد الاستاذ محمود تنظيم الحركة الجمهورية في صورة جماعة، اخذت اسم الإخوان الجمهوريين، والتي مارست نشاطها الفكري والدعائي منذ ذلك الحين عن طريق توزيع الكتيبات والنشرات والندوات في الجامعات والمعاهد وما اسماه باركان الحوار في الاسواق واماكن التجمعات العامة. وفي كل ذلك واصل الاستاذ تاييده المعلن للنظام حتى العام ١٩٨٣، حيث تم الاختلاف بين النظام والجماعة ، وبدا الاستاذ محمود نشاطه المناهض لسياسات النظام الاصولية المتزايدة، وتعرض من جراء ذلك للاعتقال لاول مرة تحت نظام مايو في اوائل يونيو ١٩٨٣، بعد اصدارالجمهوريين لكتيب ينتقد مباشرة النائب الاول للنميري: عمر محمد الطيب ، ليقتضي فترة حبس دون محاكمة حتى ١٩/١٢/١٩٨٤، حيث اطلق سراح الجمهوريين في خطوة محسوبة ظاهرها العفو، وفي باطنها تدبير مؤامرة جديدة تجاه الاستاذ، الذي ما لبث بعد خروجه ان اصدر بيانا بعنوان "هذا او الطوفان" في ٢٥/١٢/١٩٨٤، ينتقد فيه قوانين سبتمبر وجملة من سياسات السلطة، فما كان من النظام إلا أن اعتقله مرة اخرى في ٥/١/١٩٨٥، وتدبير محكمة - مهزله له واربعة من رفاقه، قامت على قوانين امن الدولة ومواد اثاره الكراهية ضد الدولة ومحاولة قلب نظام الحكم ، وقد رفض الاستاذ محمود مطلق التعامل معها، وحكمت المحكمة على المتهمين بالاعدام. ورفع الحكم إلى محكمة الاستئناف ، والتي لم تناقش جوهر اللقضية وانما اضافت لها اتهاما

بالردة، وهي جريمة لا ينص عليها القانون ، وايدت الحكم ، الذي رفع إلى السفاح نميري، الذي لم يؤيد فحسب وانما اضاف اتهامات جديدة وبينات جديدة، في خرق واضح للقواعد القانونية والقضائية، واعطت محكمة الاستئناف وتأييد السفاح لبقية المتهمين حق التوبة، بينما حجته عن الاستاذ، مما يوضح سوء النية وابعاد المؤامرة التي كان غرضها تصفية الاستاذ، الامر الذي تم في صبيحة الجمعة الحزينة، في ١٨ يناير ١٩٨٥ . وتم نقل جثمانه بطائرة هيلكوبتر حيث تم دفنه بمكان مجهول في الصحراء شمال غرب ام درمان .

كان اغتيال الاستاذ محمود، الشيخ البالغ من العمر ٧٧ عاماً، واحد مؤسسي وقادة الحركة الوطنية السودانية، وواحد من أبرز المفكرين السودانيين، ماساة دامية على جبين عصرنا، وعلامة لا تقبل الجدل على الانحطاط الاخلاقي والعجز الفكري والجبن السياسي لمناهضيه من السلفيين ونظام نميري. فقد تميز الاستاذ محمود، على عكسهم، طوال حياته، بسعة الافق والتسامح الشخصي مع مناهضية، والحوار الراقي والجدل الفكري مع اطروحاتهم، والنشاط السلمي والبعد عن اي مظهر للعنف، في ظل التمسك التام بافكاره ومبادئه، رغماً عن سوء الفهم العام وتشويهات السلفيين لها. ومارس حياة متقشفة زاهدة، ولم يستفد من دعم مناصرية وايمانهم المطلق بشخصه ورسالته، لجلب مكسب مادي لشخصه، كما انه وطوال سنوات تاييده ومسايرته لمايو لم يسع الى مكسب مادي من ذلك التاييد وتلك المسايرة، وحين أتت محاكم النظام الجائرة بحكم مصادرة ممتلكاته، لم يجد المنفذون ما يصادرون غير سرير خشبي شعبي -عنقريب- وبضع بروش، ومنزل مبنى من المواد البلدية - الطين والجالوص _، كان في حقيقته بيتاً للجماعة أكثر منه ملكاً شخصياً للاستاذ، وحزومات من الكتب والمخطوطات احرقوها في شوارع الخرطوم، في ممارسة اعادت للاذهان

تجارب النازية في حرقها للكتب، كمظهر اعمى للعداء للثقافة والفكر والعجز عن الحوار .

ان الاستاذ محمود محمد طه، وغض النظر عن الاختلاف او الاتفاق مع اجتهاداته الفكرية والدينية، وغض النظر عن تقييمنا لمجموعة من مواقفه السياسية، يبقى معبراً رئيسياً لكرامة الفكر والمفكرين في السودان. ومثلاً حياً أبد الدهر، للشجاعة المرتبطة بالوعي، ورمزاً متميزاً عن الانتهازيين من الساسة والمفكرين الذين يبذلون مواقفهم كما يبذلوا ملابسهم، ويذبحون المبادئ الغالية على اعتاب السلطة، وينكسرون امام جهل الجمهور و تحريضات الجهلة أو عنف الخصوم. وجد محمود على غرابة افكاره وعلى جراءة تجديده وعلى اشكالية مواقفه الاجتماعية والسياسية، الاحترام والتقدير من العديد من مفكري السودان والعالم، فلم يكن غريباً ان يكتب عنه الشاعر الفذ محمد المهدي المجذوب ، عند اعتقاله الاول في كوبر ، ممجداً صمود محمود، ومستنكراً أن تضم جدران كوبر الضيقة تلك الهامة الفارعة، ولم يكن غريباً ان يكتب الاستاذ عبدالله الطيب، وهو من سلفية الأفكار والمواقف ، قصيدة رثاء حارة ينعيه فيها بعد استشهاده ، ولم يكن غريباً ان يرفعه في سلم التقدير درجات قادة اليسار الماركسي في السودان ، وهو الذي نقدهم - فكريا - بصورة جذرية، كما لم ينتقدهم احد في السودان، حيث شبه الاستاذ محمد ابراهيم نقد استشهاده ببطولة فرسان القرون الوسطى ، وباستشهاد ود حبوبة وابطال النضال الوطني. وليس غريبا ان يستلهم تراثه ومواقفه وشخصه، العديد ممن لا تربطهم بالفكر الجمهوري صلة، ولا تربطهم به صلة.

تناول كاتب المقال الحالي شخص الاستاذ محمود ومواقفه في غير هذا المجال، ونحاول في عملنا الحالي، ان نستخلص القيمة الكامنة في نشاط الاستاذ ، ليس بالتبجيل والتقديس الاعمى ، كما درج بعض تلاميذه ولا بالرفض والتشويه المغرض، كما درج على ذلك اعداؤه، وانما بالتحليل

والنقد الواعى، لتنقيح الايجابي والسلبي من تراثه، واستخلاص الحكمة الباقية من سيرة حياته وجهاده، و فكره واستشهاده، فى جهد نؤمن بانه لو تواصل، فسيكون هو التقدير الحقيقى للاستاذ، والمواصاة الحقيقية لرسالته، فى اعلاء راية الفكر والبحث عن الحقيقة والبحث عن بديل يسعد الفرد ويصلح من حال الوطن والشعب.

الحركة الجمهورية: البدايات والنمو والتطور:

بدأت الحركة الفكرية -الدينية -السياسية التي عرفت لاحقاً بحركة الإخوان الجمهوريين نشاطها كأحد أوائل الأحزاب السياسية السودانية فى النصف الثانى من الأربعينات، باسم الحزب الجمهورى تحت قيادة المهندس محمود محمد طه، والذي عرف لاحقاً بالاستاذ، وهو اللقب الذي أطلقه عليه مؤيدوه، وانتهى نشاطها الرسمي، فى العام ١٩٨٥، فى اعقاب المحكمة الجائرة وإعدام مؤسسها وقائدها فى يناير ١٩٨٥، فى واحدة من أكبر مآسي الفكر والحرية فى تاريخ السودان الحديث.

ان الحزب الجمهورى الذي تأسس فى اكتوبر ١٩٤٥، قد كان من اوائل الاحزاب السياسية السودانية التى يمكن ان نطلق عليها حركات القوى الجديدة، فقد تناءى منذ قيامه عن الطائفية، وقام على اكتاف مجموعات من المثقفين والخريجين والطلاب، وهى القاعدة التى ظل يستقى منها نفوذه، والتي انحصرت فيها الحركة الجمهورية، حيث لم تتوسع الى صفوف العمال والمزارعين، الامر الذي نجحت فيه بمقدار الحركة اليسارية التي عاصرتة فى النشأة، كما أن الحزب قام واستند طوال تاريخه ، ومن بعد ذلك استندت الجماعة، على النفوذ العظيم للاستاذ محمود محمد طه القائد الفكري والسياسي والروحي للحزب، ومن بعد ذلك لجماعة الإخوان الجمهوريين .

لا بد ان يقر المتابع للتاريخ الحديث بالدور الايجابي الذي لعبه الحزب الجمهوري عشية الاستقلال، فقد نشأ هذا الحزب على اسس وطنية واضحة، وتناهى عن دعوات الوحدة تحت التاج المصري التي قامت عليها دعاية الاحزاب الاتحادية، كما ناهض حزب الامة المؤيد حينها للادارة الانجليزية تحت شعاره المخادع: " السودان للسودانيين "، كما عارض بصورة واضحة الدعوة الملكية المضمنة في خطاب حزب الامة والانصار، طارحاً بديلاً جديداً هو "الجمهورية السودانية المستقلة". وقد أرخ الاستاذ احمد خير المحامى لذلك في كتابه الرائد "كفاح جيل"، فكتب الاتي عن الحزب الجمهوري:

(ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحادية والانفصالية، نشأ الحزب الجمهوري، وهو حزب ينادي باستقلال السودان عن مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية. ولقد همس بالفكرة جماعة من أنصار الوضع الحاضر، وكانت تبدو حلاً وسطاً وقنطرة يلتقي عندها دعاة الوحدة والوئام من صفوف الفريقيين، ولكنها لم تلق رواجاً لأن أساسها انفصالي. وبعد فترة من الزمن نادى بها رئيس واعضاء الحزب الجمهوري القائم الان.

لقد برهن رجال الحزب الجمهوري على صدق عزمهم وقوة إيمانهم، لذلك يتمتعون باحترام الجميع. كما برهن رئيسهم على إخلاص وصلابة وشدة مراس، ولعل هذه الأسباب هي نفسها التي جعلتهم يقفون في عزلة وانفراد، غير ان شدة العداء بين الجمهوريين وحزب الامة، قدم دليلاً جديداً لعله الأقطع على انطواء الاخيرين على فكرة الملكية. فالحزبان استقلاليان، ولما لم يكن بين الجمهورية والملكية توسط، كان من

البديهي أن تقوم الملكية في الجانب الثاني، بعد ان قامت الجمهورية في الاول، وإلا لما كان هناك مجال لعدم التعاون أو الإندماج^١

لا تحمل الكلمات السابقة أي مبالغة ، فقد اشترك الجمهوريون في كل النشاطات الوطنية من اجل الاستقلال ، كما تعرضوا للملاحقة والسجن من جراء نشاطاتهم هذه ، واعتقل وحوكم وسجن الاستاذ محمود مرتين، لمدة خمسين يوم في المرة الاولى، اطلق سراحه بعدها إثر التضامن الواسع الذي لقيه من مواطنى مسقط راسه رفاعة، ومؤيدي الحزب الجمهوري وناشطي الحركة الوطنية، وفي المرة الثانية لمدة اطول، خرج بعدها الاستاذ محمود ليدخل في خلوة استمرت قرابة العامين، ليخرج منها بافكاره الدينية التي كونت لب الدعوة الاصلاحية اللاحقة، والتي عرفت بها الفكرة الجمهورية. يزعم الجمهوريون الذين يرصدون تلك المواقف في تأريخهم للحركة في هذه الفترة، أن الاستاذ محمود هو أول سجين سياسي في السودان! قد يكون رأيهم صحيحاً، إذا ما اضافوا: بعد معتقلي مناهضة الغزو الانجليزي المصري من ثوار المهديّة، ومساجين مختلف التمردات والثورات ضد المستعمر الانجليزي، وبعد ثورة ١٩٢٤، والتي أمضي قاداتها السنين الطوال في سجون المستعمر، واستشهدوا بها، ومن بينهم زعيما الحركة عبيد حاج الامين وعلى عبد اللطيف، فقد استشهد الاول منهما سجيناً في العام ١٩٣٣ والثاني في العام ١٩٤٨، في محبسه الاخير بمصحة العباسية بمصر، بعد ٢٤ عاما من انطلاق الثورة.

اننا في تأريخنا للحركة الجمهورية، نرصد انها قامت على اسس سياسية وطنية، وفق برنامج ليبرالي واضح، وأن الحزب قد تجمد عمليا في نهاية

^١ الأستاذ أحمد خير المحامي - كفاح جيل - دار جامعة الخرطوم للنشر -

الخرطوم - الطبعة الثالثة ١٩٩٩ - صفحات ١٥٥-١٥٦

الاربعينات، وذلك بدخول رئيسه في خلوته، وذلك حتى العام ١٩٥١، وهو عام خروج الاستاذ من خلوته حيث بدأت النزعات الدينية تظهر في خطاب الاستاذ والحزب، وتأسس عليها ايديولوجيته الجديدة. واصل الحزب نشاطه طوال الخمسينات في معركة الاستقلال والحريات، وفي مناهضة الاحزاب والسياسات الطائفية، الا انه سيظل حزبا صغيرا، غائبا عن التأييد الشعبي، رغم النفوذ العظيم والاحترام الكبير لقائده على مستوى المثقفين وناشطي الحركة السياسية، وسيستمر في النشاط حتى انقلاب الفريق عبود في العام ١٩٥٨، والذي حل جميع الاحزاب السياسية، ليدخل الحزب في تجميد جديد لنشاطه، عدا عن اخراج اصدارات متقطعة لمحمود، منها الكتيب الرائد في دعوتهم " الإسلام "، والذي صدر في العام ١٩٦٠، عقب فصل ثلاثة من الطلبة الجمهوريين من المعهد العلمي، والضجة والتشويه الذي دار في ذلك المعهد عن الفكرة الجمهورية، وفيما عدا ذلك فقد سجلوا سلبية واضحة وغياباً شبه تام عن العمل السياسي، حتى ثورة اكتوبر ١٩٦٤.

واصل الجمهوريون نشاطهم بعد ثورة اكتوبر، في اطار الحزب الجمهوري الذي اعاد تكوين نفسه، وتركز نشاطهم على دعم ثورة اكتوبر ومنجزاتها، ومحاربة سياسية القوى الطائفية المعادية للديمقراطية، وعلى عملهم الفكري والدعائي في نشر وتعميم دعوة الاستاذ محمود التجديدية والاصلاحية، فكان اشتراكهم في مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية، وفي الكتابة الصحفية، وشهدت هذه الفترة اصدار مجموعة من اهم كتبهم التي تحوى الدعوة التجديدية للاستاذ محمود منها "رسالة الصلاة" يناير ١٩٦٦، و "طريق محمد" مارس ١٩٦٦، و "الرسالة الثانية من الإسلام" المشار اليه قبلاً، و "الإسلام برسالته الاولى لا يصلح لانسانية القرن العشرين" يناير ١٩٦٩، وغيرها. كما أسهموا في النقاش والصراع حول مختلف القضايا السياسية المحلية والعالمية، فكانت لهم رؤيتهم حول مشكلة الشرق الاوسط، وتميزوا بموقف مضاد

لنناصريّة والكتلة الشيوعيّة، كما تصدوا لدعوة الدستور الإسلامي المطروحة من قبل الأحزاب الطائفية والاصولية بالمعارضة والنقد والتحليل، إضافة للتصدي للدعاية السلفية والاصولية لحركة الإخوان المسلمين الناهضة حينها، وكان لهم اسهامهم في معارك حماية الدستور والحقوق الاساسية، في ظل موقف واضح ومبدئي من الأحزاب الطائفية وقيادتها وسياساتها وحكوماتها.

من الحزب الى الجماعة: جدل الدينى والسياسى فى تطور الحركة الجمهوريّة:

بعد قيام انقلاب مايو فى العام ١٩٦٩ ، وحله لجميع الأحزاب السياسيّة، تعطل الحزب الجمهورى ، وابتعد قائده واعضاؤه عن ساحة النشاط العام، رغم ترحيبهم بمايو واعتبارها انقاذا للبلاد من السياسات الطائفية، ليعودوا وينظموا انفسهم من جديد ، فى العام ١٩٧٢، ليس كحزب سياسى هذه المرة، وانما كجماعة دينية -اجتماعية -تربوية اطلقت على نفسها وفكرها ابتداءً اسم الدعوة الإسلامية الجديدة، ثم ما لبثت ان تحولت عنه الى الإخوان الجمهوريين ، وهو الاسم الذى عرفت به من ذلك الحين، والذي لا يزال قيد الاستعمال ، وان كان بعض اتباع الفكرة قد تخلى عنه بعد التوقف شبه الرسمى لنشاط الجماعة بعد استشهاد الاستاذ، وفضلوا ان يستعملوا بديلا عنه اسم الحركة الجمهوريّة، للدلالة على مجمل تراث الجمهوريين، فى تحولاتهم التنظيمية المختلفة، وأطلقوا على اغلب التراث الفكرى الذى خلفه محمود، وانجزته الحركة فى تطوراتها المختلفة، اسم الفكرة الجمهوريّة .

ان اعادة تاسيس الحركة باسم الإخوان الجمهوريين ينبع فى اعتقادنا من سببين رئيسيين، الاول منهما سياسى، وهو عدم سماح النظام المايوي لاي شكل من اشكال النشاط السياسى المستقل خارج إطار مؤسساته

الواحدية، والتي كانت حينها ذات طابع علماني واضح، في الوقت الذي تسامح فيه الى حد كبير مع قيام ونشاط الكثير من الحركات الدينية على اختلاف مشاربها، بدءاً من الحركات والتجمعات الصوفية الصغيرة والمتعددة، مروراً بحركة أنصار السنة السلفية، وانتهاءً بحركة الجمهوريين التجديدية. كان نظام مايو يرمي بهذا الشكل الى تحييد هذه القوى او الى جلبها لمواقع التأييد له، مقابل السماح لها بنشاطها "الديني"-التعبوي ومن الجهة الاخرى فقد كان يلعب على تناقضاتها ويستخدمها بذكاء في مناوآراته السياسية، ضد بعضها البعض او ضد أطراف اخرى، مع عدم قطع شعرة معاوية مع اي منها. فقد كانت في اختيار الاستاذ محمود شكل الجماعة الدينية قراءة واقعية لمجال العمل المتاح، في نفس الوقت الذي كان فيه تقبل النظام لاعادة تاسيس الحركة ونشاطها نابعا من قراءته لها كجماعة صغيرة محدودة التأثير شعبياً وغير مضرّة سياسياً، وهي في المحصلة مؤيدة له.

الا ان السبب الاساس يكمن في اعتقادنا في طبيعة التحولات الفكرية التي تراكمت في مسيرة الاستاذ محمود، والتحولات الاجتماعية التي طرأت على تركيبة الحركة، وفي مجمل الكيان الاجتماعي السوداني، لتحول الحركة من تنظيم وطني سياسي معاد للاستعمار الى حركة دينية وتربوية وربما صوفية في المقام الاول، كما استقرت عليه الحركة في العقد الاخير لنشاطها.

كانت النزعات الدينية في شخصية الاستاذ ظاهرة منذ البدء، بل حتى حملة التضامن مع امراة رفاة قد فجرت من داخل المساجد، إضافة إلى المسلكيات الدينية والصوفية للاستاذ في فترة السجن وفي خلوته الطويلة، حيث مارس الاستاذ الصيام بكثافة في فترة السجن، الامر الذي فسره بعض مؤيديه وناشطي الحركة الوطنية كاضراب عن الطعام وشكل من اشكال مقاومة الاستعمار. الا ان دخول الاستاذ في خلوة لمدة عامين بعد خروجه من السجن والتعطيل العملي لنشاط الحزب في هذه

الفترة، والشخصية الدينية الطاغية التي خرج بها بعد انتهاء خلوته، قد وسمت الحركة بهذا الطابع الديني المتزايد، والذي تجلى في اول خطاب للاستاذ حول الحزب الجمهورى ومبادئه بعد خروجه من خلوته، حيث ابرز المبادئ السياسية التي يقوم عليها الحزب، فرأى المهمة الاولى في الجلاء، ووضح موقفاً مستقلاً من القائلين بالتعاون مع الاستعمار البريطاني، والداعين الى التعاون مع مصر، و دعا الى زمالة جهاد مع المصريين، لا إلى زمالة وحدة او اتحاد، و اوضح معالم سياسة الحزب في الدعوة للجمهورية السودانية، التي تتطلب ضم كل الصفوف، لانجاز الجلاء التام، واقامة الجمهورية السودانية التي تتحقق فيها العدالة الاجتماعية والحرية الفردية.

الا ان هذه المبادئ السياسية الواضحة، قد ارتبطت بفكرة دينية منذ البدء، حيث شن الاستاذ هجوماً فكرياً مكثفاً على الأنظمة الراسمالية الغربية، والانظمة الشيوعية، والتي ارجعها الى مصدر واحد هو المادية الغربية، ودعا الى بديل جديد هو الديمقراطية الشعبية، والتي رأى فلسفتها الاجتماعية في الإسلام، لأنه الفلسفة التي جمعت بين الروح والمادة، والقادرة على تحقيق الحرية الفردية، والعدالة الاجتماعية.

كما رأى الاستاذ في نفس الخطاب ان الوحدة الوطنية وجمع الصفوف لا تتم الا تحت راية الإسلام، والذي رأى فيه الفكرة الجامعة، والمدخل للحكم الصالح، والحافز للجهاد الصادق، هذا الجهاد الذي ينتهي باحدى الحسينيين، اما شرف الشهادة، او عزة النصر.

ويختم الاستاذ خطابه بالقول:

(ان حركتنا الوطنية لا يمكن ان تحقق طائلا الا إذا جمعت اشتات الفرق، والطوائف، والاحزاب، ايضا، حول الفكرة الخالدة التي جاء بها الإسلام، والتي

اشرت اليها انفا، والتي اجتمع عليه أوائلنا، فحقتوا العزة، والحرية والعدل، ولن تجد
سودانياً واحداً يتخلف عن دعوة تجمع بين عز الدنيا، وشرف الآخرة.)^١

ان قراءة تحليلية لهذا الخطاب، والذي يشكل إحدى الوثائق الأولى
للحركة، إضافة إلى السفر الأول للجمهوريين (بمثابة وثيقة التأسيس)،
توضح جملة حقائق رئيسية، هي:

- ان الدعوة الجمهورية هي دعوة فكرية، حملت منذ تأسيسها
مبادئ سياسية راقية، من دعوتها الى الحرية الفردية،
والعدالة الاجتماعية، في ظل جمهورية سودانية فدرالية، وفي
موقف واضح من رفض الانزلاق لمساندة طرفي الحكم
الاجنبي، والذي تورطت فيه الاحزاب الطائفية والاتحادية، مع
موقف مصادم من الاستعمار، ومطلب واضح في الجلاء
التام.
- ان هذه الدعوة قد ارتبطت منذ البدء بموقف سلبي حاسم،
من المؤسسات والنظم السياسية الغربية، في صورتها
الراسمالية او الشيوعية، ودعت الى فكرة إسلامية بديلة
عنهما، رأت أنها تؤدي الى تحقيق نظام الحكم الصالح القائم
على تحقيق الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية.
- ان الدعوة الإسلامية للاستاذ في مطلعها، ورغم بعض
الملاحم التجديدية، الا انها كانت تقليدية وسلفية الى حد
كبير، كما قامت على حشد الشعور الوطني من مواقع

^١ التلخيص والفقرة المقتبسة من: البيان الذي القاه رئيس الحزب الجمهوري في
الاجتماع العام للحزب، الخرطوم، ٣٠-١٠-١٩٥١،

https://www.alfikra.org/book_view_a.php?book_id=٢

الحماسة الدينية، كما تجلى ذلك عمليا في حملة الدفاع عن امارة رفاعة، ونظرياً في الخطاب المشار اليه.

ان هذه الدعوة، قد قامت على اسس تؤدي عمليا الى تدين السياسة،
والى استبعاد غير المسلمين من إطار الفكرة والحركة، اللهم الا اذ تقبلوا
الإسلام كحل وفلسفة ونظام للحكم، الامر الذي طرحته الحركة فيما بعد
كبديل شامل للانسانية.

فقد ذهبنا في مقال آخر (تأملات في افق المعرفة والشهادة ، في موت
وحياة محمود محمد طه)، الى أن قيام الحركة في وقت تصاعد فيه
النضال ضد الاستعمار، وبدأ فيه نمو الاحزاب والتيارات الفكرية
والسياسية، قد فرض عليها شكلاً من النشاط السياسي والتنظيمي
بدات وانطلقت منه، وهو شكل الحزب السياسي، ونضيف هنا ان
شخصية الاستاذ الصوفية ، وتوجهاته الدينية، قد جرت الحركة تدريجياً
الى مواقع دينية تتعزز باستمرار، حيث سيتضاءل العامل السياسي
الاول بجلاء الاستعمار ومجئ الحكومات الوطنية، وخصوصا تحت
الانظمة العسكرية ، في مقابل توجه اكثر نحو الجانب الديني. ان ما يثير
الإهتمام هنا هو هجر الحزب الجمهوري للعملية الانتخابية ووسائل
الحشد والنشاط الجماهيري العام، منذ تحقيق الاستقلال، وهي الأشكال
التقليدية للممارسة السياسية، والتركيز في المقابل على العمل الفكري
والتربوي، والمخاطبة الشخصية، مع الاحتفاظ بالحد الأدنى من الروابط
التنظيمية، والتي كفلت لحزبهم في البدء ولجماعتهم من بعد سبل
البقاء والحركة والانتشار، الامر الذي استمر حتى استشهاد الاستاذ
والحل شبه الرسمي للحركة.

الإخوان الجمهوريين: في دلالات الاسم:

اننا هنا لا نملك الا ان نعلق على التسمية التي اختارها الجمهوريون لتنظيمهم، بعد خروجهم من مرحلة الحزب، وهي تسمية : الإخوان الجمهوريين. فالتسمية في شكل ما تؤكد الطبيعة الدينية للتنظيم، كونها غالبا تعتمد على مرجعية الحديث النبوي الذي يستشهد به الجمهوريون كثيرا، والقائل: "وا شوقاه لإخواني الذين لم ياتوا بعد !! قالوا : او لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أتم اصحابي. الخ". اننا لا نفى هنا ايضا امكانية التاثر و/أو المعارضة في آن بتجربة وتسمية الإخوان المسلمين القديمة والراسخة، وهي الحركة ذات الاصول الدينية الاكثر ديناميكية ونشاطا في البلدان العربية والبلدان ذات الاغلبية الإسلامية في الاربعينات والخمسينات (وقت تاسيس الحزب الجمهورى)، وفي السودان في الستينات والسبعينات (عند الانتقال الى مرحلة الإخوان الجمهوريين). وفي الحقيقة فان مقارنة هاتين الحركتين توضح انهما قد تطورتا في اتجاه مناقض، فحين بدأ الجمهوريون كحزب سياسى، ما لبث مع الزمن أن تحول إلى حركة دينية تجديدية وتربوية، فان حركة الإخوان المسلمين قد قامت في البدء كحركة اصلاحية تربوية دينية، لكيما تتحول مع الأيام إلى حركة سياسية صرفه، تمارس السياسة وتدخل اليها من أردأ ابوابها. نقطة اخرى تستحق التعليق في التسمية، وهي طابعها الذكورى الواضح، الدلالة على مجمل التنظيم، فرغم ان الجمهوريين في حديثهم عن عضواتهن من النساء قد كانوا يرمزوا اليهن بالاخوات الجمهوريات، إلا أن تسميتهم للتنظيم ككل قد كانت ذكورية بحتة: الإخوان الجمهوريين. ان هذا الموقف يوضح حجم القيود التي تضعها آليات الفكر الدينى والنصوص المرجعية الدينية حتى على حركة تدعي لنفسها التجديد في فهم وطرح الإسلام، وعلى الطابع المحدود والمحافظ لتقدمية

الحركة في مجال موقفها من المرأة، والذي نتمنى ان تناقشه لاحقا في
ثنايا هذ المقال.

من هم الإخوان الجمهوريين؟ محاولة للتشريح الاجتماعي:

رغما عن عدم توفر احصائيات لنا وتحليلات اجتماعية وفتوية لعضوية الإخوان الجمهوريين ، ورغم التقلبات التي طرأت على الحركة من بدايتها كحزب وطني متطرف ، وانتقالها الى حزب سياسي -ديني، وانتهائها إلى جماعة دينية تربوية في المقام الأول، ورغمًا عن طول الفترة الزمنية التي يغطيها مقالنا (اربعين عاما)، والتغير الطبيعي في تركيب الحركة بين الاجيال والافراد، وغيرها من العوائق الموضوعية، إلا أننا في هذه الفقرة نغامر بمحاولة للتشريح الاجتماعي، لمعرفة الاصول الاجتماعية والفكرية لللاخ الجمهوري، من هو الاخ الجمهوري، وما هي جملة الخلفيات الاجتماعية والفكرية التي جعلت مجموعات من النساء والرجال عبر اربعين عام تنتمى الى هذه الحركة المتفردة في مجالي السياسة والفكر في السودان ؟

ان متابعة بسيطة وشخصية لحركة الإخوان الجمهوريين في أواخر السبعينات والنصف الأول من الثمانينات، في مدينة عطبرة (والتي قد تكون مثلاً نموذجياً لمراكز تجمعات ونشاط الجمهوريين)، قد اوضحت لنا ان الاغلبية العظمى من مؤيدي الفكرة الجمهورية تتكون من شريحة المثقفين، ونعني هنا تحديداً الطلاب، صغار المثقفين، المعلمين، الخ. اي بلغة اخرى، هي شريحة تنتمي الى فئة الافندية السودانية، او لو شئت المصطلحات الطبقيه فهي تنتمي الفئات المثقفة والمحدودة الدخل من الطبقة الوسطى السودانية. اننا نلاحظ قلة عدد الجمهوريين وسط جماهير العمال والمزارعين، وربما انعدامهم وسط الرعاة. فإذا سلمنا بالصفة التمثيلية للجمهوريين في مدينة عطبرة، وإذا استثنينا المخضرمين من الجمهوريين ممن تابعوا الحركة منذ بدايتها، ومجموعات الأطفال والايافع الذين انضموا الى الحركة من منطلق التأثير الاسرى، فيمكننا ان نرصد ان الحركة، في فترة السبعينات والثمانينات

على الاقل، قد كانت حركة تضم شرائح المثقفين المدينين، الشباب، والمثقفين من ذوي الاصول الريفية القريبة من المدن، او الذين عاشوا ودرسوا بالمدن، من بنات وابناء وسط وشمال السودان.

فهذه الشريحة من الشباب المدني المثقف كانت دائماً في واقع السودان الاكثر ديناميكية وفعالية على مستوى النشاط الفكري والسياسي، وإن كان اتجاه ميولاتها قد انقسم طوال الفترة مدار البحث ما بين التيارات والتنظيمات اليسارية والسلفية، مع هامش صغير وسطها داعم للحزب التقليدية، هذا إذا استثنينا بروز ظاهرة المستقلين وسط الطلاب في السبعينات والثمانينات لظروف متعددة ليس هنا مجال ذكرها. فإين هو موقع الإخوان الجمهوريين وسط هذا التقسيم العام؟

في اعتقادي ان الشباب من الجمهوريين، وقد تلقوا قسطاً من التعليم الاكاديمي والوعي بما يسمح لهم بتجاوز الاطر الطائفية في الفكر والؤلاء، ووجهوا باختيار مؤلم ومعادلة صعبة، وهم ينظروا الى الساحة السياسية والفكرية حينها، ما بين التوجه والانضمام الى التنظيمات السلفية والاصولية، وهي التي طرحت لفترة طويلة فكراً جامداً ومسطحاً، لا يجيب على الكثير من التساؤلات الاجتماعية ولا يستوعب ضرورات العصر، والتغييرات المختمرة في احشاء المجتمع السوداني، (في تلك المرحلة من تطوره)، وبين التوجه الرايكالي الثوري للتنظيمات اليسارية على اختلاف مشاربها، والتي بتركيزها على قضايا سياسية واجتماعية جذرية، وبطابعها العلماني الواضح، لم تكن قادرة على اختراق البنية والخلفية النفسية والفكرية التقليدية لشباب منحدرين من بيئة تقليدية دينية، واغلبهم ذو الترابطات ريفية، مليئة بالكثير من الافكار والمفاهيم والارث التقليدي والصوفي، الامر الذي يكثر وجوده في ريف وحضر شمال ووسط السودان.

بهذا المعنى، فإن الفكرة الجمهورية والحركة الجمهورية قد كانت اختياراً نموذجياً وحلاً وحيداً، في غياب وجود حركة ليبرالية وسطية قوية ومستقرة في الفضاء السياسي، لشرائح من الشباب المتعلم والحساس، ممن لم تكسر بعد حواجزها الأخيرة مع التقليدي، وفي نفس الوقت كفت عن ان تتقبله كاملاً. انه اختيار وسطي بجدارة، بين سلفية الإخوان المسلمين والتي قدمت اجتراراً مريضاً لفكر السلف، وإن بواجهات حديثة، وبين راديكالية الحركات اليسارية والثورية، والتي افترضت درجة أكبر وأكثر حدة من الانقطاع عن الفكر والخلفية والبيئية التقليدية لمجتمع شمال السودان، ودرجة اوضح من الالتزام التنظيمي والسياسي.

فأصبح الفكر الجمهوري هو البديل المتاح حينها في هذه المعادلة الصعبة، حيث كان يهدف الى تطويع الدين مع متغيرات الحياة العصرية (قدمنا الإسلام في المستوى العلمى الذي يظفر بحل مشكلات الحياة المعاصرة).^{١١} ان الفكرة الجمهورية، كدعوة دينية تجديدية، مطعمة بعناصر صوفية، وملطفة بعناصر اخلاقية، وكحركة اصلاح اجتماعي داعية الى طريقة سلمية للتغيير قائمة على تربية الافراد والاصلاح الاجتماعي، وليس عن طريق اجراء تغييرات ثورية مرتبطة غالباً بشكل من اشكال الممارسات العنيفة، (ثورة، انقلاب، مصادمات مسلحة)، كما كان الامر في كل من ايدولوجية الإخوان المسلمين واليساريين، قد كانت تشكل الملجا الوحيد لهذه الفئة الوسطية المتارجحة ما بين الارث التقليدى المتراكم وطموح الحداثة وتياراتها الجارفة.

اننا نزعم انه في طبيعة الخلفيات التقليدية للشرائح المتعلمة السودانية، وابوية وسلمية التكوينات الاجتماعية في شمال السودان،

^{١١} بيان: هذا او الطوفان

وطابع التعليم الذي تتعايش فيه المتناقضات من المفاهيم العلمية والخرافات الشعبية ومؤثرات الفكر الديني، تكمن الاسباب التي تحفز على قيام حركة مثل حركة الإخوان الجمهوريين، وعلى انضمام الفئات المذكورة الى صفوفها، رغما عن كل الحديث الصفوى عن الذكاء والاذكياء فى فهم الإسلام والعصر، والذي كان يبرر به الجمهوريون اختياراتهم الفكرية والسياسية.

الحركة الجمهورية اشكال النشاط والدعوة- الطابع السلمي والاتصال الفردي:

تميز نشاط الإخوان الجمهوريين بتفرد مميز، طوال سنوات نشاطهم عن بقية تيارات الحركة الفكرية والسياسية فى السودان، فى مجال الدعوة والتنظيم، مما يمكن اجمالها فى التالى:

- **انعدام النشاط المعارض او التصادم مع السلطات.**
- **الطابع السلمي للنشاط والدعوة.**
- **الاتصال الفردي والمخاطبة الشخصية لكسب التأييد.**

ان الخاصية الاولى، ورغم النشاط المصادم للجمهوريين، ومحمود شخصيا، ضد الحكم الاستعمارى، وضد نظام مايو بعد قوانين سبتمبر، الا أنها تبدو لنا واضحة خلال موقفهم من نظامي الفريق ابراهيم عبود التى كانوا يتعرضون لها، ضمن بقية مكونات القوى الفكرية والسياسية، ومجمل قطاعات الشعب السوداني. بل ان محمود قد وجه الى الفريق عبود رسالة ينصحه فيها بتطبيق افكار الجمهوريين، وتبنى مقترحاتهم الدستورية فى بداية عهده، الامر الذي واجهه الفريق عبود بالتجاهل التام.

ان هذا الموقف السلبي، اي انعدام النشاط المعارض، قد تحول ايجابياً بعد مايو، حيث دعم الجمهوريون النظام، وأعلنوا ذلك في نشراتهم ومواقفهم، رغم الاختلافات الفكرية بينهما، الا انهم عدوا النظام خيراً من تحالف الطائفية والاصولية، واعتبروه مرحلة انتقالية لكيما يتأهل الشعب بالتربية لاستشراف الحرية والنظام الإسلامي الصالح.

ان انعدام النشاط المعارض هذا، قد يكون جزءاً من مفهوم " التقية " الممارسة من قبل الكثير من الحركات الإسلامية والصوفية السابقة، لحقن الدماء وحفظ المال والبدن. وربما كان لدواع تكتيكية، تتمثل في الاستفادة من تسامح السلطة للنشاط الاعلامي والدعوي. الا ان الباعث الاساسي يكمن في نظري في طبيعة فكرهم الاصلاحى والسلمي، وفي انعدام الافق السياسي الجذري في حركتهم، وفي الطابع الصفوي لها، والذي يركز على تربية الافراد أكثر مما يركز على استنهاض الجمهور والثورة. وعموما فلنا عودة في فقرة قادمة لهذه الثيمة.

اما الخاصية السلمية في نشاط الجمهوريين الواضحة، وموقفهم في عدم الرد لمواجهة القوى السلفية (الإخوان المسلمين وأنصار السنة تحديداً)، وفي مواجهة العنف البدني واللفظي تجاههم في العديد من المحافل والمواقع، فقد وصلت الى مراحل متطرفة. فكم من اعتداءات تمت تجاههم في الجامعات والمدارس بل وحتى في الشوارع، تعرضت فيها كوادرهم للضرب والتجريح، دون ان تحرك فيهم ساكناً. بل ان الاستاذ محمود نفسه لم يسلم من هذا العنف في مناسبات مختلفة، والذي كانت قمته في اغتياله الدامي بيد السفاح نميري. ان موت محمود بالطريقة التي تم بها، والتسليم او الاستسلام الذي واجهت به حركتهم هذه المحنة، يدل على نوع متطرف من الروح السلمية وانعدام روح المصادمة في بنيتهم.

هذا الطابع السلمى، قد يجد جذوره في طبيعة الفكر الصوفي نفسه، وهو في رأينا نبع أساسي ومرجع فكري ومسلك رئيسي للاستاذ

والجمهوريين. ففى مسلك اقطاب الصوفية الذين ووجهوا بالمحن، وتميزوا بروح عالية من المسالمة، يكمن قدر كبير من التسامح الفكري والسياسي. هذا التسامح والروح السلمية، تسنده صفوية الفكر والفعل الصوفي نفسه، اضافة الى معرفة الصوفيين (ومن بعدهم الجمهوريين)، بتفرد طريقهم وغرابته للعامه واهل الشريعة، حيث جاء فى الاثر الصوفي (لا يبلغ أحد درج الحقيقة، حتى يشهد فيه ألف صديق، بانه زنديق" الجنيد"). وفى نفس الاتجاه كان الجمهوريون يكررون الحديث النبوي (جاء الدين غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء). أضف الى ذلك تسليم مطلق لله، وفق فهم راسخ بان كل ما فى الكون، وفى حياة الانسان، انما يجري بمسيرته، ولذلك فقد كان مقتل مختلف الصوفيين، مربوط بنوع من الاستسلام اللامبالي بالمصير، وانعدام اي نوع من المقاومة تجاه الجلادين، واستشهاد محمود فى ذلك لا يشكل استثناء.

غير هذه المصادر المرجعية، فاننا نرجح مصدراً آخر يمكن ان يكون له تأثيره فى تكوين الروح السلمية عند الاستاذ والجمهوريين، وهو ظاهرة المقاومة السلمية لغاندي (satia graha) فى فترة نهاية الثلاثينات والاربعينات، وهي فترة التكون النفسي والسياسي والفكري لمحمود. ان هذا الاستنتاج غير مستبعد، إذا ما علمنا بان منهج غاندي السلمي، قد تجاوز حدود الهند، الى العديد من المجتمعات الشرقية والغربية. فقد اثرت تكتيكات غاندي لفترة طويلة على النهج السلمي لحزب المؤتمر الوطني الافريقي فى جنوب افريقيا، وهي البلد التي عاش ونشط فيها غاندي لفترة من الزمن، كما امتد الى المنهج السلمي لمارتن لوثر كنج، والتيار الذي قاده فى حركة الحقوق المدنية لنزوح امريكا. اننا لا نبالغ بالقول ان هذا المنهج قد إثر حتى على بعض القوى اليسارية الماركسية، وهي التي لا تستبعد العنف فى العمل السياسي، وترى فيه مرات قابلة التاريخ (ماركس). ان محمد ابراهيم نقد قد اشار الى ان احد جذور فكرة الاضراب السياسي، ترجع لممارسات وتكتيكات غاندي فى

افريقيا وفي نضاله من اجل التحرر الوطني في الهند، وقد تم من بعد تبني الاضراب السياسي العام، وهو اسلوب سلمي في مجمله، في ارث واستراتيجية اليسار السوداني، كاداة اساسية للنضال والتغيير.¹

اننا ورغمًا عن عدم توفر دلائل اكيده على وجود هذا التأثير الغاندوي، الا انه محتمل جدا في نظرنا، بطبيعة التكوين الفكري والنفسي لمحمود، واتباعه من الجمهوريين، وتقارب الجذور الفلسفية للفكر الهندي الذي استقى منه غاندي، مع الاصول الفكرية والمرجععية الصوفية التي استند عليها محمود. اننا نزعم هنا ان في حياة الرجلين تشابهات أعمق، ليس هنا مجال دراستها، ولذلك فاننا لا نراها مجرد بلاغة لفظية، حينما وصفت صحيفة اللوموند الفرنسية محمود بعد بموته، بأنه "غاندي افريقيا".

خاصية اخرى في نشاط الجمهوريين، وهي اتصالهم الفردي والمباشر مع الجمهور، عن طريق جماعاتهم الصغيرة التي توزع وتبيع مطبوعاتهم في الاسواق والشوارع والبيوت، في ممارسة قريبة لنشاط "شهود يهوه" في امريكا واوروبا، وكذلك عن طريق المخاطبة المباشرة، عن طريق اركان النقاش التي كانوا يقيمونها في اماكن التجمعات العامة، والتي اسموها "بمنابر الحوار". واخيرا عن طريق المؤسسة المسماة ببيت الجمهوريين، والذي كان يتبع لهم في كل مدينة لهم بها بعض الوجود. فقد كانت في هذا الاتصال المباشر محاولة للاتصال مع الشعب عن طريق اللسان، وهو الطريق الاكثر قربًا من المواطن، اضافة إلى سيطرة الحكومة على وسائل الاعلام العامة، وقد كان هذا الاتصال ميسورا لهم، حيثما لم يكونوا واقعين تحت ضغوط العمل السري، والتي وقعت فيها التنظيمات السياسية المعارضة من أطراف اليسار واليمين. اما

¹ من ندوة لمحمد ابراهيم نقد، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، اكتوبر ١٩٨٥.

مؤسسة بيت الجمهوريين، فقد كانت محاولة عصرية، لبناء المسيد او المثابة، التى تمارس فيها واجبات دينية (الصلاة والذكر) اضافة الى الواجبات التنظيمية (الاجتماعات وحلقات الشرح والندوات للاعضاء الجدد وتنسيق النشاط)، والواجبات الاجتماعية وهي ربط الإخوان اجتماعياً، وإسكان من لا سكن لهم بالبيت. وقد كان منزل الاستاذ نفسه بامدرمان، بمثابة البيت الرئيسي للجمهوريين، والمركز العام لحركتهم ونشاطهم، والرمز الذي يرجعون.

اننا نلاحظ هنا ان الجمهوريين ورغم نشاطهم الفكري والدعائي الكثيف، في ظروف سودان السبعينات واوائل الثمانينات، ورغم امكانيات العمل العلني المتيسرة لهم، لم يفلحوا في خلق تنظيم جماهيري ذي نفوذ، يمتد الى طبقات وشرائح اجتماعية متعددة وواسعة. إن أحد الشهادات تقول ان عدد الجمهوريين في لحظة وفاة الاستاذ، لم يتجاوز الالف عضو، بما فيهم الاطفال والايافع! اننا نرجع هذا الى طبيعة تنظيمهم الصفوية، والى غرابة طرحهم الفكري، وعدم قدرتهم على تبسيطه وشرحه للمواطن البسيط. وقد يرجع ايضا الى الدعاية المضادة من قبل القوى السلفية والتقليدية، والتي كانت تنظر لهم ككفار ومرتدين. وقد يرجع ضعف وجودهم في الريف، لموقفهم العدائي الواضح من المؤسسات الطائفية. كما ان من الاسباب المحتملة لضمورهم دفاعهم المستمر عن نظام مايو الديكتاتوري، على الاقل حتى منتصف ١٩٨٣، وهو نظام مكروه حتى النخاع من المواطن البسيط، ويفتقد الى اي سندٍ شعبي حقيقي، خصوصا وسط فئات العمال والمثقفين. وقد تكون كل هذا الاسباب مجتمعة، وكون فكرهم قائم على اساس الطريق الفردي للتربية والتجويد والوصول، وتناقض ذلك مع الشكل الجماعي للنشاط والدعاية والتنظيم، كما يتبدى في شكل المنظمات الجماهيرية، ذات التأييد الشعبى الواسع.

۱۳ ینایر ۲۰۰۳

طريق العارف ومسؤولية المثقف - نظرية المعرفة عند الجمهوريين

"ان مرتبة الانسان الكامل هي عبارة عن جميع المراتب الالهية والكونية والتي تضم العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة الى آخر تنزلات الوجود، فهي مرتبة مساوية للالوهية، ولا فرق بينها الا في الالهوية، لذلك صار الانسان الكامل خليفة الله علي الارض " - محي الدين ابن عربي

"كيف ينزل الالهي (في الانسان) عليه؟ كيف يظهر نور العقل؟
الجواب ان ثمة شي ما، هو ما يستدعي الصادقين الي الظهور، ومصدر هذا كله هو في الواحد.
ان تكون على صلة لا تنقطع مع الارومة الابونية (لكل الحياة)، هذا ما يراد به الانسان الساوي.
ان تكون على صلة لا تنقطع مع القوة المنشئة (في كل الطبيعة)، هذا ما يراد به (انسان غير طبيعي).
ان تكون على صلة لا تنقطع مع الحقيقة الصادقية < (عن الحياة)، هذا هو ما يراد به الانسان الكامل" - تشوانغ تسه.

نظرية المعرفة عند الجمهوريين:

لا تاتي المعرفة عند الجمهوريين عن طريقها المدرسي، فليست هي معرفة كتب ودراسة وفقهاء، وانما هي معرفة قلب وشعور وحدس، معرفة مجاهدة واستغراق، وشاهدهم في ذلك الآية (واتقوا الله ويعلمكم الله).

إن المعرفة اذن هي حصيلة ممارسة وجودية، ممارسة طويلة من التقوى والتعبد والسلوك في دروب التقليد، التقليد الطويل والحرفي

والدقيق لسنة الرسول، من قيام الليل والصوم والتحرر التقليدي من قيود الجسد والشهوات، واتقان التقليد وتجويده حتى تكون المعرفة حتى تكون الاصاله.

ان المعرفة هنا هى معرفة مباشرة ما بين الله والسالك، وهى بذلك تقتضى ممارسة طويلة ووعياً بهذه الممارسة وتجويداً لها، وهى تجربة حدسية قلبية أكثر منها اكاديمية عقلية، يكتب الاستاذ محمود:

(النبوة هي أن يكون الرجل منبأ عن الله، ومنبأ عن الله.. أي متلقياً المعارف عن الله بواسطة الوحي، وملقياً المعارف عن الله إلى الناس، على وفق ما تلقى، وبحسب ما يطيق الناس)

كما يكتب:

(وأما الحكمة في ختم النبوة فهي أن يتلقى الناس من الله من غير واسطة الملك، جبريل - أن يتلقوا عن الله كفاحاً - ذلك أمر يبدو غريباً، للوهلة الأولى، ولكنه الحق الذي تعطيه بدائه العقول، ذلك بأن القرآن هو كلام الله، ونحن كلما شرؤه إنما يكلمنا الله كفاحاً، ولكننا لا نقبل عنه.. السبب؟ أننا عنه مشغولون..)^١

ويحدث في نفس الموقع من مقدمة كتابه الرسالة الثانية من الإسلام:

(من رسول الرسالة الثانية؟ هو رجل آتاه الله الفهم عنه من القرآن، وأذن له في الكلام).^٢

^١ محمود محمد طه - الرسالة الثانية من الإسلام - مقدمة الطبعة الرابعة
- النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=10.&chapter_id=2
^٢ المرجع السابق

وسيلة المعرفة هي الله:

ان المعرفة عند الجمهوريين ليس هدفها الله، بل هو وسيلتها، ولذلك كانت فكرتهم ب "التخلق باخلاق الله". واقصى المعرفة ليست هي معرفة الله، وانما هي محبة الله، وفيها تصبح العلاقة مع الله خالية من الخوف والخضوع، وترتسم في شكل الحرية والمحبة، وفي هذه المرحلة يسترجع العبد حرّيته امام الله، فلا يكون عبداً خاضعاً مسيراً، بقدر ما يكون انساناً عارفاً مسيراً، يملك نفس صفات الله، ولكنه لا يخرج الى مصاف الالهية، وفي ذلك يكتب محمود:

(ههنا يسجد القلب، وإلى الأبد، بوسيد أول منازل العبودية. فيومئذ لا يكون العبد مسيراً، وإنما هو مخير. ذلك بأن التسيير قد بلغ به منازل التشريف، فأسلمه إلى حرية الاختيار، فهو قد أطاع الله حتى أطاعه الله، معاوضة لفعاله. فيكون حيا حياة الله، وعالماً علم الله، ومريداً إرادة الله، وقادراً قدرة الله، ويكون الله)¹

ان هذه الفقرة المركزية في نظرية المعرفة عند محمود، قد استغلها غلاظ القلوب ومتحجرو العقول من جلاديه، في محاكمته الشهيرة، الا أنهم جهلوا او تجاهلوا ان هذ التشابه بين الرب والانسان محدود عند محمود، لان ربوبية الانسان محدودة بحدائته، وربوبية الرب دائمة وقائمة ابدًا، وهذه اللحظة من المقاربة هي لحظة عابرة، ينبغى الوصول المستمر اليها، حيث يكتب محمود في الفقرات التالية:

(وليس لله تعالى صورة فيكونها، ولا نهاية فيبلغها، وإنما يصبح حظه من ذلك أن يكون مستمر التكوين، وذلك بتجديد حياة شعوره وحياة فكره، في كل لحظة، تخلقاً بقوله تعالى عن نفسه، ((كل يوم هو في شأن)) وإلى ذلك تهدف العبادة،

¹ محمود محمد طه - الرسالة الثانية من الإسلام - النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=10&chapter_id=14

وقد أوجزها المعصوم في وصيته حين قال ((تخلقوا بأخلاق الله، إن ربي على سراط مستقيم)) وقد قال تعالى ((كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)).^١

كما يمضي الاستاذ في فقرة لاحقة فيقرر:
(ههنا منطقة فرديات، والشرائع فيها شرائع فردية، والناعية فيها إلى الله، الله نفسه.. يقوم فيها العبد في مواجهة الرب، وقد سقطت من بينهما الوسائط، ورفعت الحجب - حجب الظلمات وحجب الأنوار- العبادة فيها عبودية، والعمل فيها ملاحظة السابقة، وضبط اللاحقة عليها، حتى يستقيم الوزن بالقسط، إذ محاولة العبد هنا أن يكون لربه كما هو له، وهذا معنى أمر الرب سبحانه حين قال ((واقموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)) فإذا كان حضور العبد مع الرب كحضور الرب مع العبد، تماماً، فقد أقيم الوزن بالقسط.. وهيئات!!)^٢

ان هيئات هنا جوهرية، فالمعرفة بناءً عليها هي مقاربة للرب اذن، وتماهياً معه، إذا ما استخدمنا تعابير النقد الادبي، دون الاندماج الكامل به، وفي كل ذلك يظل الانسان انسانا، والرب ربا. ولكنه انسان مختلف، وهو ما يدعوه محمود مع مجمل الصوفية بالانسان الكامل، والذي تناولنا مفهومه في غير هذا المكان.

ان العارف عند محمود هو العارف بقلبه قبل عقله، حيث يذهب الى ان العقل حديث، والقلب قديم، وهو المندمج مع الكون كله، بتحقيق الوحدة في نفسه، وهو اذن " يعرف ربه عن نفسه"، وهو "في عمله بحسب علمه" وهذه مفاهيم ومقولات لاقطاب الصوفية، استوعبها الجمهوريون في منظومتهم الفكرية، وهي في الحقيقة مقاربه لصورة

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

العارف المتخلق باخلاق الله عند الغزالي^١، وهي مقارنة لفكرة الانسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي وابن عربي، وتنزل الالهي في الانساني في الفلسفة التاوية!

ان في هذا ما يفسر لنا، السهولة الفائقة التي يتعامل بها محمود في تفسير النص القرآني، او الحديث النبوي، والتي لا تستند مرات لا على التفسير التقليدي المربوط بواقعة النزول، ولا التاويل المرتبط بامكانيات اللغة، ولا غيرها من ضوابط التفسير التقليدية. وهي تقاسير في غرابتها مرات وحدائتها، لا يبررها الا ايمان قاطع بهذا الشكل من المعرفة الحدسية، والتي لا تحتاج الى مرجعية اخرى لكيما تبرر قراءتها، ومرجعيتها الوحيدة انها تأتي من رجل آتاه الله الفهم عنه من القرآن، وأذن له في الكلام..

المعرفة الحدسية والمنهج العلمي:

ان معرفة هذا شأنها، تستعصي على التحليل العلمي، وعلى اثبات صحتها او خطئها، ويكون الحل الوحيد هو الايمان بها، أو الكفر بها، ولا مجال وسط، لانها لا تعطي مجالا واسعا للعقل، وان استغلت بعض منجزاته، كما سنجد في العديد من مصادرات محمود التي يستغل فيها منجزات العلم الحديث لاثبات افكاره. وهذه المعرفة من جهة اخرى عصية على التمهيص، لان هدفها ليس محددًا، بل هو مطلق، اي معرفة الحق، والذي هو متغير كل يوم، لا متكرر ولا ثابت، وهم في ذلك يستندون على الاية (كل يوم هو في شأن)، الامر الذي يجعل هدفها عصيا على

^١ محمد بن محمد الغزالي : المقاصد الاسمي في معرفة اسماء الله الحسنى - صفحات

١٧-١٠ - النسخة الالكترونية -

[http://www.islamicbook.ws/ageda/almqsd-
alasna.pdf](http://www.islamicbook.ws/ageda/almqsd-
alasna.pdf)

التعريف والتحديد، ونتائجها عسوية على ادوات العقل العادية، المائلة للتحديد والتشبيه والتشخيص واستخلاص النتائج وتلخيصها. لا تحديد هنا، لانه لا تحديد في الهدف، ولا تكرار في الظاهرة قيد البحث يسمح باستخلاص النتائج، لانه لا تكرار في الوجود، ولا في ذات الرب، وانما وحدة وتماسك واندماج، في مظاهر من التبدل والتغيير، وهذا النسق يذكرنا ايضا بابن عربي ومنظومته الفكرية -المسلكية.

المعرفة اذن عند الجمهوريين، مسلكية حدسية، تقوم على اساس التربية الفردية، والمجاهدة ومغالبة النفس والتقوى، وعلى تجويد الشريعة الجماعية حتى تهب لنا الشريعة الفردية، حتى نصل الحقيقة، وندرك الحق، حتى ندرك مرحلة الاصاله والانسانية الكاملة.

واذا كنا قد اكدنا وجود نظرية للمعرفة كهذه في كثير من الفلسفات الشرقية والغربية (ابن عربي وبودا وتشوانغ تسي شرقا، ونيتشه وكيركغارد وبرجسون غربا)، الا انها نظرية للمعرفة والحياة فردية، ايمانية لا علمية، وحدسية لا مخبرية، وبذلك فانها تصعب على ان تكون نظرية معرفة لتنظيم وجماعة ومجتمع، حيث التجارب الفردية مختلفة، والقناعات الجماعية ينبغي ان تستند على معلومات قابلة التمحيص والنقد. وهذا ما قد يفسر لنا انعدام الإسهام الفكري للجمهوريين خارج تنظير محمود، والذي ينظرون اليه كحقيقة مطلقة، باعتباره الوحيد الذي وصل مرتبة الاصاله، مرتبة الانسان الكامل، والذي اعطى له الفهم وأذن له بالكلام.

ان طريقة للمعرفة كهذه، كانت لا بد ان تؤدي في المجال العملي، اي على صعيد الممارسة السياسية والاجتماعية، او على صعيد قراءة الفكر الديني نفسه، الى قراءة فردية حدسية، حاملة وطوباوية، الامر الذي ادى الى العديد من الممارسات السلبية، والنتائج الخاطئة في الممارسة، مما سنتعرض له في الفقرات اللاحقة.

۲۳ ینایر ۲۰۰۴

حول الفتى الفأئت، العائش المائت – متوكل مصطفى الحسين

رأيتة في طرفة عين أو في بعض حين، هذا الذي حكى عن مثله ابن العربي وسماه الفتى الفأئت، المتكلم الصامت، العائش المائت. هذا الذي عاش كميته، والأن هو حي في الممات. هذا الذي سماه أهله بالمتوكل، ورأيت فيه سمة الانسان الكامل، وتجلي نور الذات في أجمل الصفات. في الحق ما فكرت في متوكل الا وجاءتني صورة الكمال، ولا كمال. فقد كان متوكل فريد زمانه ووحيد خلانه. كان واسطة العقد بين الجمهوريين وكان الصغير الكبير وكان العالم الذي لا يكف عن البحث عن العلم وكان المحب الذي لا يكف عن الحب وكان الانسان الذي تجلت فيه وتكملت به معاني الانسانية. كان قائداً زاهداً وكان مُجداً ماجداً وكان استاذاً يضع نفسه دائماً مقام التلميذ. ادبته أمه وأبوه الروحي بالحب والحق فأحسننا تأديبه وسلّكاه في طريق الحق والحب فسار فيه حتى بلغ المرام وفات ناس الورا والقدام.

تمر الايام والليالي ولا أستطيع تصور ان متوكل قد مات، فمثله لا يموت وهو الذي كان يزرع الحياة ويعطيها رونقها الخفي ولونها البهي. كان كل حوار معه متعة وكان كل حديث معه درس. ساهرت معه الليالي ولم اشعر يوماً بممل. عرفته في غفلة من الزمن فعددت نفسي من المحظوظين، وخالفت نصائحه العديدة فكنت من الخاسرين.

لا اعرف انسانا عرف متوكل حسين ولم يحبه للتو. تعرفت عليه قبل حوالي العشر سنوات في البالتوك ومنذ ذلك الوقت وانا واقع في اسر

سحره. لا يعرف متوكل الا من استمع له ولصوته الشجي وحديثه الخلاب، فيا ويحي ويا ويحك يا هندا اننا لن نسمع صوت ود ستنا من جديد.

كان متوكل محبا للناس والبشر، وكان شديد الاحترام للنساء. اذكر لقاءات لنا ليلية عندي ونهارية عنده ربما، وكنا نجلس فيها مع صديقات وزميلات عزيزات، يتذكرنه الان والحسرة ربما تقتلهن: رحاب خليفة، نانسي عجاج، لنا جعفر، منى خوجلي، ميادة سوار، آمال عبد العاطي، لنا مهدي، فاه وأه من الفقد.

كان يحب مريم بت الحسين جدا، وقلبي معك اليوم يا مريم. وكان دائم السؤال لي عن اماليي. قال لي قل لها ان لها عما يحبها في امريكا. قلت له انها تنوي الدراسة هناك بعد ثمانية سنوات فبدا يحدثني عن الجامعات المقترحة لها واين ستسكن وكيف ستعيش، وكان جاداً في ذلك. كان يعيش للناس بالناس في الناس، وكنت أحبه لحبه للناس.

كان يحب الاستاذة اسماء محمود والنور حمد وقصي همورر وعبد الله النعيم وعشرات ومئات غيرهم ممن امتلأ بهم قلبه الكبير. كان شديد الكرم باذخه تجاه الناس، قاصيهم ودانيهم. دعاني عدة مرات لزيارة امريكا، وكان يدعوني لأن أزوره وامكث معه شهرين ثلاثة. كنت دائما اضحك متعجبا من هذه الدعوة الغريبة، فالناس يدعوك لزيارتهم اسبوع أو اسبوعين وهو يدعوك لشهرين وثلاثة. كنت اقول له نعم في القريب، ولو كنت اعلم برحيله القريب لطرت اليه على جناح الريح أو على خيوط البرق، ولو كان هناك من أفنعتني بزيارة امريكا لكان متوكل الحسين، فعذرا امريكا لا لقاء لي معك بعد ان رحل أجمل من كان بك.

كان يحب الناس كلهم، وكان محور فكره الانسان بما هو انسان. وإذا جاء في الحديث القدسي ان الارض والسماء لم تسع الرب ووسعه قلب عبده المؤمن، فأن متوكل حسين قد اثبت ان الارض قد تضيق بساكنيها، ولكن لا يضيق عنهم قلبه. لم يكن من الغريب ان احبه الاستاذ وكان -

بشهادة الكثيرين - من أقرب تلاميذه الى قلبه. كيف لا وهو بذلك القلب الكبير والعقل الكبير؟ كان يتحدث عن الاستاذ بكثير من الحب ولا يمل الحديث عنه ويجعلك تحبه رغم أنك لم تره. الآن أفهم سر تعلق الجمهوريين بالاستاذ محمود، فمن كان متوكل تلميذه ومن ربي متوكل على اخلاقه فلا بد ان يكون من الافذاذ ومن الكاملين.

انضم متوكل الى الحزب الليبرالي وما كان بحاجة الى ذلك، وانما كنا نحن بحاجة اليه. وأوقن انه تكرم علينا بالانضمام الينا. نفذ بعضا من المهام الحزبية بالتزام وجدية، ولكنه لم يكن من نمط الناشط الحركي وانما من نمط ذلك المثقف الكوني الذي تحدث عنه هادي العلوي. كنت اعيب عليه قلة الكتابة، مع ما توفر عليه من المعارف. كان يمليني مرات فأكتب له وعنه، في مخاطبات مع زملاء او في كتابة عامة او في حوار، وكنت أجد في ذلك متعة ما بعدها متعة.

كان قلب متوكل متعلقاً بالسودان واهل السودان: رغب من كل قلبه في خيرهم وتضامن معهم في كل مآسيهم وكان قلبه يتمزق لكل جريمة وضنك وشر يتعرض له سوداني او سودانية. وكان شجاعا في قول رأيه حول الحلول، فقد كان يرى حل قضايا السودان في علمانية واضحة لا مراء فيها، وكان هذا طرح شجاع من جمهوري. أسسنا مجموعة "السودان العلماني" على شبكة التواصل العالمية، ولكننا لم نثابر عليها بسبب المشاغل المتعددة، لكن رسالتك يا متوكل في القلب، ولن نتركها يا حبيبي حتى ندخل الجب.

كان متوكل جمهورياً مخلصاً ومحباً عظيماً للاستاذ محمود وتراثه، ولكنني احسبه قد تجاوز في فكره الثاقب حدود الدين التقليدي بما فيه من مدارس ومذاهب ولاهوت وبهموت، الى حدود تنتهي فيها الفروق بين الناسوت والملكوت. احسبه وصل الى مرحلة ابن العربي الذي قال:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أتى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

تعلمت من متوكل كثيراً فقد كان ذو نظر ثاقب وعقل نافذ. كان رغم وضوح اطروحاته رقيقاً بالبشر، وكم كم انبني وعاتبني وترجاني ان ارفق بالناس وبنفسي وان اهجر الرجز، وكنت امانع واعاند فكان يرفق بي ويخفف من غلوائى، ضمن رفقه بكل الاحياء والاشياء.

عاش متوكل متفرداً متجرداً، وكان فعلاً نموذج الانسان الحر. مر على الدنيا كطائر، لم ياخذ منها الا بمقدار نقرة حبة ورشفة ماء، ثم رحل عنها وهو في أوج جماله، ولكنه ترك فيها الكثير رغم عمره القصير. ترك حباً لو وزع على اهل الارض لكفاهم، وترك فكراً يا ليت لو كان هناك من سجّله وحفظه للأجيال من بعده. ترك قلباً اخضراً لا يفوت، وترك ذكرى دائمة لا تموت. ترك متوكل شجراً في الروح وجرحاً بالقلب ودمعة في العين وغصة في الحلق، وحسرة انه قد ذهب عنا مبكراً جداً، قبل ان نرتوي منه. ترك لنا شوقاً عامراً اليه حتى نلحق به. ترك لنا حلم الانتصار على موت وضالة الجسد بخلود الروح العظيم.

٢١ سبتمبر ٢٠١٢

محسن خالد ومحمود محمد طه: إبداع
عرفاني في مركز دائرة الوجود (السودان)

مقدمة:

أعلن الاديب والروائي السوداني الشاب محسن خالد مجموعة من التحولات الفكرية والبحوث العرفانية في سلسلة من الكتابات السردية في منابر الانترنت السودانية، كان أشهرها ما سطره في كتابته الملحمية "زهرة الغرق" في موقع سودانيات. كوم، وما صاغه في كتابة موازية بعنوان "مراجعة المنهج والتجربة" في موقع سودانيز اونلاين. الا ان اهمها واكثرها اثارا للجدل هو ما سطره قبل نهاية العام الماضي بعنوان "العاشر من صفر، الموافق ٢٢ ديسمبر، عيد الشهيد نبي السلام، هابيل"، وهي الكتابة التي أعلن فيها رؤية ابوكالبيتكية للعالم تنبأ فيها بنهايات له تبدأ من كنيسة "اللد" في انجلترا. ولم يلبث ان أعلن فيها نبوته وانه النبي الطائر والمهدي المنتظر:

(لثي هبة الباري، المهدي المنتظر، المهدي أي الثائب إلى ربه، والنبي الطائر، المؤيد بنار اليشب وبمذرة الحياة والطاقة، وريث السيد المسيح عليه السلام، المأذون بإحياء الموتى والطيران وفعل الخوارق، من سيؤم المسلمين في المسجد الأقصى. ومن أسماء السيد المسيح بالمثل عند ربه) المعجنو ريو. ١ ليتراجع من بعد سريعا عن ذلك قائلا إن هذا الزعم كان من تلبيس الشيطان عليه.

كتابات محسن خالد ذات الطبيعة التفاعلية، اذ ينم نشرها - وهي طازجة - في مواقع الحوار السودانية، لا تزال مستمرة في ذات النسق، في شكل كتابات سردية وحوارية فذة وعميقة، ربما تكون مشاريع كتب،

١ محسن خالد : العاشر من صفر، الموافق ٢٢ ديسمبر، عيد الشهيد نبي السلام، هابيل - نشرت هنا : <https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=85&msg=1622340396&rn=50>

يستخدم فيها محسن خالد تفسيرات مجددة وشخصانية ومبدعة للقرآن وقراءة للرموز والأرقام والأحرف في منهج عرفاني متطرف، يضع فيه نفسه في مرتبة عالية من العلم. وفي نفس الوقت الذي يغترف فيه محسن خالد من رموز ونظريات حديثة بل ومن عالم الادب والفن الهوليودي، في مقاربات لا سلفية بالمرة، يُحمل كتاباته منهاجاً تشاؤمياً كاسحاً، ودعوة رسالية بصراع اخير ونهائي بين قوى الخير والشر، في تصور ارماجدوني للعالم، وان كان بصيغة إسلامية، وهو تصور يلعب هو نفسه فيه دوراً مركزياً، حيث لم تغب دعوى النبوة تماماً من أجدته وان تراجع عنها تكتيكياً كما يبدو. ولكن في كتاباته الاخيرة يوحي بأنه قد يكون تجلياً جديداً للنبي يحيى، سيتم اشهاره في ظرف عامين.

(في اعتقادي أنّ يحيى قد بعثه الله من الموت في العام ١٩٧٥م وأنّ عمره الآن ٣٨ عاماً مثل رقم الآية التي تُحدّد الإنظار، ويأكياله أربعين عاماً فسيعرفه العالم أجمع، والله من قبل ومن بعد هو وحده العليم بكل شيء على وجه الدقة لا التقريب)١.

دور السودان المركزي عند محسن ومحمود:

كتابات محسن خالد الاخيرة، وخصوصاً في هذه المصنفات الثلاثة المذكورة اعلاه، اختلف حولها القراء جداً، ما بين مؤيد وناقد، قابل وجاحد، صديق وعدو. وانتظم الناس في معسكرين رئيسيين: ما بين معجب بلغتها وادبياتها العالية وطرافتها، من جهة، وما بين متخوف من حملتها التعبيرية و"التفجيرية" الضخمة، من الجهة الاخرى. ويأتي

١ محسن خالد : مراجعة المنهج والتجربة - نشرت هنا :

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=470&msg=140>

[0178990&rn=244](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=470&msg=140)

التخوف من طرف تيارين متناقضين: التقليديين الذين يرونه خارجاً عن اطر العقيدة التقليدية ومفجراً لمسلماتها، عبر نهجه الغنوصي، والحدائثيين الذين يرونه خطراً على النظرة العلمية ونصيراً ادبياً للدعوة السياسية للسلفيين والتكفيريين، خصوصاً بعد شنه هجوماً شديداً على العلمانية والعلمانيين، وإعلانه "التوبة" عن "علمانيته" السابقة، وهو الذي كان من أكثر روائيين وكتاب السودان تحملاً فكرياً وفنياً مع هجوم جارف (أخيراً) على الماسونية او من يسميهم "البنائين العبيد"، والذين يشكّلوا له تحالفاً قديماً لأهل الشر من إنس وجن، وتوزيعه للتهمة بالانتماء لهم لجملة من الكتاب والشعراء السودانيين والعرب!

في كل هذا يجب الإشارة الى وضع السودان في ضمن الكتابة الجديدة لمحسن خالد، حيث يضعه في موقع مركزي في الكون، ويعتبر انه مؤطى الاماكن المقدسة، وانه مركز الصراع الاولي بين الخير والشر، ومكان المعركة الاولي بين قابيل وهايبل، وربما مكان المعركة الاخيرة بين قوى الخير والشر الكونية. يقول محسن خالد: ((قلْتُ السودان البلاد المقدس، حيث جبل الطور-التاكا المقدس، تسمية التاكا حسب تحريف الشيطان الملعون، وتوتيل هي النبع المسمّى (سَرياً) في القرآن، الذي نبع حين ولادة أمنا مريم للمسيح عليه السلام (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) حيث الرطب الجنى بمواقفته في المدينة التي حُرف اسمها لكسلا.)) ويقول: ((السودان هو الأرض المقدسة القديمة التي شهدت خروج معظم الأنبياء الذين نعرفهم، والطور هو جبل التاكا في شرق السودان، وهو الشرق المقصود بخروج الدجال.)) وكذلك: ((وأريد ربط ذلك بالسودان فهو أحد مواطن الأسرار الكبرى بالنسبة لهذا الموضوع وبالنسبة للماسونية وبالنسبة لبلاد (الجن) (الجان). هذه الحروب التي تشتعل في كل من مكان من السودان هي جزء من هذا الصراع الكوني، (اقتربت الساعة وانشق القمر) و(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)، الذي لا يؤمن بالله عليه أن يؤمن ويوحّد ويصلي ويتوب قبل فوات الأوان))

محسن خالد في كل هذا، هو كاتب واديب، وهو لا ينسى هذه الحقيقة بل يذكر بها مراراً، وفي رده على بعض محاوريه ونقاده ذكرهم باحتفائهم القديم باعماله الادبية، وانه إذا لم يعجبهم طرحه ولم تقنعهم افكاره فعليهم التعامل معها كنص ادبي، ولا يزال بين الحين والاخر يكرر هذه الثيمة. بل انه يشير - علنا - الى اقتفائه أثر مهدي سوداني آخر هو محمد احمد المهدي في صيغة كتابته، ويستغرب من عدم اهتمام الناس بالمهدي محمد أحمد ك"كاتب ملهم". حيث يقول:

*(لن يفوت على ذكائكم ومطالعتكم أنني أتمثل أسلوب المهدي محمد أحمد في "الكتابة".
بالمناسبة لماذا لم يتم أحد بدراسة المهدي بوصفه "الكاتب" الملهم؟)١*

منهج محسن خالد العرفاني، قريب ايضاً من منهج المصلح الديني والصوفي الاجتماعي السوداني "محمود محمد طه" في التفسير، وفي تقييم ذاته. فمحمود محمد طه كان يستخدم منهجا عرفانيا في التفسير يخرج فيه بتفسيرات جديدة كل الجدة عن النص القرآني، كما كان يرى نفسه أو يراه تلاميذه ك"الأصيل" الوحيد والمسيح المحمدي ورسول الرسالة ثانية للإسلام، وقد اعلن عن هذا مرات ولمح به مرات. الا ان محموداً كما يبدو كان يعاني من بعض ظلال الشك حول نفسه، ويقول انه لا يأمن مكر الله، في الوقت الذي طلب من تلاميذه عدم الشك فيها. محسن خالد في حديثه عن التلبيس الشيطاني، يعبر عن نفس الشك في المحمودي، رغم اعلان الرجلين لدعوتهما الجديدة والطريقة في الواقع السوداني، وعدم تحرجهما في الدفاع عنها، رغم الشك الوجودي والمعرفي الذي عانيا منه.

[http://sudanyat.org/vb/showthread.php?t=18715
&page=74](http://sudanyat.org/vb/showthread.php?t=18715&page=74)

ومحمود أيضا مهموم بتقديم السودان على غيره، وتجده يقول إن السودان هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب:
 (أنا زعيم بأن الإسلام هو قبلة العالم منذ اليوم.. وأن القرآن هو قانونه.. وأن السودان، إذ يقدم ذلك القانون في صورته العملية، المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن، وحاجة الفرد إلى الحرية المطلقة، هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب.. ولا يهولون أحداً هذا القول، لكون السودان جاهلاً، خاملاً، صغيراً، فإن عناية الله قد حفظت على أهله من أصايل الطبايع ما سيجعلهم نقطة التقاء أسباب الأرض، بأسباب السماء)^١

ويقول عن الخرطوم في تفسير لطيف:
 (ولما كانت القلوب، في سويداواتها، قد جعلها الله حرماً آمناً فإن منطقة الكبت لا تقع فيها، وإنما تقع في ((الخرطوم))، في ((المقرن)) في ((البربخ)) الذي يقوم عند مجمع بحري العقل الواعي، والعقل الباطن.. قال تعالى في ذلك، ((مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان)).. وهذا ((الخرطوم)) هو موطن الانسان في الانسان - هو موطن الانسان الكامل، في الانسان الذي هو مشروعه المستمر التكوين- وكما أن طريق التكوين، والتطوير، لولبي، فكذلك الكبت فإنه لولبي.. هو لولب يدور حول مركز).^٢

وقد وقعت على من ينسب له ان تفسير مرج البحرين هو موقع الخرطوم، واعتماده على الاية ((سنسمه على الخرطوم)) ولكني وللحقيقة لم أجد توثيقاً لهذا. وقد سار أحد المهديين السودانيين

١ محمود محمد طه : جريدة الشعب - ٢٧ يناير ١٩٥١م - نشر أيضا هنا

:

https://www.alfikra.org/article_page_view_a.php?article_id=51&page_id=3

٢ محمود محمد طه - رسالة الصلاة - ص ٥٧ منشور أيضا هنا:

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=8&chapter_id=11

المعاصرين (سليمان أبو القاسم موسى) أكثر فكتب رسائل طويلة حول ان ((الخرطوم منارة الهدى (تحمل اسم المسيح ومنها يخرج لنصرة المسلمين)) وان ((المهدي من أرض السودان)) وأن كردفان هي ((كوفة المهدي)) وجبل مرة ((مكة المهدي)) الخ من الكتابات التي يسودن فيها المهدية ويقنع فيها بمهديته.^١

الجذور الفكرية لدعوات محسن ومحمود:

ارجع لمحمود محمد طه ومحسن خالد، واقول ان دعوات الرجلين جديدة في الواقع السوداني، ولكنها ليست جديدة في الواقع العربي - الإسلامي والكويني. فمحمود محمد طه قد كان متأثراً بأفكار ورؤى الصوفية والعرفانيين المسلمين القدامي (وكذلك الصوفية السودانية)، وبأفكار ونظرية الانسان الكامل (المسيح المحمدي)، ذات التراث الزاخر في الصوفية الإسلامية، رغم انه ادخل عليها بعداً سودانياً اصيلاً. أما محسن خالد فأفكاره رغم طرافتها وجدتها واعتمادها على اساليب وقراءات حديثة للرموز، الا انها تشبه مدرسة الحروفية التي اسسها فضل الله النعيمي الاستربادي،^٢ وانتشرت في الاناضول ولعبت دوراً كبيراً في تركيا بفضل تلميذه الشاعر عماد الدين نسيمي، كما كان لها جناحها

^١ سلسلة منشورات المسيح المحمد سليمان أبو القاسم موسى - <https://almsee.com/>

^٢ محمد حسين الشيخ: "الإله البشري" وما وراء اللغة: الحركة الحروفية وأسرار الكون في ^٣ مراحل إنسانية- مقال عن الاستربادي نشر بموقع <https://raseef22.net/a>

المغربي عبر ممثلها هناك أحمد بن علي البوني، صاحب كتاب "شمس المعارف الكبرى" الغنوصي المشهور بصورة واسعة في السودان. وربما يكون محسن خالد أقرب الى البوني المغرم بالجداول والذي يجمع ما بين العلوم الطبيعية والعلوم الغيبية. وقد زعم البوني انه وجد مخطوطات نادرة تحت الاهرامات تعود الى فترة ما قبل الطوفان، وطرحه قريب في منهجه من محسن خالد الذي تحتل الاثار والمصريات جزءا كبيرا من دائرة اهتمامه وتفسيره لوقائع بداية الخلق!

الحروفية وارتباطها بالرقمية، ثم ارتباطها بالخيمياء (السيمياء)، تجد جذورها في كتابات إخوان الصفا، وكذلك في نظريات عبد الكريم الجيلي وتحديدده لسمت الانسان الكامل. البعض يربطها ايضا بالفيثاغورية ونظرياتها حول العدد، وكذلك فيما يعرف بالجمطرية وهي ام الهندسة الرياضية الحالية، والتي زعمت امكانية قياس كل ما في الارض والسماء بفضل الحروف والارقام. وقد نجد في الحروفية والرقمية وعلم الرموز انعكاسا في الفن والادب والتراث الاوروبي القديم والحديث، فالعديدون يرون ان كتابات ناستراداموس وتنبؤاته تنهل من نهج البوني وحروفيته. أما فلسفياً فقد تجلت تأثيرات الحروفية في "الفلسفة الخفية" التي طورها كورنيليوس اغريبا، أما في الادب فقد تأثر بها الشاعر الفرنسي جون إيزيدور غولدشتاين، وربما استمرت عليها مدرسة الحروفية وبنتها الاصغر *letrist international* الباريسية. وتظل الحروفية بالنسبة لي منهجا صوفيا مرتبطا بالادب حيث كان كل زعمائها كتابا مجيدين وكان بعضهم شعراء اذذا، ومن هنا وجه آخر للمقاربة.

عموما تظل اشراقات محسن خالد جزءاً من الابداع الصوفي والديني السوداني، منذ الشيخ فرح ود تكتوك وحتى آخر معلن للمهدية في السودان. وقد رصدنا في وقت سابق اربعة من "المهدين" المعاصرين الناشطين في السودان. وإذا ما كان هذا الابداع قد أخذ الطابع الديني، فلا غرو أن يحدث ذلك في مجتمع يتخلله الوعي الديني ويغوص الى أعماق

اعماق ذاته المكونة. وكما قال ماركس فان الفلاسفة لا يبنون مثل الفطر، وانما هم حصيلة مجتمعاتهم وواقعهم. كذلك الانبياء والمهدويون لا يبنون مثل الفطر، وانما هم حصيلة واقعهم ومجتمعاتهم التي نشأوا فيها، ونتيجة الظروف التي لا تجعل للابداع والثورة والتغيير الا غلالة دينية في عالم الجنوب، بينما يخرج عالم الشمال المنهج العلمي والعلماء والمستقبليين الذين هم أيضا حصيلة واقعهم ومجتمعاتهم.

لماذا وقفت مع محسن خالد ضد خصومه؟

لقد وقفت مع "شطحات" محسن خالد لسببين: الاول هو ايماني المطلق بحرية الضمير وحرية التعبير، بما في ذلك حرية الاعتقاد وحرية الالحاد وحرية تكوين الاحزاب السياسية والمناهج الفكرية والطرق الصوفية بل حتى اعلان النبوة والمهدوية. هذه التمظهرات كلها تغرف من نبع واحد وهو الروح المبدعة ورحلة الانسان في معرفة حال نفسه في الحياة والمجتمع والكون. ولا حجر هنا على أحد، ما دام كل شيء يتم سلميا وما دام الصراع يدور بالأفكار والرؤى والكلمات. ولاقتناعي التام بصدق محسن مع نفسه ومعاناته في سبيل ما يؤمن به. اما السبب الثاني فهو كمية الشاعرية الدفاقة والافكار الجديدة الطازجة والمعلومات الغزيرة والشطحات الخطيرة في كتابات محسن خالد، مما يجعل قرائتها متعة محضة، أو محض متعة.

لهذا اقول إني متعاطف مع محسن خالد في صراعاته الوجودية وفي بحوثه الرمزية العجيبة، ومعجب بلغته الشاعرية وشجاعته الادبية الفائقة، رغم أني اختلف معه منهجيا، واضرب صفحا عن المحمول السياسي العابر لدعوته وكتاباتة، اذ يبدو ان همه الاول ليس سياسيا بل عرفانيا، ومن هنا تفشل وستفشل كل محاولات استقطابه سلفيا. فالرجل عرفاني لا

سلفي، عقلي (وان بطريقته) لا نقلي. كما أني أرى في كتابته إبداعاً
سودانياً محضاً، فماذا يضيرنا أن يكون لنا نبي طائر سوداني أو أن يخرج
المهدي المنتظر من السودان، أو أن يكون السودان رحم البشرية ومحط
صراعاتها الأولى ومركز الكون؟؟ هذا لن يكون فيه إلا الخير لنا في صورة
اهتمام عالمي بالآثار السودانية والسياحة السودانية والفكر السوداني،
الديني منه والعلماني، فمالنا ننقض غزلنا بأيدينا ونقتل الأنبياء
والمبدعين فينا، في زمن قلت فيه النبوة وضمير فيه الإبداع؟
في النهاية أتمثل في التعامل مع محسن خالد قول النبي محمد عندما
ضايقه قومه فطلب منهم أن يتركوه والناس وقال: ((يا ويح قريش لقد
أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإنهم أصابوني كان الذي
أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وآخريين، وإن لم يفعلوا قاتلوا
وبهم قوة)) ثم ختم: ((هما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله
به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة)).^١

وهكذا اظن محسن خالد فاعلاً.

٢٠ مايو ٢٠١٣

^١ ابن هشام - السيرة النبوية - ص ٣٥٩

الفصل الثاني
التكفير وتطبيق الحدود عند الجمهوريين

محمود محمد طه والدعوة لتطبيق الحدود

مقدمة:

رغمًا عن الفهم الشائع ان الطائفة الجمهورية تقدمية في افكارها "الإسلامية"، الا ان الدراسة الدقيقة توضح انها رجعية تماما في تعاملها مع الاخر غير المسلم ومع المرأة ومع قضية الديمقراطية وحقوق الانسان الخ. في هذه العجالة نتناول واحدا من الجوانب الرجعية في افكار الطائفة الجمهورية، وهو موضوع الحدود.

تطبيق الحدود في الادبيات المبكرة للجمهوريين:

قد يظن البعض ان محمود محمد طه الذي وقف ضد قوانين سبتمبر قد كان له موقف رافض او اصلاحي من قضية تطبيق الحدود. والحقيقة هي العكس تماما. فرغم ان محمود قد نقض (باسم الرسالة الثانية) الكثير من المسلمات الإسلامية، ومن بينها مفهوم الجهاد ومفهوم الوصاية على المرأة (الذي رفضه شكليا ثم رجع واكده فلسفيا وقانونيا و عمليا) ، فإنه كان من اشد الداعين لتطبيق الحدود، ولم يشملها ابدأ بالرفض باعتبارها من إسلام القرن السادس، كما لم يعتبر آياتها من آيات الفروع القابلة للتجاوز، رغم ان آياتها وسورها كلها مدنية (البقرة، النساء، المائدة، النور، النحل، الاسراء، النور) أي انها من آيات الفروع وإسلام القرن السادس ، وليست مكية حسب تقسيمه لآيات الفروع والاصول .

يعبر محمود عن رأيه هذا منذ فترة مبكرة حيث يرد على سؤال عن الفرق بينهم وبين جبهة الميثاق فيقول فيما نشر فيما بعد في كتاب اسئلة واجوبة الكتاب الاول فيقول:

(تطوير الشريعة الإسلامية عندنا يقع على جانب المعاملات فيما يختص بأمر المال، وأمر السياسة.. أما الحدود، وأما القصاص، وأما العبادات فإنها لا تكاد تتطور).^١

ثم يرجع محمود لموقفه هذا في كتيب بعنوان: "الدين والتنمية الإجتماعية" صدر في عام ١٩٧٤ حيث يقول:
(مسألة الحدود أدق من مسألة القصاص.. ومسألة القصاص اتنو شفتو دقتها.. مسألة الحدود، نحنا عندنا أربعة حدود.. عندنا الحدود في الإسلام أربعة هي: الزنا، والقذف وهو التهمة بالزنا، والسرقه، وقطع الطريق.. يمكنك أن تقول: الأربعة دليل يتلخصوا في اثنين: حفظ العرض - حد الزنا والقذف.. وحفظ المال - حد السرقة وقطع الطريق.. ولاضباط قوانين الحدود بالصورة دي قيل عنها انها هي حق الله، يعني يمكن للحاكم أن يعفو في أمر القصاص، لو فرض انو واحد قلع عين آخر ثم المقلوعة عينو عفا، يمكن للحاكم أن يعفو.. لكن في مسألة الحدود، اذا بلغت الحاكم، وقام الركن في حقها، لا تعفي)^٢

قوانين سبتمبر وتطبيق الحدود:
أما في فترة قوانين سبتمبر ١٩٨٣ وما بعدها فالشاهد إن محمود والجمهوريين لم يعترضوا على تطبيق الحدود، وانما على تطبيقها الخاطيء، والاختلاف على من يطبقها! انظر لقول الجمهوريين في كتيب (هذا او الطوفان) حين يقولون:

١ محمود محمد طه - أسئلة وأجوبة - الكتاب الأول - امدرمان
- ١٩٧٠ - ص ٥٥ -

<https://www.alfikra.org/books/bk010.pdf>

٢ محمود محمد طه - الدين والتنمية الاجتماعية - الطبعة الأولى -
يناير ١٩٧٤ - صفحات ٤٠-٤١ -
<https://www.alfikra.org/books/bk034.pdf>

(ومن الذي يقيم الحدود؟ ان الحدود كما قلنا تقوم في المجتمع المرئي ويطبقها أكثر الناس تربية واستقامة واحساسا بمشاكل الناس،)^١

كما يقولون:

(إن نيميري وثالوثه المشرع، قد ساروا بالحدود عكس روحها وغايتها وهدفها فاتجهوا للتضييق وتوسيع دائرة التجريم والإدانة بأوسع مدى وشوهوا الإسلام وأظهروا مساهمته في الحياة الحديثة وكأنه مؤسسة عقاب وردع وارهاب)^٢

ويقولون:

(والحدود أيضا نزعوا بها إلى التجريم والإدانة فللسرقة الحديثة في الشريعة تعريف محدد يحوي شرائط وأركان إن لم تكتمل لا تكون السرقة حديثة ولكن (الثالوث) المشرع عرّف السرقة تعريفا وضعيا أسقط به شرطي (الخفية) و(الحرز) مخالفين بذلك الأحاديث وجمهور الفقهاء ومع ذلك طبقوا عقوبة الحد الشرعي)^٣

ليخلصوا لهذه الخلاصة:

(حدث كل هذا التمييز الممجوح مع أنّ الحدود هي تشريع اجتماعي وهو وراء العقيدة يقوم على صيانة العرض وصيانة المال لكل الناس وعلى قدم المساواة، يصاب ماله وعرضه ويصاب منه عرض الناس وما لهم)^٤

أي انهم كرروا نفس آراء محمود في تفسير الغرض من الحدود والتمسك بها .

^١ الإخوان الجمهوريين - هذا أو الطوفان - النسخة الالكترونية -

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=275&chapter_id=4

^٢ المرجع السابق

^٣ المرجع السابق

^٤ المرجع السابق

تطبيق الحدود في كتيب الديباجة:

ولكيلا يقول أحد ان بعض الافكار السابقة في الكتيب نشرها الجمهوريون، وان محمود يمكن أن يكون غير رأيه في الحدود او طورها، على آخر عمره، نقول لهم ان ما جرى هو العكس، حيث تم تشبث شديد بتطبيق الحدود، كما تجلى في آخر كتاباته وهو كتاب (الديباجة) الذي كتبه في سجنه الاخير، والذي تردد الجمهوريون كثيرا في نشره، حيث يكرر نفس الافكار والمواقف، فيقول:

(ومن هذا العرف الذي نظم الغريزة الجنسية، والملكية الفردية، تطورت الحدود المعروفة عندنا في الإسلام.. وهي أربعة ترجع إلى أصلين: الزنا والقذف، وترجع إلى حفظ القوى الجنسية، والسرقه وقطع الطريق، وترجع إلى حفظ حب التملك.. وملاحظة هذه الحدود، وعدم التعدي عليها، يقوى العقل، ويسيطر على نزوات النفس - أو قل على نزوات الغرائز.. ومن أجل كرامة العقل جاء حد الخمر.. وهو حد أقل انضباطا من الحدود الأربعة السابقة.) كما يقول: (وأما وسيلة العقوبة فأعلاها الحدود.. والحدود خمسة، وقد وردت الإشارة إليها في موضع سابق من هذا الحديث.. والحدود يمكن أن تنضوي تحت القصاص.. فالقصاص معاوضة- من أتلف شيئا يعوضه - والحدود معاوضة.. والقصاص قانون حياة، أولا، ثم قانون دين، ثانيا..) ثم يقول: (وأشد القوانين انضباطا قوانين الحدود، والقصاص.. وآية انضباطها مقدرتها على التوفيق بين حاجة الفرد، وحاجة الجماعة.)¹

قد يقول قائل ان كل هذا كلام نظري لا يعبر عن موقف محمود، فلنقرأ اذن هذا النص الوحشي من نفس الكتاب، والذي يتلذذ فيه محمود بوصف عقوبات الحدود الوحشية في خلاصة سلفية لا نزاع حولها، بل

¹ محمود محمد طه - الديباجة - النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=277&chapter_id=2

وتخلف حتى عن بعض السلفية الذين يرفضون حد الرجم الذي لا يوجد له اساس في القرآن، حيث يقول محمود:

(من انتفع بصلاته امتنع عن الفحشاء، والمنكر.. ومن لم ينتفع تعرض للحدود.. وحد الزنا للمحصن الرجم بالحجارة على رأسه حتى يتهشم.. وللبكر الجلد مائة جلدة.. وحد السرقة اختلاسا، وخفية، قطع اليد اليمنى.. أما حد الحراية، وهي الخروج على الحاكم، وقطع الطريق، وإخافة السابلة في الطريق العام، خارج المدينة، وقتل النفوس، وأخذ الأموال، فهو درجات: فإن أخاف الطريق، وقتل، ولم يأخذ المال، يقتل.. وإن أخاف الطريق، وقتل، وأخذ المال، يصلب.. وإن أخاف الطريق، ولم يقتل، ولكنه أخذ المال، يقطع من خلاف - اليد اليمنى والرجل اليسرى.. وإن أخاف الطريق، ولم يقتل، ولم يأخذ المال، ينفي من أرض وطنه، لمدة يقررها القانون.. ولقد تبدوا، لأول وهلة، هذه العقوبات قاسية، وعنيفة، ولكنها ليست كذلك، في حقيقة الأمر، وإنما هي حكيمة، كل الحكمة، حيث وقفت، توفيقاً تاماً، بين حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة).^١

ويواصل محمود في كتابه الأخير ليوصل في هذه التخريجات عن رجم الزاني المحصن حتى دون نص قرآني- حتى لو كان من آيات المدنية التي يرفضها- واعتماداً على الشريعة المدرسية في أكثر صورها تخلفاً ورجعية حيث يقول:

(ومن نسف العقول - عقول المعاش - في الآخرة، جاءت حكمة الرجم بالحجارة، حتى يتهشم الرأس، لمن يتورط في الزنا، وهو محصن، أي متزوج، وقد سلفت له تجربة في معاشره النساء).^٢

-
- ١ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=277&chapter_id=5
- ٢ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=277&chapter_id=6

ويقول:

(أما حد السكر فهو، كما سبقت إلى ذلك الإشارة، أقل الحدود الخمسة انضباطا.. وهو إنما يقع على السكر، وليس على مجرد الشرب، والحكمة فيه أن الشارب إنما يهرب من واقعه لأنه لا يعجبه، ويفرق عقله بالخمير، ليعيش في دنيا من صنع خياله المريض، وعقله المعطل بالخمير)^١.

الخلط بين الحدود والدستور:

أما الخلاصة فهي زعم محمود إن الحدود دستورية، حيث يكتب مرافعة لا يخجل أي داعشي منها ويضطرب لها كل سلفي وداع لتطبيق الحدود، فيكتب في الفقرة ٢٨ من الديباجة :

(هذه هي الحدود.. وهي شديدة الانضباط.. هي دستورية، في قمة الدستورية.. ولقد قلنا إن دستورية القوانين تعني مقدرتها على التوفيق بين حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.. وتلي الحدود في هذا المضمار قوانين القصاص.. ولقد قلنا إن القصاص يقوم على المعاوضة - من أتلف شيئا عليه أن يصلحه- عليه أن يعوضه - وهي، بمعنى أوسع، تقوم على أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.. وهذه قاعدة تربية عظيمة النفع للفرد، والمجتمع.. ولقد قلنا إن تشايع الحدود يمكن أن تنضوي تحت كلمة القصاص، بمعنى المعاوضة، ذلك بأن الحدود أيضا معاوضة.. وقلنا إن الحدود أشد انضباطا من القصاص، ذلك بأن القصاص يمكن فيه العفو، كما تمكن فيه الدية.. ولكن الحدود إذا بلغت الحاكم، فليس فيها إلا إقامتها.. والقصاص إنما تحيء دستورية قوانينه من مقدرته على الجمع بين حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.. فمثلا، من قلع عين إنسان لا بد أن يكون ضعيف التصور لمبلغ الألم الذي يلحقه، بقلع عين أخيه الإنسان، بأخيه الإنسان.. قد يكون ضعف التصور ناتجا من

^١ المرجع السابق

غضب استولى عليه، فأخرجه عن طوره، وعطل عقله، فلم يسيطر على رعوته نفسه.. وقد يكون ضعف التصور ناتجا من ضعف عقل المعتدي، ومن قصر خياله، فرأت حكمة التشريع أن تضعه في موضع المعتدى عليه، فتقلع عينه، ليدوق الألم الذي قصر خياله عن تصوره.. هذه التجربة توقظ عقله، وتخصب خياله، وتحيي ضميره - وتورثه حياة حية.. ولذلك فقد قال، تبارك وتعالى، عن القصاص، وهو يشمل الحدود، كما سلفت الإشارة: ((ولكم في القصاص حياة، يا أولى الألباب، لعلكم تتقون..)) ويجب أن يكون واضحا، فإن الحدود، والقصاص، لا تقام إلا على خلفية من العدل- العدل الاقتصادي، والعدل السياسي، والعدل الاجتماعي - وإلا على بعث للتربية بإحياء منهاج العبادة، التي تعين الأفراد على أنفسهم، ثم لا تحيي العقوبة، حين تحيي، إلا لتسد ثغرات الممارسة في العبادة، حتى يعان الفرد الذي قصرت به عبادته بالعقوبة ليلبغ مبلغ يقظة العقل، وحياة الضمير، وتوقد الذهن¹

السؤال هو: اين هو التجديد وما هو فرق محمود محمد طه والجمهوريين
عن داعش وطلالان؟

١٣ يوليو ٢٠٢١ م

١ المرجع السابق -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=277&chapter_id=6

محمود محمد طه والجمهوريون وتكفير المجتمع والجميع

مقدمة:

يظن الكثيرون إن الطائفة الجمهورية تقف مع الحريات عموماً وحرية الدين والعقيدة خصوصاً، ولكن هذا الظن باطل لا يقوم على قدمين. إذ إن الطائفة الجمهورية تكفيرية بدرجة أسوأ من السلفيين، ولم يزد القمع السلطوي في زمن نميري والمضايقة القانونية قبله وإثناءه إلا إصراراً على تكفيرها للمجتمع وكل من هو غير جمهوري. هذا ما يجعلنا نحذر من خطر هذه الطائفة على السلام الاجتماعي في السودان، وعلى إمكانية بناء نظام حر ديمقراطي يستمتع فيه كل الناس بحريات التدين والتدين واعتناق أي عقيدة ودين يشاؤون أو التخلي عنه .

المجتمع في نظر محمود محمد طه جاهلي:

وإذا كانت الناس تعرف عن تكفيرية السلفيين وغيرهم من غلاة الإسلاميين، وإذا كانت قد قرأت أو سمعت عن أفكار محمد قطب وسيد قطب عن "جاهلية القرن العشرين"، فإن القليل منهم قد سمع عن وصف الجاهلية الذي يلقيه محمود محمد طه مراراً وتكراراً على المجتمع السوداني الحالي، بل على كل المجتمعات الإنسانية. يقول محمود محمد طه في كتابه " طريق محمد " التالي:

(والآن، وفي النصف الثاني من القرن العشرين، والبشرية تعيش الجاهلية الثانية –
جاهلية القرن العشرين)^١

وفي كتاب "تعلموا كيف تصومون" يقول:

(هذه البشرية هي في جاهلية، اليوم).^٢

أما في كتاب لا إله إلا الله" فيقول محمود التالي:
(وما نغتر بأننا نحن مسلمين.. لأننا في الحقيقة في جاهلية. أنا أفكر النقطة دي إذا
نحن ما استيقناها ما ممكن نبتدى التغيير.. لأن بداية التغيير أن تعرف أن فيك قص
لتكمله.. نحن هسع على قشور من الإسلام.. اللبة ما في.. ما تفكروا الجاهلية بتكون
بالتفريط في القشور والتفريط في اللبة.. الجاهلية هي، في الحقيقة، تفريط في اللبة،
وتمسك بالقشرة)^٣

ويردد محمود نفس الثيمة في عدد من الكتب الأخرى، حيث يقول في
كتاب "الدعوة الإسلامية الجديدة":

(الأرض التي تطف عليها اليوم ليست إسلاما.. هذه النقطة يجب أن تكون واضحة..
ونحن عندنا أن النارة قد كانت واضحة في هذا الأمر، ذلك أنه، في آخر الوقت،
الأمّة تنخلع عن الإسلام.. يبقى الإسلام في جانب، وتطبيق الأمة في جانب آخر..
الأمّة ترجع إلى جاهلية ثانية.. والناس البفكروا، والبيعرفوا هذا الأمر ما بنخدعوا

^١ محمود محمد طه - طريق محمد - الطبعة الثالثة - أكتوبر ١٩٦٩

- ص ١٤ <https://www.alfikra.org/books/bk009.pdf>

^٢ محمود محمد طه : تعلموا كيف تصلون - ص ٩٦-

<https://www.alfikra.org/books/bk025.pdf>

^٣ محمود محمد طه: لا إله إلا الله - مايو ١٩٦٩ - ص ٥٧ -

<https://www.alfikra.org/books/bk018.pdf>

بالمظاهر.. لأن الجاهلية مش معناها ترك اللبّة والقشرة معا.. الجاهلية معناها التمسك
بالقشرة والتفريط في اللبّة،)

أما في كتيب "تعلموا كيف تصومون" - يقول الجمهوريون التالي :
(ان المسلمين اليوم، في جاهلية، وان صاموا، وان صلوا، وحجوا، ذلك بأنهم انما
يارسون شعائر دينهم بغير فكر - بغير حضور - وبغير صدق،)

المسلمون اليوم ليسوا على شيء :

ويطرح محمود والجمهوريين فكرة تكفيرية كاسحة، مفادها ان كل
المسلمين اليوم ليسوا مسلمين، وإن صاموا وإن صلوا، وأنهم في خزي،
وأنهم ليسوا على شيء. هذا يتطابق مع ما يطرحه عامة التكفيريين منذ
زمن الخوارج وحتى اليوم، ان مخالفيهم في العقيدة والمنهج كفار وان
صاموا وان صلوا، وما يقوله السلفيون ان الصوفية مشركين وان صاموا
وان صلوا، وما يقوله الإسلامويون ان العلمانيين كفرة وان صاموا وإن
صلوا .

هذه الفكرة وهذه المقولة ان المسلمين اليوم ليسوا على شيء، هي
عنوان فقرة في كتيب "لا إله الا الله" والذي اقتبسنا منه اعلاه، والذي
يقول فيه محمود أيضا :

(ومعنى أننا نحن مفرطين في اللبّة هو أن أخلاقنا موش أخلاق إسلام.. نعبد عبادة
المسلمين لكن الأخلاق في السوق، وفي الشارع، وفي المدرسة، وفي المكتب، موش

¹ الإخوان الجمهوريين: تعلموا كيف تصومون- النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=222&chapter_id=2

أخلاق مسلمين.. ودي انتو عارفنها.. وأي واحد يحاول يضلنا عن النقطة دي..

ويقول ليينا أننا نحن مسلمين وبخير، أفنكر بيهم محاولتنا للتغير وتحسن)'^١

أما في كتاب "طريق محمد" لمحمود محمد طه فنقرأ في المقدمة التالي:

(والمسلمون، اليوم، ليسوا على شيء، وإنما هم في التيه.. يعيشون الجاهلية الثانية -

جاهلية القرن العشرين - والعاملون منهم بالدين لا يتعدى عملهم القشور إلى اللباب..

وليس لهم إلى خروج من هذا الخزي غير طريق محمد.. ونحن إذ قدمه لهم في هذا

الكتيب، وإذ ندعوهم إليه، ننذرهم عواقب الإبطاء في الأخذ به.)^٢

ويمضي محمود والجمهوريون أكثر ليحاولوا ان يعلموا الناس كيف

يصلون. والحقيقة انهم متسقون مع ذاتهم. فاذا كنا نعيش في جاهلية،

وإذا كان المسلمون ليسوا مسلمين، بل اذ كانوا ليس على شيء، جاز

للسلطان الجديد وتلاميذه تعليمهم كالأطفال كيف يصلون وكيف

يصومو. بل ان ينصحوهم اصلا بالصلاة لأنهم لا يصلون أصلا وإن صلوا .

نقرأ في كتاب "تعلموا كيف تصلون" لمحمود التالي:

(صلوا!!! فإنكم لا تصلون.. هذا الحديث يساق إلى كل المسلمين.. ويساق، بصورة

خاصة، إلى الذين يعمرن منهم المساجد، اليوم، ويستشعرون الرضا عن أنفسهم..

صلوا!!! فإنكم الآن لا تصلون.. ولا تغرنكم هذه الحركات الآلية التي تودونها، فإنها لا

روح فيها.. إنها ((جثة بلا روح))، بدليل أن أخلاقكم ليست أخلاق المسلمين..)^٣

ويستخدم الجمهوريون نفس حجج السلفيين في تفسير ان المسلمين

اليوم ليسوا على شيء، فيفسرون هزيمة العرب في ١٩٦٧ بابتعادهم عن

^١ محمود محمد طه: لا إله إلا الله - مايو ١٩٦٩ - ص ٥٧ -

<https://www.alfikra.org/books/bk018.pdf>

^٢ محمود محمد طه: طريق محمد - مرجع سابق - ص ١٦-١٧ -

<https://www.alfikra.org/books/bk009.pdf>

^٣ محمود محمد طه - تعلموا كيف تصلون - مرجع سابق -

الدين، وليس لتخلفهم السياسي والتكنولوجي والعسكري، فيقولوا في نفس الكتاب السابق:

(الحوادث، والعبر، التي تؤكد للمسلمين أنهم ليسوا على شيء كثيرة، ولكن أهمها مشكلة الشرق الأوسط مع إسرائيل، فقد انهزم المسلمون فيها عام ١٩٤٨، وعام ١٩٥٦، وعام ١٩٦٧، ولا يزال شبح الهزيمة يتابعهم).^١

المسيحيون واليهود كفار في نظر الجمهوريين :

رغم ان المسيحيين واليهود اهل كتاب وفقاً للإسلام، الا انهم في نظر محمود والجمهوريين كفارا. ذلك انهم لم يقتنعوا بالدعوة الإسلامية الجديدة اي الجمهورية، لذلك لا ينفعهم انهم اهل كتاب .

هذا الفهم نجده منشورا في كتب محمود والجمهوريين، ومن ذلك النص في نفس الكتيب السابق، والذي يقول فيه الجمهوريون ان الله وعد المسلمين الا يجعل للكافرين عليهم سبيلا، ورغم ذلك جعل لليهود عليهم سبيلا. ها هنا يضع الجمهوريون علامة تساوي بين الكفار واليهود. انظر للنص مرة ثانية حيث يكتب الجمهوريون :

(يقول تعالى: ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)).. ذلك وعد الله، وهو وعد غير مكذوب.. ومع ذلك فقد جعل الله لليهود على المسلمين سبيلا، بل

^١ محمود محمد طه - تعلموا كيف تصلون - مرجع سابق -

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=25&chapter_id=19

أكثر من سبيل.. فلم يبق إلا أن المسلمين ليسو على شيء (تحسبهم جميعاً، وقلوبهم
شتى..))^١

كما انه في نص ثانٍ يشنع الجمهوريون على اليهود والمسيحيين (الذين
يسمونهم بالنصارى)، ويقولون انهم يعيشون في جاهلية، وإن اقاموا
الصلاة، وانهم نصلوا من دينهم، يمارسون الربا والكذب والغش الخ -
تجد هذا في كتيب "تعلموا كيف تصومون" حيث يقول الجمهوريون
التالي :

(ان المسلمين اليوم، في جاهلية، وان صاموا، وان صلوا، وحجوا، ذلك بأنهم انما
يمارسون شعائر دينهم بغير فكر - بغير حضور - وبغير صدق، ولو لم يكن أمرهم
بهذه الصورة لما صاروا في أخلاقهم، وفي تعاملهم، في السوق، وفي المكتب والمصنع،
كاليهود، والنصارى، بعد ان نصلوا عن دينهم، وفارقوا قيمه، وأبقوا على شكله.. فهم
يقومون الصلاة في البيع والكنائس ولكنهم في السوق يتعاملون بالربا، والغش،
والكذب.)^٢

الاديان الأخرى ليست ديناً:

أما الطوائف والاديان الأخرى مثل الشيعة والبهائية والاحمدية،
والآخرين يسميهم الجمهوريون بالقاديانية تماماً مثل السلفيين، وربما

^١ محمود محمد طه - تعلموا كيف تصلون - مرجع سابق -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=25&chapter_id=19

^٢ الإخوان الجمهوريون: تعلموا كيف تصومون - النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=222&chapter_id=2

لاحتكار صفة الأحمديّة لأنفسهم، حيث يقولون عن البهائية في رسالة كتبها عبد اللطيف عمر التالي :

كَمَا أَنَّ الْبَهَائِيَّةَ قَالَتْ أَيْضاً بِالرَّسَالَةِ الْأُولَى وَالْجَدِيدَةِ وَهِيَ فِرْقَةٌ مُخَالَفَةٌ لِلْإِسْلَامِ بِلَا شَكٍّ وَكُنَّا اسْتَعْمَلْنَا الْبَاطِنِيِّينَ وَالزَّنَادِقَةَ طَرِيقَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ، وَتَغْيِيرِ جَوْهَرِهِ بِطَرِيقِ التَّأْوِيلِ.^١

كما يقولون عن اهم كتابين مقدسين للبهائية انهما من الالهامات الظلمانية، حيث ورد في كتاب " الشيعة " الذي اصدره الجمهوريون المقطع التالي:

كِتَابَا (الْبَيَانِ) وَ(الْأَقْدَسِ) إِنَّمَا هُمَا الْهَامَاتُ ظَلْمَانِيَّةٌ، وَهَذَا يُقْتَضِيَانِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْإِلَهَامَاتِ الظَّلْمَانِيَّةِ، وَالْإِلَهَامَاتِ النُّورَانِيَّةِ.^٢

وتهاجم الجمهورية الديانة البهائية في واحدة من أجمل اشراقاتها وهي تطويرها للقانون الجزائي، وذلك ضمن دفاع محمود والجمهوريون المحموم عن الحدود والتقطيع والصلب من خلاف وتهشيم الرؤوس مما أشرنا اليه في بوست سابق، حيث يقولون في نفس كتاب " الشيعة " التالي :

(وَأَلْفَتِ الْبَهَائِيَّةُ حُدَّ السَّرْقَةِ، وَهُوَ قَطْعُ الْبِيَدِ، وَحُدَّ الزَّانَا، وَهُوَ الرَّجْمُ، أَوْ الْجَلْدُ، وَاسْتَبَدَلَتْ الْأَوَّلَ بِالنَّفْيِ، وَالْحَبْسِ، وَالثَّانِي بِالْغَرَامَةِ.. جَاءَ فِي (الْأَقْدَسِ): (كَتَبْنَا عَلَى

^١ الإخوان الجمهوريون في جريدة الاخبار المصرية - الجزء الأول -
النسخة
الالكترونية

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=101&chapter_id=4

^٢ الإخوان الجمهوريون - الشيعة - النسخة الالكترونية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=266&chapter_id=32

السارق النفي والحبس) وجاء (قد حكم الله لكل زان وزانية دية مسلمة إلى بيت العدل) - (المصدر السابق).. وهذا التغيير الأساسي في شريعة الحدود، والقصاص، إنما يخرج البهائية أن يكون لها أي حظ من الدين، فاهيك عن أن تكون ديناً!!^١

هذا امر غريب اذ يعترف الجمهوريون ان البهائية دين جديد، حين يقول عبد اللطيف عمر في رسالته آنفة الذكر:

(إن البهائية دعوة إلى "دين جديد" اسمه "البهائية"، له نبي جديد، وكتاب جديد جرى كما تزعم على لسان هذا النبي الجديد، وقد تركت البهائية الإسلام وراء ظهرها وقالت بالدين الجديد النبي تعتبره بدلاً لكل الأديان)^٢

ومع ذلك يرجعون لينكرون عليها صفة الدين، بل يقولون ان ليس لها أي حظ من الدين. كيف لا والدين كله هو الفكرة الجمهورية كما سنرى في شر الختام..

شر الختام: الجمهورية هي الإسلام وهي الدين:

وإذا لم تكن جمهورياً فأنت مغفل وجاهل وستعذب في النار وفي البرزخ: لماذا يكفر الجمهوريون غيرهم ويرون ان كل العالم جاهلي وان المسلمين ليسوا على شيء وان اليهود كفار وان النصارى يعيشون في

^١ الإخوان الجمهوريون - الشيعة - النسخة الالكترونية - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=266&chapter_id=32

^٢ الإخوان الجمهوريون - الشيعة - النسخة الالكترونية - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=266&chapter_id=32

جاهلية وان البهائية والاحمدية ليس لهم حظ من الدين وانما هما مجرد الهامات ظلامية وان الشيعة منحرفون الخ؟
يفعلون ذلك لأن الجمهوريين يؤمنون ان فكرتهم هي الإسلام نفسه وهي الدين نفسه. ليست رؤية للإسلام او اجتهاداً في إطار الإسلام، لا بل هي الإسلام نفسه المُعرف بالالف واللام. اذهب أكثر واقول انهم لا يرون انها الإسلام فقط، الإسلام الذي تحدث القرآن عنه أنه لن يُقبل سواه، والذي حاول بعض الاصلاحيين مده ليشمل كل الاديان الإبراهيمية، بل يرون انها الدين في أصل نفسه، وان كل ما عداها ليس إسلاماً فقط، بل ليس ديناً ولا حظ له من الدين .

يقول محمود محمد طه في تسجيل من عام ١٩٨٢ عن الأصيل الواحد عن بعض من خرجوا عن الطائفة الجمهورية - ويمتد خطابه بالضرورة لكل المسلمين ناهيك عن اصحاب الديانات الاخرى او الملحدين الخ - التالي :

(نحن في ناس طلوعوا من مجتمعا!! في جمهوريين طلوعوا، ولا يزالوا يطلعوا! وراح يطلعوا!! دا عيننا وتقصنا نحن فيهو.. نحن القياديين، أننا ما استطعنا أن نظهر أنو الأمر دا دين، وهو ((الدين)) وما في دين غيرو، وأنو البيخرج منو بجيهو راجع، ولو مات على غيرو مات على سوء الحاتمة!! وبجي في برزخو بيعذب وفي النار بيعذب ولا بد بيجي للأمر دا.. ما استطعنا أن نبرز أنو الدعوة دي هي الإسلام اللي قال عنو ربنا ((لن الدين عند الله الإسلام)).. ما استطعنا أن نجتيد أنه هذه الدعوة هي الدين اللي قال عنو ربنا ((و من يتبني غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) الناس الطلعو مننا طلوعو مننا لا اعتبار أننا نحن دعوة دينية وفي دعوات دينية ثانية.. نحن جماعة وفي جماعات ثانية.. دا تقصيرنا نحن لو كان نحن جسدنا أنو الموضوع دا ما في غيرو، ما بطلع زول.. ولسع راح يطلعوا ناس

أحسن تخلو بالكم من أنو نحن مسئولين عن الناس البيطلعو لتقصرنا نحن في أن
نبين أنو الأمر دا البيخرج منو مغفل، جاهل..^١

١٦ يوليو ٢٠٢١

١ الفقرة الاخيرة من حديث محمود في ١٩٨٢ مفرغة من فيديو يحمل
حديثه على هذا الرابط من الدقيقة ٢٧ والثانية ٣٦ حتى الدقيقة ٢٩
والثانية ٢ <https://youtu.be/LW4yGru5sjg>

بعض الملاحظات النقدية حول تكفيرية الجمهوريين

مقدمة:

كتبت في المقال السابق أن الطائفة الجمهورية تكفر الجميع فيما عداها وترى أنها وحدها على الحق وأن الجميع الآخرين على الباطل، وأن الافكار الجمهورية ليست هي اجتهاد ورؤية في إطار الإسلام، وانما هي الإسلام نفسه المعرف بالألف واللام، والمشار إليه في الآية (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، وأنهم يعتقدون ان أفكارهم هي الدين نفسه المشار إليه في تلك الآية، كما قال محمود محمد طه في حديثه عن الأصيل الواحد.

اليوم نطرح بعض الملاحظات النقدية حول هذا المنهج التكفيري الجمهوريين وانعدام التسامح وسطهم، في النقاط المختصرة التالية :

تناقض تكفيرية الجمهوريين مع تسامح الصوفية :

يزعم محمود والجمهوريون أنهم يسировون على نهج الصوفية ويستشهدون كثيرا في كتبهم بأقوال كبار الصوفية، وفي ذكرهم وانشادهم يستخدمون كثيراً من الأشعار الصوفية، مما قد يخدع غير المتابع أن الجمهوريين صوفية وأنهم ينهجون نهج الصوفية. والشاهد أن الجمهوريين لهم رأي في كل الصوفية المعاصرة ويعتبرونهم أيضا (ليسوا على شيء)، ويدعونهم لترك طرقهم والسير على طريق محمد (وفقاً للفهم الجمهوري) كما يتجلى ذلك في مختلف المقدمات التي كتبوها لكتاب "طريق محمد" وغيره من كتبهم ومنشوراتهم..

ولما كنت قد أشرت لتكفير الجمهوريين لكل من عداهم من المسلمين واعتبارهم (ليسو على شيء) وأن صاموا وأن صلوا، وكذلك اعتبارهم لليهود والنصارى كفارا وتشنيعهم على البهائية والاحمدية الخ، فإن هذا يتناقض تماما مع تسامح الصوفية ورجالها، والذين يقول كبيرهم ابن عربي في ديوانه " ترجمان الأشواق":

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي-إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة - فرعى لغزلانٍ وديراً لزهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف - وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت - ركائبه، فالحب ديني وإيماني^١.

ويتجلى تسامح الصوفية في عدد كبير من النصوص الأخرى والممارسات. انظر لقول جلال الدين الرومي:

يسر على درب محمد، ولكن إذا لم تستطع، فانهج نهج المسيح).^٢

أو قول الأمير عبد القادر الجزائري:

(لأن كل الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعيله، وإن كل الأديان من آدم إلى محمد عليها السلام تعتمد على مبادئ: تعظيم الله جل جلاله، والترجمة بمخلوقاته، وما عدا هذا، ففرعيات ليست بذات أهمية كبيرة).^٣

^١ محي الدين بن العربي - ديوان ترجمان الاشواق - دار المعرفة - بيروت - ٢٠٠٥ - ص ٦٢ - النسخة الالكترونية <https://ktabpdf.com/uploads/files/269927239.pdf>

^٢ نقلاً عن د. خالد التوزاني- التصوف و التسامح : دين المحبة- النسخة الالكترونية - نشرت في موقع الرسالة <https://el-ressala.com>

^٣ المرجع السابق

اين من كل هذا الجمهوريون الذين يرون أن فكرتهم هي الإسلام نفسه وهي الدين نفسه، وأن كل ما عداها باطل، وأن من يخرج عنها يعذب في البرزخ وفي النار، وهو مغفل وجاهل؟!

هل التسامح الديني ينفي ايمان المرء بدينه أو مذهبه؟!

ويرد الجمهوريون بحجة غريبة، في تكفيرهم الآخرين واعتبارهم ليسو على شيء، وهي أنهم مقتنعون بفكرتهم ومؤمنون بها، لذلك من الطبيعي أن يروا صحتها وبطلان غيرها .

ومن المعلوم أن بعض الفقهاء قد رفضوا هذا المنهج الشمولي والاقصائي، حين اعتبروا رأيهم اجتهادا في إطار الدين، وليس هو الدين نفسه المعرف بالالف واللام. فقد قال الامام الشافعي:

(رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب).^١

ولكن اين هذا الفهم من محمود الذي لا يرى أن أفكاره مجرد أفكار وآراء دينية واجتهادات، وانما يراها الدين نفسه، بحكم أن الله قد أعطاه الفهم عن القرآن واذن له بالكلام .

والشاهد أن القرآن نفسه قد دعا إلى شيء من التسامح، وقبل بالتعدد الديني، حيث يقول:

(لِرَبِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّاصِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).^٢

^١ وثقه علوي بن أحمد السقاف - الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية -
النسخة
الالكترونية

<https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-fil7573-ketabpedia.com.pdf>

^٢ القرآن الكريم - سورة المائدة - الآية ٦٩

اي ان المعيار هو الإيمان بالله والعمل الصالح وليس أن تكون على هذا الدين أو ذلك، ناهيك عن أن تكون فقط على الفكرة الجمهورية .
كما إن هناك الكثير من الآيات التي تحض على ترك الناس على حالهم وعدم اجبارهم على الدين:

(فذكر إنما أنت مذكر* لست عليهم بمسيطر)^١

أو

(وَأَوْشَاءَ رَبِّكَ لِأَمِّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُنْكِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ) ٢ الخ.

إن التسامح الديني لا ينفي إيمان المرء واقتناعه بما يؤمن به، وانما هو تعبير عن التواضع الفكري وعن الاعتراف بنسبية المعرفة وتعدد اشكال التجربة الدينية والمعرفية والانسانية، واحترام لإنسانية الإنسان بما هو انسان، وحقه وحرثته في الاختيار، وهو حق طبيعي وإنساني مقدس، بما فيه حتى حقه في عدم الاعتقاد أو عدم الإيمان.

الإسلام ووحدة الديانات:

وكلمة الإسلام التي يستخدمها محمود باعتبارها المعادل الموضوعي لفكرته، أي أن فكرته فقط هي الإسلام، هي أوسع في القرآن ليس من ذلك فحسب، بل من مفهوم الإسلام الحديث والمسلمين الحديثين، اي اتباع النبي محمد، والذين يسميهم القرآن بالمؤمنين لا المسلمين، ناهيك عن أن يكون مجرد افكار طائفة واحدة لا يتعدى أعضاؤها الالاف .

^١ القرين الكريم - سورة الغاشية - الآيات ٢١-٢٢

^٢ القرآن الكريم - سورة يونس - الآية ٩٩

ذلك إن الإسلام في القرآن هو التسليم لله وهو دين إبراهيم ودين كل الانبياء الخ، وليس ديناً بعينه، وأن المسلم هو المسلم لله وليس المسلم التاريخي أو المعاصر، حيث وردت بهذه المعنى عن رسل مختلفين، فيقول القرآن عن إبراهيم مثلاً وأبناءه:

(إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنت مسلمون)^١

والغريبة أن محمود في كتابات سابقة له قد دافع عن التسامح الديني، وعن هذا الفهم الواسع للإسلام، إلا أنه في كل مرة وفي نهاية خطابه يرجع الأمر دائماً للإسلام المحمدي، ويقول إن الأديان كلها هي هذا الإسلام، ومن هنا جاءت دعوته لوحدة الأديان، وفق فهمه وفكرته . ودعوة وحدة الأديان عندي فوق أنها غير واقعية، فهي دعوة شمولية تريد أن تلغي كل التعدد الديني في العالم وتنفي فكرة التسامح الديني من أصلها، فأنت إذا وحدت كل الأديان في فكرتك أو دينك، فما الداعي للتسامح حينها؟!

ضرورة التسامح الديني وافكار بعض الجمهوريين المعاصرين:

وقد انتبه بعض الجمهوريين المعاصرين مثل الدكتور قصي همروور لضرورة التسامح الديني، حيث كتب في مقال له بعنوان " التسامح الديني ضرورة واجبة"، أنه يجب أن يشمل كل الأديان، حيث ذكر :
(وهناك أمر لا بد من التنبيه له، وهو أن التسامح الديني يشمل كل الأديان، ويجب أن يكون كذلك ولا يفقد قيمته، فعندما يتسامح المسلم مثلاً مع اليهودي والمسيحي بحكم أنها كتابيان مثله، هذا لا يغنيه عن أن يكون على نفس القدر من التسامح

^١ القرآن الكريم - سورة البقرة - الآيات ١٣١-١٣٢

مع أصحاب ديانات أخرى قد يعتقد هو أنها وثنية مثلا (كحال نظرة الكثير من المسلمين للهندوس والبوذيين، وكحال نظرة الكتابيين الأفارقة إلى أهلهم من أصحاب المعتقدات المحلية) أو أنها باطلة بحكم عقيدته لأنها ظهرت بعدها (مثل نظرة الكتابيين إلى البهائية والسيخية).. فالتسامح الديني لن لم يكن شاملا فهو لن يعدو كونه تحزب مجموعة من الأديان في نظرتها للأديان الأخرى، ومثل هذا التحزب لا يحل المشكلة بأي حال من الأحوال ولا يحقق التعايش السلمي الذي نرجوه ونحتاجه على هذه الأرض.. ومن باب اولى، فإن التسامح بين أهل الدين الواحد هو أمر لا محيص عنه)'.¹

ورغم أن د. قصي همور لا يشمل اللادينيين في دعوته هذه للتسامح، ولا يمدد التسامح الديني للتسامح الفكري والفلسفي، إلا أن أفكاره الواضحة تتناقض مع الكثير من اقوال محمود والجمهوريين، والذين لم يكفروا وينفوا الإسلام عن غيرهم فحسب، بل وصفوا الكتابيين بالكفر وسفوها بعض الأديان والمذاهب الأخرى كما أسلفنا .

الجذور الفكرية لتكفيرية الجمهوريين :

أن تكفيرية الجمهوريين لغيرهم وادعاءهم أنهم وحدهم على الحق، إنما تتبع من جذرين رئيسيين، الاول هو نظرتهم لمحمود محمد طه

١ قصي همور: التسامح الديني.. ضرورة لا بديل عنها – النسخة
الإلكترونية

https://www.alfikra.org/article_page_view_a.php?article_id=1034&page_id=3

ولانفسهم، والثاني من وضعهم كدين شمولي جديد، وهما الثيمتين اللتين سافرغ لكل منهما مقالا منفصلا.

لكن في هذه العجالة اختصر واقول إن الجمهوريين لا يرون محمود محمد طه كمجتهد ومجدد ديني، تقبل اراؤه الصواب والخطأ، مثل الامام الشافعي مثلا، وانما ينظرون له على أنه الرجل الذي أتاه الله الفهم عن القرآن واذن له بالكلام، وأنه رسول الرسالة الثانية، والأصيل الواحد، وأنه الحقيقة المحمدية، وصاحب الرسالة الاحمدية، وخاتم الولاية، والإنسان الكامل، وأنه المسيح المحمدي، حتى قال شاعرهم عوض الكريم موسى فيه في قصيدة يا أيها المتدلي :

أنت ابن مريم فينا * لم يبق غير التجلي
فانشر لواء سلام * وانزع كوا من غلي
واحى الوجود بنور * من ناظريك مطل

كما لا يرى الجمهوريون أنفسهم مجرد طائفة من طوائف المسلمين، أو اتباع اجتهاد فكري انساني، بل يرون أنهم إخوان الرسول، ومحبي سنته بعد اندثارها، وفقاً للحديث الذي يستشهدون به كثيرا، ويفهمون أنه عنهم:

(واشوقني لإخواني الذين لم يأتوا بعد. قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله. قال : لا، بل أتم اصحابي.)

كما ركب الجمهوريون الحديث المنسوب للرسول والذي يقول: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء) على أنفسهم، اي

¹ عوض الكريم موسى - يا أيها المتدلي - النسخة الالكترونية
https://www.alfikra.org/poem_view_a.php?poem_id=171

أنهم يرون انهم هم هؤلاء الغرباء، انظر إليهم يقولون في خاتمة كتاب "معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية" - الجزء الثاني- التالي:
(إن دعوتنا هذه هي دعوة الإسلام، عائدة، كما بدأت قبلاً، كحذو النعل بالنعل.. (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، كما بدأ، فطوبى للغرباء، قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال الذين يخيون سنتي بعد اندثارها))^١
كما يقولون في خاتمة نفس الكتاب:

(إن "الفكرة الجمهورية" هي الإسلام، وهي بذلك أداة التغيير الوحيدة، والحاسمة، ليس للسودان، ولا للمسلمين، وحسب بل للإنسانية جمعاء.. فما للإنسانية من مُرشِد، ومُسلِّك، ومُخرج من وهلتها غير محمد.. وليس لها من سبيل يجنبها ويلات الحروب، وينزلها منازل السلام الثابتة، غير الإسلام في مستوى سنة محمد، صلى الله عليه وسلم.. وما "الفكرة الجمهورية" إلا دعوة بلسان الحال، ولسان المقال، لبعث سنة النبي، وبعث الإسلام، من ثم فمن ستره أن يرى الإسلام مجسداً في اللحم والدم، فليُنظر إلى الجمهوريين)^٢

هل الفكرة الجمهورية دين جديد؟

هذا كله ينقلنا للجذر الثاني لتكفيرية الطائفة الجمهورية للآخرين، وهو تحول الفكرة الجمهورية من كونها مذهباً في إطار الإسلام، إلى كونها ديناً جديداً خارجاً من رحم الإسلام، مختلفاً عن دين القوم، ومتصفاً بكل صفات الدين الشمولي الجديد. ومن المعروف أن الأديان الشمولية

^١ الإخوان الجمهوريون - معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية -
الجزء الثاني - النسخة الالكترونية
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=94&chapter_id=19
^٢ المرجع السابق

الجديدة دائما ما تكون راديكالية وتكفر كل ما كان قبلها وسواها، وتدعي أنها هي الدين ولا شيء غيرها، ولكن هذا حديث مقال آخر.

٢٥ يوليو ٢٠٢١

**الفصل الثالث - المرايا المكبرة : صورة محمود محمد طه عن
نفسه وصورة الجمهوريين عنه**

محمود محمد طه: نبي أم رسول؟

مقدمة:

تكلّمنا في المقالات السابقة أن أفكار الطائفة الجمهورية التكفيرية تجاه الغير والمتعالية على الآخرين تنبع من رؤيتهم لمحمود محمد طه أنه فوق البشر، وأنه يتلقى علما لندبا، وأنه رسول الرسالة الثانية وأنه الأصيل الواحد والإنسان الكامل والمسيح المحمدي والحقيقة المحمدية الخ، ولذلك لا يكون رأيه اجتهادا في الدين، وانما هو الدين نفسه، مستقىً من مصدر فوق بشري.

في هذا المقال نحاول أن نوثق لادعائنا هذا، من كتابات محمود واقواله وكتابات الجمهوريين .ونزعم أن محمودا كان ينظر لنفسه وأن الجمهوريين كانوا ينظرون له من خلال مرايا مكبرة مُصَحَّمة، أعلنت من شأنه في أمر أشبه بجنون العظمة من طرفه، وبالتاليه والغياب الكامل للعقل من طرفهم .

محمود محمد طه: نبي أم رسول :

واضح أن محمود محمد طه لم يكن ثابتا في رأيه عن نفسه، حين يتحدث عن أمري النبوة والرسالة .فهو مرات يرى نفسه كنبي، ومرات ينسب الرسالة الثانية للرسول محمد، ومرات ينسبها لشخص آخر، يعرفه القارئ من السياق الخ .

وكان أول تصريح لمحمود في هذا الإطار في حوار مع صحيفة في عام ١٩٥١، حيث ورد السؤال التالي :

(س): يعتقد العم خاطر أنه نبي ورسول، وأن الآيات القرآنية لا تؤكد عدم وجود الأنبياء بعد محمد كما أنه يعتقد أنك نبي، وفي كلا الاعتقادين لدينا شك وشكوك.^١

رد محمود بإجابة طويلة معقدة ختمها بالتالي :

(أما الجزء الأخير من السؤال فانه الإجابة من الناحية الموضوعية وهي المهمة قد سلفت أعلاه ومن الناحية الشخصية "فإني أزعم لنفسي ذلك وأرجو أن أكون محققاً).^٢

أما قضية رسول الرسالة الثانية فقد كتب محمود محمد طه في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب "الرسالة الثانية من الإسلام" التالي :

(إن محمدا رسول الرسالة الأولى، وهو رسول الرسالة الثانية.. وهو قد فصل الرسالة الأولى تفصيلا، وأجمل الرسالة الثانية إجمالاً، ولا يقتضي تفصيلها إلا فهمها جديدا للقرآن، وهو ما يقوم عليه هذا الكتاب الذي بين يدي القراء).^٣

أما في مقدمة الطبعة الرابعة فيقول محمود هذا النص المخالف :

(من رسول الرسالة الثانية؟؟)

هو رجل آتاه الله الفهم عنه من القرآن، وأذن له في الكلام..
كيف نعرفه؟؟

https://www.alfikra.org/interview_page_view_a.php?talk_id=6&page_id=1

^٢ المرجع السابق

^٣

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=10&chapter_id=3

حسنا !! قالوا أن المسيح قد قال يوماً لتلاميذه: ((احذروا الأنبياء الكذبة !!))
قالوا: ((كيف نعرفهم ؟؟)).. قال: ((بشارهم تعرفونهم)) .¹

الشاهد أن الناس قد فهمت من ذلك أن محموداً هو رسول الرسالة الثانية وهو الرجل الذي أتاه الله الفهم عن القرآن واذن له بالكلام، حيث أنه بعد هذه المقدمة كتب كتاباً مطولاً تفصيلياً يشرح فيه هذه الرسالة الثانية التي كانت مجملة إجمالاً كما قال، هو كتاب " الرسالة الثانية من الإسلام "

وقد عبر أحد كبار ناشطي الجمهوريين ومحرر موقع الفكرة الجمهورية الاستاذ عمر عبد الله عن هذه القناعة أن محموداً هو من أتاه الله الفهم عن القرآن وأنه رسول الرسالة الثانية عندما كتب :

((الأستاذ محمود هو رسول الرسالة الثانية بمعنى أنه فهمها من القرآن وشرحها وبشر بها.. فبعد أن ختمت النبوة بصريح نص لا مرية فيه واستقر بين دفتي المصحف كلما يريد الله أن يبلغه لعباده أصبحت التقوى هي وسيلة الفهم الجديد والعلم الجديد من الله (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) .. القرآن كلام الله ولكن فهمه يحتاج للتقوى.. الأستاذ محمود سلك درب التقوى هذا ففتح الله عليه بفهم جديد من القرآن هو ما شرحه في كتاب الرسالة الثانية وغيره من الكتب.. والتقوى درجات وكذلك الفهم من الله درجات.. بالمعنى العام كل من يفهم فهماً من القرآن ويوصله للناس فهو رسول ولكنك هنا تسأل عن هل الأستاذ محمود هو رسول

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=10&chapter_id=2

”الرسالة الثانية“ وأنا أقول نعم فهو الذي استخرج فهمها من القرآن ونشره بين الناس
في عصرنا هذا.)^١

ترك التقليد والصلاة الفردية والأصالة:

وتشكل قضية الأصالة والأصيل مشكلة كبيرة عند الجمهوريين، فوفقاً
لمحمود محمد طه ينبغي على الناس تقليد الرسول تقليداً جيداً حتى
يصلوا لمرحلة الأصالة ويأخذوا علمهم من الله كفاً (دون واسطة)،
وحينها تنزل لهم عباداتهم الفردية الخاصة بما فيها صلاتهم الخاصة.
ويقول محمود ويقول الجمهوريون من بعده أن هذا كان درب الرسول
محمد حيث كان يقلد جبريل حتى ليلة الإسراء والمعراج حيث وصل إلى
سدره المنتهى واخذ عبادته الفردية وأصالته. ولمحمود والجمهوريين
تنظير كثير في هذا الأمر ربما يكون أحسن تعبير له في محاضرة (الأصيل
الواحد) في عام ١٩٨٢ ثم في كتاب ”التقليد، الأصيل، الأصلاء.“
ولا يشك الجمهوريون في أن محموداً كان هو الأصيل، وأنه أخذ عبادته
وشريعته الفردية منذ الستينات. حيث يحكي الاستاذ د. عبد الله عثمان
في مقاله (هل للفكرة الجمهورية اسرار؟! نعم ولا) التالي :

(في إجابة لسائل سأل بكوستي عن “صلاة الأستاذ” أجاب الأستاذ بقوله (أنا
بصلي بإتقان شديد لتقليد النبي لأمره هو في التقليد لغاية ما أمرني بأن أكون أصيل
وقال لي ها أنت وربك وأخذت صلاتي الفردية من الله بلا واسطة.)^٢

<https://sudaneseonline.com/msg/board/155/msg/1177647547/rn/23.html>

<https://www.alrakoba.net/586912/%D9%87%D9>

ويعترف كثير من الجمهوريين، ومن بينهم الأستاذة أسماء محمود، بأن محموداً قد كان يمارس الصلاة الفردية الخاصة به - صلاة الإصالة - لبضع وثلاثين عاماً، وقد اعترف هو نفسه بأنه خاض تجربة الأصالة وعرفها ويستطيع أن يستخرج سندها وأدلتها من أصل الدين، حين يقول في كتاب أسئلة وأجوبة - الجزء الثاني، التالي :

(وانت تسأل عن الصلاة التي تزيطني بالمدعوين، فاعلم، إذن، أنها صلاة اللامعية إلى تقليد محمد، على أن يكون التقليد وسيلة إلى الإستقلال عن التقليد - إلى الأصالة - وحين أدعو إلى الأصالة، عن طريق التقليد، إنما أدعو إلى تجربة خضتها، وعرفتها، وأستطيع أن أستخرج سندها، وأدلتها، من أصل الدين.. كما فعلت مثلاً، في رسالة الصلاة التي قرأتها، وتكرمت بإبداء ملاحظاتك عليها).

٪٨٤-

[%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8](#)

[%B1%D8%A9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D9%87%D9%88](#)

[%D8%B1%D9%8A%D8%A9-](#)

[%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%B1%D](#)

[٨٪٩ف-%D٩٪٨٦%D٪B٩%D٩٪٨٥-](#)

[%D9%88%D9%84%D8%A7/](#)

1

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=22&chapter_id=4

محمود والشك في أصالته :

في سانحة أخرى تجد محمود في محاضرة الأصيل الواحد يقول إنه يرجو أن يكون هو الأصيل، ولكنه يشك في ذلك، ولا يأمن مكر الله، حيث يقول التالي:

(انتو قد تسألوا أنفسكم، أو يجب أن تسألوا أنفسكم، وراح يسألكم الناس، من دون أدنى ريب: هل أنا الأصيل؟ هل أنا الأصيل؟ أنا إتكلت عن مبدأ الأصالة وكنبت عنو وماشي في طريقه تطبيقياً..... هل أنا الأصيل؟ أنا أرجو أن أكون.. ولكني على شك! الشك بجي من السؤال أل يتقال في القرآن: ((أطلع الغيب، أم إتخذ عند الرحمن عهداً))؟! أنا ولا اطلعت على الغيب.. ولا عندي من الرحمن عهد! الإطلاع على الغيب هنا بيعنى معرفة الله كما هو عنده: ((قل لا يعلم من في السموات، والأرض، الغيب، إلا الله)) العلم دا ما عندي.. وما عندي عهد من الله.. العهد من الله هو عهد العلم أصلو.. أنا عندي علم لكن إذا قيس بي علم الله يكون شنو؟! هنا يدخل الشك)'

رغما عن ذلك يقول محمود لأتباعه الجمهوريين ألا يشكوا في أنه الأصيل! ويقول لهم اتركوا شكى لي، ولا تشكوا أنتم في أصالتي، وذلك لمصلحتكم! - وللتوثيق نأتي بقوله من نفس المحاضرة :

(لكن، الشك العندي أنا ما يكون عنديكم انتو برضو، بالصورة دي.. لأنو انتو ما عارفين جيبتو!! فإن إهتزت الصورة عنديكم قد تترك المسألة أثرها في سلوككم، لكن خلو لي شكى لي انا لأنو أنا بعرفو.. لكن إذا سئلتوا عني: هل أنا الأصيل؟ ما تقولوا أنا الأصيل قولوا كلامي دا: ((أنا أرجو أن أكون الأصيل وعلى شك، وقد يكون عند الله من هو أولى مني)).. الكلام دا قولوه لكن ما تعملو بيهو.. ما بعرف

١ تفرغ لنص من محاضرة الأصيل الواحد - جلسة الجمعة

١٩٨٣/٤/٣٠

النقطة لو إتضححت ليكم ولا لأ.. لانكم ما بتعرفوا مبلغ الشك العندي أنا.. ولا مستوى الشك العندي أنا).^١

هذا الكلام السابق عن الاصاله ثم شك محمود في نفسه غريب حقاً، إذ كيف سمح محمود لنفسه بترك التقليد لأكثر من ٣٠ عاماً، ليأتي ويقول إنه يشك في أصالته؟ وكيف يشك محمود في نفسه ويطلب من الآخرين إلا يشكوا؟! هذا تناقض مقيم وهو من أحد التناقضات الكبرى في الفكرة الجمهورية.

وقد انتبه الاستاذ محمد عثمان ابو الريش لهذه المسألة حين كتب في بوسته المهم (هل الاستاذ محمود محمد طه مسؤول عن عقيدة بعض الجمهوريين فيه؟) التالي:

(وبالرغم من هذا، فلا شك أن كان هناك حديثاً مزدوجاً.. فمن جهة كان الأستاذ يلاحظ ويعرف أن عقيدة الكثيرين من الجمهوريين هي أنه هو المسيح، فلم يئنهم عن ذلك الإعتقاد، غير أنه قال إنه يرجو أن يكون هو صاحب المقام، ولكن عنده شك.. ثم طلب من الإخوان أن يتركوا شكه له.. وهنا جاءت البلبه.. فهل ترك الشك له يعني صرف النظر عن أنه المسيح وأن يعتبره الإخوان رجل مسلم مجتهد لا يألوه؟ أم يعني الغريب منطقياً بأن ترك شكه هو، ونستيقن نحن أنه هو المسيح الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم).^٢

من جهته يكتب الجمهوري الكبير الدكتور ياسر الشريف التالي وهو يعبر عن اعتقاد عدد كبير من الجمهوريين، إن لم يكن كلهم:

١ المرجع السابق

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>
[7647047&rn=1](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117)

(طبعاً، مَنْ لا يعرف الأستاذ محمود يحق له أن يتشكك في مسألة الأصالة حتى يقتنع بها أو على الأقل يؤمن بها أو يرفضها بشكل واضح.. أما مَنْ يقول بأنه جمهوري فلا بد له أن يكون له رأي واضح في مسألة أصالة الأستاذ محمود وسؤالي للأخ حيدر هو: هل لديه أي شك في أن الأستاذ محمود صاحب أصالة وصاحب شريعة فردية؟ وهل ما قطع به الأستاذ القول بعاليه يدخل عند الأخ حيدر في باب العقائد القابلة للتشكك؟ فإذا كان لديه أي شك فهو في حلٍّ من أن يتحدث عن الفكرة الجمهورية أو حتى ينتقد الجمهوريين الذين أكرهوا على إعلان تخليهم عن فكر الأستاذ محمود، لأن مبدأ الأصالة وتطبيقها أمر أساسي في الفكرة الجمهورية^١)

كما يكتب الاستاذ عمر عبد الله التالي :

(الأستاذ محمود منذ أن تحقق بالأصالة بوسيلة التقليد المجدد كان هو صاحب الوقت وصاحب المقام المحمود وقد تم له إنزال المقام من الملكوت وجسده على الأرض، بفضل الله ثم بفضل توسيل النبي عليه السلام، وقد حقق به مستوى رفيعاً من العبودية، ظهر في دقة الفكر ودقة الفهم للقرآن، ثم أنه أنشأ جماعة سارت على درب التقليد، وفي نهاية الأمر برهن على صدقه في دعوته يوم التنفيذ... وهو لا يزال صاحب الوقت وصاحب المقام المحمود لأنه لقي الله شهيداً والشهيد حي وقد نهانا الله أن نصف الشهيد بالميت: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون")^٢

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>
 ٧٦٤٧٥٤٧&rn=40
<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>
 ٧٦٤٧٥٤٧&rn=49

في الحلقة التالية نشرح ما هو مفهوم الأصيل الواحد وأن الأصيل الواحد هو نفسه الإنسان الكامل، وأن الإنسان الكامل هو نفسه الحقيقة المحمدية اي تجلي الذات الإلهية اي هو الله المذكور في القرآن، ثم نعرض في الحلقة اللاحقة من هذا الفصل لصاحب المقام المحمود والمسيح المحمدي، الذي يعتقد كثير من الجمهوريين أنه كان محمود محمد طه، بينما يعتقد بعضهم أنه لم يأت بعد ولكنه سيأتي حتما لا بد، ولكن أيضا في شخص محمود .

٢٨ يوليو ٢٠٢١

الاصالة / الأصيل الواحد / صلاة الأصاله

محمود أصيلا حسب كلماته :

كتبنا في الحلقة السابقة أن محمود محمد طه كان يرى نفسه أصيلا، وفق مفهومه عن التقليد والأصاله، وأن كان شابه الشك في ذلك في اخر ايامه، وهو الشك الذي لم يمنعه من الاستمرار في عبادته الفردية وصلاته الفردية، رغم أنه قال إن العبادة الفردية لا تصح إلا للاصيل.

وكنا قد تساءلنا كما تساءل غيرنا كيف يشك محمود في نفسه ويطلب من أتباعه إلا يشكوا فيه، كما تساءلنا كيف يشك في نفسه بعد بضعة وثلاثين عاما من (استلامه) صلاته الفردية وعبادته الفردية؟!

وقد أثبتنا في المقال الأول من هذه السلسلة من اقوال محمود ومن اقوال الجمهوريين أن محمودا يعتقد في نفسه أنه اصيل، وأنه وصل مرحلة الأصاله، وأنهم يعتقدون عنه ذلك. ولا نرى بأسا في كل ذلك، فالإنسان حر في قناعاته أن يؤمن بما يشاء، شريطة ألا يضر الآخرين بذلك، والا يدخل قناعاته العقائدية في قضايا الناس اليومية، والا يخدم بها الطغاة، وهي الامور التي رصدناها في ممارسات بعض الجمهوريين، وسنرجع لتحقيقها لاحقا.

مع ذلك فقد وقع في يدي في خلال الأيام الفائتة نص حاسم لمحمود في مسألة وصوله للإصاله، أحب أن اضيفه ها هنا. ففي لقاء مع الاسترالي عمر جون يقول محمود التالي :

(أنا ظهر لي العمل دا.. وهيا لي أن النبي يقول لي: كن أصيل - استقل عن التقليد!! لما هو يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي!!» كأن، قلدي، لتحققوا أصالتكم، زي ما أنا حققت أصالتي!! المسألة دي، أنا لما جاعتي، في الأول، شكيت فيها شك كبير، ودفعتها عني دفع كبير.. لكن أحتت بالصورة، اللي ظهر لي، أني أنا لو مشيت في الصلاة التقليدية، أنا ماني عابد لله - ولا خوف الناس يقولوا عني شنو، ولا

خوف أن أسلم نفسي لله، خفت من أن أكون ضالاً.. الحالتين دليل بيخُن العبادَة
لغير الله.. المسألة دي لما ظهرت عندي، يقين، من العلم الفي القرآن - ويمكنك أن
تقول، من العلم اللادني من الله، البيوصلك لتأخذ من الله - المسألة دي لما ظهرت
ظهور محسوس، ومجسد، عندي، وأي عمل غيرها يبقى عمل لغير الله، دا كان
بالأمر).¹

حق الجميع في الأصالة والعبادة الفردية:

والأصالة في البدء - حسب المنهج الجمهوري - كانت مرحلة متاحة لكل
البشر، ليحققوا فرديتهم بها. بل قيل إنها تحقق الإسلام في صورته
العلمية، وهي التي تثبت تفرد الإسلام عن غيره من الفلسفات
المعاصرة، بإعلاء الفردية الخ. جاء مثلاً في محاضرة "الإسلام برسالته
الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين" التالي:

(وتتمثل دعوة الحزب الجمهوري، في هذا الباب، في الدعوة إلى تحقيق الفردية، لدي
كل فرد، وذلك بفتح الطريق أمام الناس ليرتقوا بتقليد المعصوم، في عبادته، وفيما
يتيسر من أسلوب عادته، حتى يفضي بهم إتيان التقليد إلى سقوط التقليد - إلى
الأصالة - فهم يقلدون النبي في أعماله ليقلوه في حاله. بيد أن حاله الأصالة، وليس
في الأصالة تقليد، وإنما فيها تأس. فهو عمدة تقليدنا بعمله، وهو عمدة أصالتنا بحاله)²

¹ نقلاً عن الدكتور ياسر الشريف - الأستاذ محمود محمد طه : عن
صلاة الأصالة والتقليد - نشر هنا:

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=510&msg=161>

[٧٨٣٤٣٤٨&rn=2](https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=15&chapter_id=12)

² محمود محمد طه : الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن
العشرين - منشور هنا :

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=15&chapter_id=12

كما يكتب محمود في كتاب "رسالة الصلاة" التالي :

(والنبي، الذي هو جبريلنا نحن، يرقى بنا إلى سدره منتهى كل منا، ويقف هناك، كما وقف جبريل، بيد أنه إنما يقف لكمال تبليغه رسالته، ولكمال توسيله إلى ربه، حتى يتم اللقاء، بين العابد المجدد وبين الله بلا واسطة. فيأخذ كل عابد مجود، من الأمة الإسلامية المقبلة، شريعته الفردية من الله بلا واسطة، فتكون له شهادته، وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه، ويكون، في كل أولئك، أصيلاً، ويكون، في كل أولئك، متأسياً بالمعصوم في الأصالة)^١

وقيل إن الأصالة هي طريقنا للخروج من القطيع، وأن نصبح أناساً أحراراً، وأن الأصالة أصل في الدين الإسلامي الخ. وثيمة القطيع وتشبيه الناس بالقطيع مهمة عند محمود والجمهوريين، وقد ارجع لها في سلسلة البوستات هذه. قال محمود أيضاً في رسالة الصلاة :

(لأن الإسلام، في حقيقته، ليس ديناً بالمعنى المألوف في الأديان، وإنما مرحلة العقيدة فيه مرحلة انتقال إلى المرحلة العلمية منه - مرحلة الشريعة فيه، مرحلة انتقال إلى مرتبة الحقيقة - حيث يرتفع الأفراد، من الشريعة الجماعية، إلى الشرائع الفردية، التي هي طرف من حقيقة كل صاحب حقيقة، وتكون الشريعة الجماعية محفوظة، ومرعية، لمصلحة السلوك، والتربية، والتنظيم، للقاعدة البشرية، التي تستجد كل يوم، وتجاهد بالتجارب كل حين لترقي المراقبي.. والذين يدخلون في مراتب الشرائع الفردية، هم المسلمون حقاً - هم الأحرار - الذين سبقت الإشارة إليهم، في هذا الحديث)^٢

^١ محمود محمد طه - رسالة الصلاة - منشور هنا :
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=8&chapter_id=15

^٢ المرجع السابق - منشور هنا :
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=8&chapter_id=16

بل لقد زعم محمود ان هناك من العارفين من وصل مرحلة الأصالة
والصلاة الفردية من قبله، وأن قال إنهم أخفوا الامر بالمعارض (اي أن
يقول المرء شيئاً ويعني غيره وهو عند الفقهاء ليس بكذب)، حين
تحدث عن الشيخ احمد البدوي. انظر الى قوله في نفس الفيديو الذي
تحدث فيه عن استلام أصالته:

(هل في الماضي حصل؟ دا سؤاله برضو، هل في الماضي حصل أنه ناس يعني
وصلوا الأصالة؟ في أوقات كثيرة الناس إتكلموا، لكن ما إتكلموا بالصورة النحنا
بنتكلم بيها. يعني، مثلاً الناس اللي قالوا "وفي طنطا قالوا صلاتي تركتها ولم يعلموا
أني أصلي بمكة". أهنا هنا إتتو تسمعوا قالوا يقولوا مثلاً فلان بصلي في مكة، العامة
يبتكروا إنه هو بيطير يمشي في مكة يصلي ويحي. هم قالوا في المعارض مندوحة عن
الكذب. هو قال إنه بصلي في مكة، هو من جانبه صاح، مش بالتفصيل العند
ذهن السامع، لكنه ما هو كاذب، حتى عند السامع، لأنه عرض لي قضية، دا إفتكر
إنه بصلي في مكة، إتهت المسألة. لكن حقيقته أنه هو لمان يصل لمقام الفردية، بيجد
الله في نفسه، دا مقام الفردية معناهو، لمن يكون التوحيد صفتك، بتشوف الواحد
بالتوحيد)'

هذا كله كلام مقبول وان كان في أغلبه منحول، ومن حق محمود او غيره
أن يؤمن به، لكن ماذا عن عيش هذا الكلام في الواقع العملي؟! ماذا لو
أعلن فرد معاصر لمحمود أو عدة أفراد معاصرين له أنهم وصلوا لتحقيق
فرديتهم، وأنهم وصلوا مرحلة الاصاله، وأخذوا شريعتهم الفردية
كمحمود؟! ألن يفرح محمود لذلك، ويعتبره تحققاً عملياً لأفكاره
العجبية؟!

١ محمود محمد طه - الدستور والحقوق الاساسية - محاضرة في
نادي أبناء أرض الحجر- الأربعاء ١٩ مارس ١٩٦٩ - منشور هنا:
[https://www.alfikra.org/talk_page_view_a.php?
talk_id=37&page_id=10](https://www.alfikra.org/talk_page_view_a.php?talk_id=37&page_id=10)

أصالة الاستاذ محيسي وظهور فكرة الأصيل الواحد:

في الحق إن محمود انقلب على نفسه تماما حين أعلن أحد الجمهوريين المخضرمين والذي كان قد انضم له ولطائفته منذ نهاية الخمسينات، وهو الاستاذ محمد خير محيسي، أنه وصل مرحلة الأصالة وأنه أصبح يتلقى عن الله كفاحا وأنه تلقى صلاته الفردية. ماذا كان موقف محمود حينها؟!

أنكر محمود حينها على الرجل أن يكون وصل إلى هذه المرحلة، واعتبر ذلك من تلبيس ابليس عليه، وطلب منه أن يرجع للتقليد وهو صاغر، وعندما أصر الاستاذ محيسي على إصالته (وهي أمر شخصي بينه وبين الله حسب تنظير محمود السابق) طرده محمود من المجتمع الجمهوري، وأمر بمقاطعته اجتماعيا .

يكتب الدكتور ياسر الشريف وهو أحد كبار الجمهوريين في موقع سودانيز اونلاين في توثيق ذلك التالي :

(أما سؤال الأخ أسامة عن: "هل بلغ أي واحد من الجمهوريين مقام الأصالة؟" أقول إن هناك واحد من الجمهوريين على عهد الأستاذ محمود قبل التحاق بالحركة، يعني قبل عام ١٩٧٢، اسمه محمد خير محيسي، عليه رحمة الله، زعم أنه بلغ مرحلة الأصالة، فترك الصلاة الشرعية بناء على رؤية نبوية رأى فيها النبي عليه السلام.. قال إنه رأى النبي عليه الصلاة والسلام يجلس على "عنتريب" فجاء هو ليسلم عليه فأعرض عنه النبي وتحول بوجهه إلى الجهة الأخرى، ففهم هو من هذه الرؤية أنه قد وصل مرحلة الأصالة بتأويل هذه الرؤية وكان النبي قد قال له: "ها أنت وربك" .. ولكن الأستاذ محمود نصحه بأن هذا مجرد تلبيس ومعنى الرؤية هو عكس ما فهمه محمد

محمد خير، ولكنه لم ينتصح.. ومن هنا فقد اختار الابتعاد عن الجمهوريين عندما
خبره الأستاذ بين ذلك وبين العودة إلى "طريق محمد".^١

أما أمر المقاطعة الاجتماعية، فقد وثقه نفس الدكتور ياسر الشريف، وهو
يخاطب الجمهوري السابق المهندس محمد عثمان ابو الريش قائلاً :
(وقد تذكرت أتي قرأت لك في هذا المنبر أنك قد خالفت في يوم من الايام توجيه
الأستاذ وقت زيارة محمد خير محيسي عليه رحمة الله وقت مناقشته في مسأله
إدعاء الأصالة)^٢

ولقد ألف الاستاذ محيسي عدة كتب من بينها "محمود محمد طه بين
الأصالة والشك"، "والنقد بين الفكر والدين"، " القرآن هو هذا الوجود "
و" الفكر بين الله والعبادة"، الخ. وهي مجموعة كتب فكرية دينية، لكن
ما يهمنا فيها أنه في موضوع الأصالة اتهم محمودا بالانانية وحب الذات،
ولكنه تراجع بعد مدة عن إعلانه عن أصالته - ربما تحت وطأة العزلة
الاجتماعية - ورجع للجمهوريين، ثم ما لبث بعد فترة أن أعاد نشر نفس
أفكاره وخرج من الجمهوريين بدون رجعة حتى وفاته .
الشاهد أن محمودا لم يكتف بإنكار أصالة هذا الرجل (كما أنكر من قبل
نبوءة العم ابو بكر خاطر الذي قال عن نفسه أنه نبي وأن محمود أيضا

^١ الدكتور ياسر الشريف - رد في بوست: هل كان محمود يصلي صلاة
التقليد المعروفة؟ طبعا .. لا؟ - نشرت هنا :

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&msg=10775>

[9٥١٥٤&rn=35](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&msg=10775)

^٢ الدكتور ياسر الشريف - مفهوم المسيح بوصفه الشهيد والفادي -

نشرت هنا : [https://sudaneseonline.com/cgi-](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&msg=10775)

[7١٤٧٥٤٧&rn=71](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&msg=10775)

نبي)، بل أنكر أن تكون الأصالة متاحة لكل الناس، وقال إنها هي متاحة فقط لرجل واحد! وان على الآخرين الكدح في التقليد، الذي لن يخرجوا منه ابدا، ولن يصلوا لاصالتهم (الموعودة) ابدا .
تم هذا في محاضرة "الأصيل الواحد" التي تم تفريغ وتطوير كتاب "التقليد، الأصيل، الاصلاء" منها، حيث ينظر محمود لفكرة الأصيل الواحد بالقول :

(إن الأفراد يتفاوتون في تحقيق الأصالة حسب توفيق الله لهم، ثم جدتهم واجتهادهم في العمل على تحقيق فردياتهم باتباع نهج السنة، والتأدب بأدب القرآن.. فالإختلاف بين الأفراد في تحقيق الفردية، والأصالة، هو إختلاف في زمن التحقيق، وفي مقدار التحقيق.. ففي هذه السورة من دورات الحياة، دورة الحياة الدنيا تتحقق الفردية في قمتها، في مستوى ترك التقليد، لرجل واحد، هو صاحب المقام المحمود الذي يتم له إنزال هذا المقام من الملكوت، وتجسيده على الأرض).^١

في الحق إن هذا تراجع ما بعده تراجع، ولؤم ليس من بعده لؤم. فبعد أن كان الجمهوريون - بل كل البشر - موعودون بتحقيق فرديتهم واصلتهم إذا ما جودوا التقليد، تم نزع هذا الوعد منهم بين ليلة وضحاها، وذلك لأن أحدهم تجرأ على الزعم - مثل محمود تماما - أنه قد وصل هذا المقام .

فكرة الأصيل الواحد تنسف كل تنظير محمود عن الفردية والأصالة :

وفي الحقيقة فإن محمود في الفقرة السابقة وفي كل حديثه عن الأصيل الواحد يمارس الاستهبال الفكري والخداع اللفظي، حين يقول إن

^١ الإخوان الجمهوريين - التقليد، الأصيل، الأصلاء - منشور هنا :
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=257&chapter_id=5

الآخرين - عدا الأصيل الواحد - يحققون اصالتهم الفردية في إطار التقليد، فكيف يكون الانسان مقلدا واصيلا في نفس الآن؟!

الشاهد أن فكرة الأصيل الواحد تنسف كل تنظير محمود السابق عن الفردية والأصالة، وأن الأصالة أصل في الدين الإسلامي، وأنها تخرج الفرد من القطيع، وتوضح أن كل فكرة الأصالة وصلاتها إنما صيغت من أجله وحده، وبغرض التبرير لتهويماته واوهامه .

ولكن ولكي نكون صادقين في النقل، نقول إن محمودا في نص آخر قد ترك فرصة لواحد غيره أن يصل هذا المقام، لكن فقط في لحظة موته، وحتى هذا هو أمر في طور الاحتمال وليس من الضمان. اذ يقول بعد الاقتباس الاخير الذي اتينا به اعلاه عن الأصيل الواحد، التالي :

(أما جميع من عدها فهم يحققون الأصالة والفردية، داخل إطار التقليد النبوي، وهم يتفاوتون في هذا التحقيق حسب تفاوتهم في العلم بالله، وتحقيق العبودية له.. ففي قمة هؤلاء يأتي من يوشك أن يتحقق بالأصالة في مستوى ترك التقليد، ولكن لا يتم له ذلك إلا عند لحظة الانتقال للبرزخ).¹

في هذا المجال فقد كتب الاستاذ محمد عثمان ابو الريش في بوسته سابق الإشارة إليه التالي :

(والتغيير الذي حصل أخيرا في مفهوم الأصالة معروف يا أخي ياسر، والأجدر أن يناقش في إطاره.. هل هذا تناقض (في) (الفكرة الجمهورية.. لقد قيل من قبل، أن لا تقليد في الأصالة " غير أنه ليس في الأصالة تقليد" ولكن فيما بعد تم تقسيم الأصلاء الى طبقات، الطبقة الأولى هي فرد واحد يستط عنه التقليد، الطبقة الثانية أيضا فرد واحد، يستط عنه التقليد ولكن في النزاع الأخير من حياته (أقرأ رسالة الصلاة) والطبقة الثالثة هي عامة السالكين المجودين الذين أصبحوا

¹ المرجع السابق

أصلاء، ولكن لن يخرجوا من إطار التقليد... وبالمفهوم الأول " ليس في الأصالة تقليد" فكيف يكونوا أصلاء وهم في التقليد؟ هذه مفاهيم متناقضة وتحتاج لنقاش فعلا!

المشكلة أنه حتى هذا الأصيل - النص كم - الذي يمكن أن يصل الأصالة في النزاع الأخير، قد تم لاحقا التراجع عن أصالته، لصالح الأصيل الواحد الأحد!

صلاة الأصالة وردود الجمهوريين :

السؤال عن صلاة الأصالة وغضب محمود ومراوغة الجمهوريين:

ونسبة لغرابة فكرة صلاة الأصالة وتصادمها مع الإسلام السوداني السني التقليدي، فقد تم توجيه السؤال عدة مرات لمحمود وللجمهوريين، هل محمود يصلي كما يصلي بقية المسلمين، ام لا يصلي مثلهم. وقد اتى السؤال من مواطنين عاديين، ومن جمهوريين، فكانت الاجابات دائما متلجلة ملتفة، لا تقف على أساس متين، ويعتورها الغضب والشتم احيانا، ويمارس فيها كثير من اللف والدوران أحيانا أخرى .

والحقيقة أن السؤال بسيط، والإجابة يجب أن تكون بسيطة. ولو كنت مكان محمود لاجبت دائما على اي سؤال مثل هذا ببساطة ومن منطلق فكري وعقيدتي: "أنا لا أصلي مثلكم، وانما لي صلاة خاصة اخذتها كفاحا من الله، لأنني اصيل". وبساطة الرد كانت ستغني من اتهام أن الرجل اصلا لا يصلى، مع أنه يزعم أن حياته كلها صلاة، وأنه يقوم الثلث الاخير من الليل، فضلا عن اعتراف محمود بالأمر في أكثر من مناسبة، كما

١ محمد عثمان أبو الريش - هل الأستاذ محمود محمد طه مسؤول عن عقيدة بعض الجمهوريين فيه؟ منشور هنا : <https://sudaneseonline.com/msg/board/155/msg/1177647547/rn/41.html>

أوردنا فيما نقل عنه من ندوة كوستي، ومن رد له في كتابه أسئلة وأجوبة يقول فيه أنه خاض تجربة الأصاله، والنص في أعلى هذا البوست عن استلامه أصالته، وغيرها.

لكن ما استرعى انتباهي هو الرد العنيف الذي وجهه محمود لمواطن سأله سؤال بسيط تم تلخيصه في التالي: (هل الاستاذ محمود بيؤدي الصلاة كاملة؟! وهسي الليلة أدى الأربعة ركعات حقت الظهر أو العصر ولا لا؟!). والسؤال مشروع كون عنوان المحاضرة التي تم فيها طرح السؤال كانت بعنوان: (تعلموا كيف تصلون)، فحق للرجل البسيط أن يسأل هذا السؤال البسيط لمن يريد أن يعلمه كيف يصلي !

ولكن محمود عنف الرجل وشكك في غرضه واوحى انه مثير للفتن وقال إن صلاته غير مقبولة من الله (هكذا). مصحوبا في كل ذلك بضحك وتقديز الجمهوريين. انظر إليه يرد على سؤال الرجل البسيط :

(أسمع.. هي ... لا ، موش راح أطول عليك.. أنا ما صليت الظهر أربعة ركعات بالصورة ال إنت بتصليها ، ولا قاعد أصليها.. دا الإجابة عليك بإيجاز في الموضوع دا.. لكن إنت إذا كنت عايز تفهم حقيقة دينك، الكلام أنا قلتو.. الكلام الأنا قلتو واضح للناس المقبلين بقلوبهم ليهو، لكن إذا كنت إنت فعلاً بتحاول أن تثير مسائل ما الغرض منها الفهم، ما بتجد غير انك بتواجه بأشياء تسوءك بس .. ف أنا لمن بشرح، عشان ما أرميك إنت في الفتنة.. أنا ما كان ممكن بإيجاز.. أنا ما بقول الكلام الأنا البقولو، إنت ما جيت جيتني للمنصة دي عشان أتكلم، ما إنت إتسببت في أن نفتح نحن النار دي و تتكلم عنها باستمرار.. أنا لمن أجي للمنصة دي بجي لأن أقول للناس الحقائق بدون أي مواربة و أنا ماني خايف من أحد إطلاقاً.. فيبقى أنا لمن أشرح، لمن أشرح في الحقيقة رفق بيك إنت، فأنت حقو تحاول أن تفهم موش تحاول أن تثير الفتن البتضلك إنت و بتضلل غيرك.. أنا لو كنت جيت من قبيل وقلت ليكم مثلاً يا جماعة أنا ما قاعد أصلي، كليته، ولا صلاة الدين ولا صلاة الشريعة، أنا ما قاعد أصلي، أنا بفتكر أنو ضللتكم، لو قلتها ليك بصورة ما فيها شرح وافي، برضو أنا ضللتك.. أنا حريص على أنو الكلام الأنا بقولو يسوقك للخير ما

يسوقك للفتنة، من أجل دا شرحت.. فأنت لمن قام في بالك أنك إنت تجي تسأل من المنصة دي: محمود بصلي الظهر زي ما صلاهو في صلاتو الماضية؟ .. و يقوم في بالك أنو محمود ممكن يجي يقول ليك: والله أنا صليتو.. تفكر أني أنا يجي أقول ليك الكلام دا وأعشك؟.. لمن أنا أقول ليك أنا ما صليتو، تفكر أنا بعقد في نفسي أقولو ليك بإيجاز بالصورة دي ، أني أنا نصحتك؟.. فأنا تعبت كل التعب، كتبت ليك الكتاب و شرحت ليك الأمر دا لأعصمك من أن تنفتن. أنا بصلي، الصلاة العايزا الله، الصلاة اللي ربنا جعل صلاة الشريعة الإنت بتصلها وسيلة لياها.. وإنت بتصلها ما وصلت للأمر المطلوب، و صلاتك ماها مقبولة عند الله... الأمر العليهو هسع الفضاكلو الأمر النحن في مشكلة عنو، أنو صلاتنا بقت صلاة بلا روح.. الأمر الأنا عايزو يرجع، ليك وللآخرين هو أن تكون الصلاة دي عندها روح.. الروح مودياك لي وين، هو ما إتكلمت ليك عنو- أنو الشريعة الجماعية، الحكمة وراها أن تسوقك إلى الشريعة الفردية في صلاتك و أنو نيينا صاحب شريعة فردية و في صلاتو الفردية جبريل كان دون أن يدرك المقام بتاع الصلاة الفردية.. الشرح دا كلو إن ما ادنى عنك، خذ الإجابة عني، أنا ما صليت الظهر و ما بصليهو بالهيئة الإنت بتصلها و أنا عايزك أنك إنت تصلي الظهر و تصليهو بروح ليوصلك إلى مقام شريعتك الفردية لأنو دا مراد دين!

وفي الحقيقة فقد أصبت بصدمة عظيمة عندما سمعت هذا الرد اول مرة، فقد كان راسخا عندنا أن الجمهوريين عامة ومحمود محمد طه

١ توثيق النص الكامل للسؤال عن صلاة الأصالة في ندوة الابيض ورفض المنصة الرد في البداية ثم تدخل شخص آخر ورد محمود العنيف موجود على هذا الفيديو:

<https://youtu.be/5C3MUTqOevg>

خاصة صبورين على الناس جيدي الاخلاق، ولكنني فوجئت بكمية العنف اللفظي في هذا الرد، والذي أثبتت لي الايام أنه ينطلق من رؤية رسالية تكفيرية كاسحة، تحاول قهر وإذلال وتثفيه وتجريم المخالف أو المنتقد أو حتى المتسائل، إذا لم يكن ممكنا إقناعه أو خداعه .

١ أغسطس ٢٠٢١م

الإنسان الكامل وإلهية محمود محمد طه

مقدمة:

تابعنا في الحلقتين الأولى والثانية من هذه السلسلة أن محمود محمد طه كان يرى نفسه نبيا ورسولا وأصيلا، ويراه معظم الجمهوريين كذلك. ثم تابعنا فكرة الأصالة وكيف طرحها محمود للجميع في البدء ثم نزعها عنهم ووهبها لإنسان واحد هو الأصيل الواحد، المفهوم أنه محمود نفسه، في فعل نفس به كل تنظيره السابق حول أن الأصالة أصل في الدين وأن المسلمين الحقيقيين هم من وصلوا مرحلة الأصالة وأنها تخرجنا من القطيع الخ .

اليوم نتناول واحدا من هذه الألقاب والمقامات التي طرحها محمود محمد طه والتي ظن بعض الجمهوريين أنها له، وهو مقام الإنسان الكامل، والذي سيخلط عند محمود بمفاهيم ومقامات المسيح المحمدي وصاحب المقام المحمود والحقيقة المحمدية الخ، وهي المقامات التي استخدمها محمود، وتصورها أغلب الجمهوريين أنها له.

في تاريخ فكرة الإنسان الكامل :

تتبع فكرة الإنسان الكامل في الإسلام من أدبيات بعض كبار الصوفية مثل محي الدين ابن عربي وعبد الكريم الجيلي وصدر الدين القونوي وغيرهم، وقد تبناها بعض الصوفية الأقرب مثل الأمير عبد القادر الجزائري. وفي الحقيقة أن محمود محمد طه ينقل بشكل يكاد يكون نصيا من أفكار هؤلاء، لدرجة أن اتهمه البعض بالسرقة من الشيخ محي الدين ابن العربي، وأنا أظن أن نظره في ذلك للقونوي والأمير عبد القادر قد كان أكثر، وذلك بدلالة نقله مصطلحاتهما بالنص .

وقد كتب هؤلاء المتصوفة عدة كتب ذكروا فيها هذا المفهوم، فعند ابن عربي تجد الفكرة مبثوثة في كتبه (فصوص الحكم) و(عقلة المستوفز) وغيرها، وقد جمع كل أقواله عن الأمر الشيخ محمود غراب في كتاب موحد، وعند تلميذه وشارحه القونوي تجدها في كتابي (الفكوك) و(الإشارات). أما الجيلي فيخصص لها كتابا كاملا هو كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الاواخر والاولائل) وتجد الأمير عبد القادر يذكرها في كتاب (المواقف).

أما حديثا فقد ألف الشيخ محمد بن علي الحسيني المالكي كتابا باسم (الرسول (ص) الإنسان الكامل) وكذلك ألف مثله الشيخ الشعراوي وكلاهما في إطار سني. ووسط الشيعة كتب العلامة مرتضي مطهري كتابا بعنوان (الإنسان الكامل) لخص فيه رؤيته عن الموضوع. وقد ترجم وحقق الدكتور عبد الرحمن بدوي عددا من المقالات والمخطوطات عن الموضوع في كتاب باسم (الإنسان الكامل في الإسلام)، كما كتب عديدون كتباً تشرح الفكرة أو تقارب بعض جوانبها .

ولا نجد فكرة الإنسان الكامل في الإسلام وحده، بل تكاد تجدها في معظم الأديان والفلسفات العرفانية القديمة. ففي المزدكية مثلا نجد شكلا مقاربا لفكرة الإنسان الكامل فيما يسموه بالانسان الابتدائي (الكيومرث) أما في اليهودية فتجدها في الصورة الأولى لفكرة المشيا أو المسيا وفي تقاليد القبلا المتفرعة عن اليهودية باسم آدم القديم (آدم قدمون) وفي الفلونية التي أسسها اليهودي فليو السكندري هو الإنسان المرتفع أو آدم السماوي (آدم الايا) وعند المانوية هو الإنسان الأزلي أو القديم (اينيسان كيديم) ، اما في المسيحية فإن اقرب مقارب لها في النصوص هو تعبيري (ابن الانسان) أو (ابن الله) المستخدمان كمترادفين، بينما

التي انبثق عنها الرسول محمد، وهو في مرات أخرى تجلي للصفات الألوهية كلها .

من جهته قام عبد الكريم الجيلي فوق تفصيله للفكرة وجمعها في نسق واحد بإضافة الخطوات المطلوبة للوصول إلى مقام الإنسان الكامل، حيث يؤكد على ضرورة اتباع ثلاث خطوات هي: البداية (عندما يحصل الإنسان على الخصائص الإلهية)، التواسط (عندما يدرك الكوني والإلهي ويستلم المعرفة الكاملة)، المقدرة (عندما يصل للتأثير على المخلوقات بقدرات فائقة). أما الأمير عبد القادر فقد تميز بتأسيسه وتفصيله لوظيفية الإنسان الكامل حيث له وظيفة وجودية وهي التوسط بين الذات الإلهية والناس (خلافة الله في الأرض) ووظيفة معرفية تتمثل في كونه الأداة في معرفة النفس والحق والعالم ومصدر كل العلوم، ووظيفة سلوكية إرشادية تتمثل في تحقيق الكمالية للإنسان وقيادة الناس في طريقها¹.

الشاهد أن الموضوع معقد وكبير جدا ويمكن أن تتوه فيه العقول وذلك أولاً لتطور المفهوم عند المتصوفة عبر الأزمان وأخذة أبعداً شتى وتعريفات متعددة، وثانياً لاستخدام لغة غنوصية أو فلسفية صعبة في شرح الفكرة وخصوصاً عند ابن عربي والنفري، وثالثاً واخيراً لاتساع أفق المفهوم وتراپطه مع مفاهيم أخرى أصيلة في الفكر الصوفي، بحيث لا يمكن تناوله على حدة .

والشاهد أيضاً أن محمودا لا يستخدم فقط المفاهيم التي صكها هؤلاء السادة الصوفية، وإنما هو يستعير منهم أيضاً الآيات والأحاديث التي

¹ ناجم مولاي : مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي :

<https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/6124/1/S0>

[V10.pdf](#)

استخدموها بل ويستخدم نفس العبارات، دون الإشارة إليهم قط. وهو أمر يمكن أن نرجع له في تحقيق السرقات الفكرية الكاملة في الفكر الجمهوري، إذا توفر الوقت والطاقة.

الإِنسان الكامل عند محمود محمد طه :

عند محمود - تماما كما عند أقطاب الصوفية - فإن الإنسان الكامل ليس فقط خليفة الله على الأرض، وليس هو آدم الأول فحسب، وإنما هو نفسه الله المذكور في القرآن، وهو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو من يتوسط بين الذات الإلهية المخفية والمبهمة وبين البشر، وهو تجلي الاسماء في الصفات، وهو من سينزل على الناس باعتباره الله وسط رهط من الملائكة والغمام، وهو الحقيقة المحمدية، وهو قد تجلى في صورة النبي محمد ويتجلى في صور مختلفة كل يوم .

يقول محمود في كتاب أسئلة وأجوبة :

(أولاً، كلمة الله تطلق في القرآن، في المعنى القريب، على الإنسان الكامل، وفي المعنى البعيد على الله، تبارك وتعالى في إطلاقه.. ولكن الله، تبارك وتعالى، في إطلاقه، فوق الأسماء، والصفات - هو منزّه عن الأسماء - ولكنه تنزل إلى مرتبة الاسم، فسمى نفسه "الله"، وتعلقت به جميع الصفات، وجسده الإنسان الكامل.. فأسماء الله الحسنی كلها أسماء، وصفات للإنسان الكامل، الذي اكتملت فيه الصورة الإلهية في عبارة "لأن الله خلق آدم على صورته"¹

أما في كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) فيكتب :

¹ محمود محمد طه - أسئلة واجوبة - منشور هنا :

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=19&chapter_id=7

هذه النفس الواحدة هي، في أول الأمر، وفي بدء التنزل، نفس الله، تبارك وتعالى - هي الذات القديمة التي منها تنزلت الذات الحادثة، وتلك هي الإنسان الكامل (الحقيقة المحمدية).. والإنسان الكامل هو أول قابل لتجليات أنوار الذات القديمة - الذات الإلهية- وهو، من ثم، زوجها.. وإنما كان الإنسان الكامل زوج الله لأنه إنما هو في مقام العبودية.. ومقام العبودية مقام انفعال، في حين أن مقام الربوبية مقام فعل.. فالرب فاعل، والعبد منفعل.. ثم تنزلت من الإنسان الكامل زوجته.. فكان مقامها منه، مقامه، هو، من الذات.. فهي منفعة، وهو فاعل..¹

ويقول في كتاب (رسائل ومقالات) التالي :

(اسمع قوله، تبارك، وتعالى: (لله ملك السموات، والأرض، وما فيهن.. وهو على كل شيء قدير..).. هذا الذي شرحنا هو القول الأزلي (الله)، (بالمعنى البعيد).. وستقول: فهل يقال هذا القول قولاً مستأنفاً يوم القيامة؟ والجواب: نعم!! سيقال، في عرض الحساب ولكن يقوله (الله)، (بالمعنى القريب).. يقوله (الله) الذي هو الإنسان الكامل.. الإنسان الذي ليس بينه وبين ذات الله المطلقة أحد وهو بين الذات وبين سائر الخلق.. وهو الذي يتولى حسابهم، نيابة عن الله).²

كما يقول الجمهوريون في مقدمة كتاب (عودة المسيح) والذي غالباً كتبه محمود أو كتب تحت إشرافه:

(البشرية محتاجة إلى رجل يطبق قوانين العدالة الاجتماعية الشاملة، في الرسالة الثانية من الإسلام، والتي تعين كل فرد على تحقيق فرديته، وبرز منهاج (الفردية)

¹ محمود محمد طه - تطوير شريعة الأحوال الشخصية - منشور هنا

:

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=23&chapter_id=10

² محمود محمد - رسائل ومقالات - الكتاب الثاني - منشور هنا:

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=27&chapter_id=6

عند النبي محمد، بحيث يتفق به كل فرد ليبلغ به فرديته الخاصة.. البشرية تحتاج إلى الإنسان الكامل.. المسيح.. المختص، في هذا المستوى العلمي الرفيع).^١
وهناك نصوص كثيرة في وصف الإنسان الكامل وتفسير الفكرة عند محمود، ربما يكون أكثرها تفصيلا في كتاب (مصطفى محمود والفهم العصري للقرآن)، وفي كتاب (أدب السالك في طريق محمد) فليرجع لها من يريد هناك.

الأصيل الواحد والإنسان الكامل والوهية محمود محمد طه:

نسبة لأن محمود محمد طه قد خلط المفاهيم خلطا شديدا، وذكر العديد من المقامات في أماكن مختلفة وسياقات مختلفة، ومن بينها مقامات الأصيل والإنسان الكامل وصاحب المقام المحمود والمسيح المحمدي الخ، فقد اختلط الأمر على الكثير من الجمهوريين، وظنوا في عدم اطلاعهم على التراث الصوفي، ناهيك عن تراث علم الأديان المقارن، واتباعهم بصورة غير نقدية لمحمود، أن مقام الأصيل هو نفس مقام الإنسان الكامل، وأنهما مترادفان. في ذلك قال الجمهوري (السابق) المهندس محمد عثمان أبو الريش في بوسته سابق الإشارة إليه (هل الاستاذ محمود محمد طه مسؤول عن عقيدة بعض الجمهوريين فيه؟!): التالي :
(ولا شك أن الكثيرين من الجمهوريين كانوا يعتقدون بتحقيق الأستاذ لمقام الإنسان الكامل، الذي يعرف عندنا أيضا بالأصيل الواحد).^٢

١ الإخوان الجمهوريون - عودة المسيح - منشور هنا :
<https://www.alfikra.org/chapter view a.php?book id=207&chapter id=2>

٢ محمد عثمان أبو الريش - مصدر سابق- منشور هنا :
<https://sudaneseonline.com/cgi->

ومقام الإنسان الكامل هو مقام الالهية، اي الله المذكور في القرآن، حسب محمود وحسب ما يرى الجمهوريون. ولا يتحرج الجمهوريون من الاستدلال بالآية: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يُاتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) لإثبات أن الله سينزل على الناس في الأرض على صورة الإنسان الكامل أو المسيح المحمدي. ومن هنا ايضا أتى الخلط المشار إليه ليمتد لاعتقاد بعض الجمهوريين بالوهية محمود محمد طه، أو انتظارهم تحقق تلك الإلهية فيه، عندما ينزل لهم من السماء مظلا بالغمام والملائكة، في شكل المسيح المحمدي أو الإنسان الكامل .

يقول الباشمهندس ابو الريش في هذا الصدد:

(نعود لبعض الجمهوريين الذين يعتقدون في الوهية الأستاذ محمود، وهذا هو ذات التاريخ يعيد نفسه، فإن أخلاق وسيرة الأستاذ، شجاعته، التزامه جانب المساكين حسا ومعنى، صدقه الذي لم يخالجه أى مستوى من الكذب طوال حياته.. لين معشره وعلمه الغزير وحبه للصغير والكبير.. كل هذه الأمور جعلت البعض يعتقد أنها ليست من خصال البشر، وإنما هى خصائص الوهية.. فكانه قال لهم بلسان حاله أنه هو الله، ولكن الفرق هنا، هو أن الأستاذ نفى ذلك بلسان المقال، بل قال إن كل منا يجب أن يتخلق بأخلاق الله.. وبالرغم من ذلك ترى البعض يعتقدون عقيدة الالهية فيه)!

bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117

7147047&rn=32

المرجع السابق - منشور هنا :

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>

7147047&rn=22

جبن الجمهوريين وتشوه المرأة والتجارب التاريخية:

والشاهد أن الجمهوريين نسبة لجبنهم وضعف نفوسهم (الموثق في تراجعهم المُذلل عن أستاذهم وأفكارهم أمام النميري وجهاز أمنه) ومحدوديتهم عن قراءة التجارب التاريخية المختلفة، السودانية منها والعالمية، قد تشوهت مرآتهم وظنوا أن صمود محمود محمد طه تجاه الموت وابتسامه في وجهه أمر نادر، وهو لهذا إثبات لإصالته وتحقيق لها، بل لمقام الإنسان الكامل (بانتصار الموت على الحياة). وما دروا أن كثيرا من أصحاب العقائد والإيدلوجيات، بل الفرسان المنطلقين من مفاهيم الرجولة التقليدية، قد فعلوا نفس الشيء وسلكوا نفس السلوك .

ففي السودان مثلا فعلها الخليفة عبد الله التعايشي الذي جلس على فروته في انتظار الموت يقرأ القرآن في طمأنينة، وفعلها الأمير عبد القادر ود حبوبة حين صعد للمشنقة في ثبات واقدام وهو يكبر ويهمل ومن حوله النساء يزغردن، وفعلها عبد الفضيل الماظ في قتاله حتى الموت ثابتا لا يتراجع، وفعلها عبد الخالق محجوب الذي مزح مع الجلاد وقال له " يا زول حبلك دا قوي؟! انا زول تقيل"، وفعلها هاشم العطا الذي سخر من الموت ومن جلاديه و اراد مواجهة الرصاص بصدرة وعلى فمه سيجارة، والآخران شيوعيان ربما كانا لا يؤمنان بأي إله.

فهل الصمود أمام الموت عنوان الأصالة وتحقق المقام المحمود كما يقول اغلب الجمهوريين، بل ومقام الألوهية كما يظن بعضهم؟! نقول أن لا. فهذا سلوك انساني طبيعي لكثير من البشر الغيريين، بتقديم حياتهم فداءا لمعتقداتهم وفداءا للغير. ولو كان الامر غير ذلك لكان اغلب القديسين المسيحيين الذين استشهدوا أمام جلاديهم بصبر أصلاء، ولكان اتباع البهائية الرواد واوائل المرمون المعذبين والشهداء أناسا كاملين، بل لكان اتباع جيم جونز التسعمائة ونيف الذين انتحروا عن قناعة في جونز تاون في غويانا آلهة تنزل لهم المقام المحمود. هذا

ناهيك عن عشرات الشهداء في عالم الإسلام من الحلاج مرورا بسعيد
بن جبير والجعد بن درهم والشاب القتيل شهاب الدين السهروردي
وغيرهم.

٣ أغسطس ٢٠٢١

حول المسيح المحمدي ونزوله في السودان في القرن العشرين

مقدمة :

كنا قد أشرنا في الحلقة الأولى من هذه السلسلة إلى الحوار الذي أجراه الاستاذ بانقا مع محمود محمد طه، وسؤاله عن أنه سمع عن دعوى محمود العيسوية، واجابة محمود المؤكدة لذلك، إنه ألقى الأمر إليه وتكرر الإلقاء، ويرجو ان يكون صادقا .

هذا الحوار البسيط مع محمود بنهاية عام ١٩٥٢، وحينما لم تكن دعوته الدينية معروفة بشكل كبير، سنجد جذوره كامنة وفروعه منتشرة في كل تاريخ الفكرة الجمهورية اللاحق، حتى سوف يؤقن الكثير من الجمهوريين أن محمودا هو المسيح (المحمدي)، الذي جاء وقت نزوله ولم يبق غير التجلي.

دور المسيح في الطائفة الجمهورية :

يشكل المسيح شخصية جوهرية في الطائفة الجمهورية، ونظرتهم له تختلف عن نظرة بقية المسلمين له وتخالفها بالمرّة، وهذه واحدة من أسباب زعمنا أن "الفكرة" الجمهورية دين جديد يختلف عن دين القوم، وهو أمر سنرجع له في مقال منفصل .

ويؤكد زعمنا عن اهتمام محمود والجمهوريين بشخصية المسيح، فوق ظن محمود المعلن عنه في ذلك الحوار القديم أنه المسيح العائد، هو افرادهم حجما كبيرا لهذه الشخصية في ادبياتهم، ومنها كتاب (عودة المسيح) الصادر في ديسمبر عام ١٩٨٠، وكتاب (المسيح) الصادر في ديسمبر ١٩٨٢، وكتاب (الموالد الثلاثة، مولد محمد، مولد المسيح ومولد

السودان) والصادر في ديسمبر ١٩٨٢. والمتابع يلاحظ أن هذه الكتب قد صدرت في آخر سنوات حياة محمود، وأنها خرجت على التوالي في ثلاثة سنوات متتابة في شهر ديسمبر من كل عام. وغير هذه الكتب الثلاثة يمكن أن تجد إشارة للمسيح في العديد من الكتب الأخرى لمحمود والجمهوريين، ومن أهمها كتاب (القرآن ومصطفى محمود والتفسير العصري) وكتاب (التقليد، الأصيل، الاصلاء) وكتاب (أدب السالك في طريق محمد) وكتاب (الشيعة) الخ الخ .

المسيح قد صلب ولم يرفع :

وتأتي اول المفاجآت في الدعوة الجمهورية في زعم أن المسيح (المسمي عندهم بالاسرائيلي) قد قتل وصلب، وأنه ليس صحيحا أنه لم يصلب ورفع كما يؤمن اغلب المسلمين .وهنا لا بد من إيراد الدليل على كلامنا هذا من كتبهم، ففي كتاب المسيح وتحت فقرة: (عيسى الإسرائيلي عليه السلام، قتل أم رفع ؟؟) يكتب الجمهوريون (وربما محمود) التالي :

(لأن الذي جعل المسلمين يعتقدون في أن المسيح المنتظر إنما هو عيسى الإسرائيلي اعتقادهم في كونه لم يميت وهو اعتقاد انبنى على الآية: (وقولهم إنما قتلنا المسيح عيسى بن مريم، رسول الله، وما قتلوه، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم .. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم، إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيمًا).. وواضح أن الآية لا تعطي هذا الفهم.. خاصة إذا أخذنا في الحسبان قوله تعالى: (لني متوفيك ورافعك إلي) وقوله تعالى أيضا: (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا).. فالقرآن لا يناقض بعضه بطبيعة الحال، فعبارة (متوفيك) إنما تعني أنه سيموت، وحسب سنة الله الجارية في خلقه بعد العمر المألوف.. وعبارة (ويوم أموت) كذلك في نفس الاتجاه ولأنك فإن الفهم المستقيم إنما يكون في أن المسيح قتل، ثم رفع ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

(وما قتلوه يقينا) وهي تعني ، دون أدنى شك ، أنهم قتلوه، فيما يظهر لهم، ولكنهم (ما قتلوه يقينا)، وهي هي نفسها عبارة (ولكن شبه لهم) .. وهذا المعنى وارد في القرآن في مواضع أخرى كقوله تعالى: (وما رميت، إذ رميت، ولكن الله رمى) وكقوله: (فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم) .. ومعنى هذه الآية: إنكم لم تقتلوهم، إذ قتلتموهم، ولكن الله قتلهم.. ولذلك فقوله تعالى: (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا) .. إنما يشير إلى مبلغ الاضطراب في فهم هذه القضية، وإلى ما ينشأ فيه من خلاف.. ولكن جلية الأمر فيما أن الآيات التي تتحدث عن المسيح إنما تتحدث عن المسيح الإسرائيلي وعن المسيح المحمدي في نفس الوقت .. فالمسيح المحمدي هو الذي سيرفع.. فالذي يتحدث عن المسيح الإسرائيلي معتقدا أنه لم يقتل مخطئ، دون أدنى ريب .. إن أمر الرفع سيصح في أمر المسيح المحمدي .. فإنه هو الذي سيرفع حيا.. وهذا هو كمال الإسلام على المسيحية الذي يوشك أن يضيعه المسلمون بالاضطراب في الفهم، أو قول (باتباع الظن) كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة (١).

الواضح هنا هو التلاعب بالكلمات، فعبارة (وما قتلوه يقينا) تعني أنهم لم يقتلوه، ولا تعني ولا يمكن أن تعني أنهم قتلوه ولكن القاتل هو الله. ولا يصح مشابهة هذه الآية بالآية التي تقول (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)، أو التي تقول (ان الذين يباعدونك إنما يباعدون الله) إذ فيهما توضيح للفكرة بجملة إضافية، ولو كان القصد أنهم لم يقتلوه وإنما قتله الله لقال (وما قتلوه إذ قتلوه ولكن الله قتله). وهذا ما أشرنا إليه في التفسير العشوائي للقرآن عند محمود والجمهوريين دون أي مرجعية لغوية أو تاريخية .

١ الإخوان الجمهوريون - المسيح - منشور هنا : https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=239&chapter_id=5

أما نقطة الإشارة في آيات أخرى لموت المسيح فهي صحيحة جزئياً، إذ هناك إيات عديدة تتحدث عن موت المسيح ووفاته، ولكنها لا تتحدث عن قتله اطلاقاً، لا بيد الله ولا بيد غيره. والموت غير القتل في اللغة وكذلك في القرآن. انظر الى الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ). فمن أين أتى محمود والجمهوريون من القرآن بزعم أن المسيح قد قتل؟! الفكرة كلها تكمن في إثبات أن المسيح قتل وصلب ولم يرفع ولن يعود، ذلك أنه من بني اسرائيل ولن ينفع أن يعود في شكل مواطن من السودان. وانما الذي رفع / سيرفع ويعود هو المسيح المحمدي والذي هو من صلب النبي محمد، الذي يدعي الكثير من السودانيين الانتماء اليه. ولما كان السودان هو مركز دائرة الوجود، وكان مجيء مسيح البعث الجديد مربوطا بالسودان، حسب الجمهوريين، نكون حينها قد فهمنا الحكاية وعرفنا الغرض .

هل المسيح هو الله عند الجمهوريين؟!

لا يقول الجمهوريون صراحة أن المسيح هو الله، كما يقول اغلب المسيحيين أنه الله أو ابن الله، ولكنهم يلتون ويعجنون في ذلك لتأً وعجناً شديداً. ولمحمود في ذلك رسالة طويلة بعنوان (متى قال الله: يا عيسى ابن مريم!! أنت قلت للناس؟؟) بتاريخ ٢٣/٧/١٩٦٣، والتي تتناول الآية: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّهُي ٱلْأَهْبِينَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ ؕ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيْ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّ ؕ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ؕ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؕ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ).
 يحتاج محمود حول هذه الآية بالقول :

(أن الله خلق في عيسى القوى التي تدعي الربوبية، والتي هي مودعة في كل فرد من أفراد البشر، وهي التي بها تمت لهم خلافة الله في الأرض)^١
كما قال محمود إن ادعاء المسيح الربوبية :

(أمر كان من الممكن أن يحصل من المسيح لولا أن الله نصره، واجتباها).^٢
وواصل محمود في تفسيره لواقعة ان السؤال كان بصيغة الاستفهام لا الجزم بسبب أن المسيح قال ذلك الزعم بلسان حاله حين قال :
(لأن الاستفهام في: (أنت قلت) بدلا من الجزم: (أنت قلت)، حين أفاد أن الله قد خلق في المسيح قوة العقل الكافية لصد إرادة ادعاء الربوبية، أفاد أيضا أن المسيح قد قال، بلسان حاله، ولكنه لم يقل بلسان مقاله، وحاشاه أن يقول).^٣
ثم يمضي محمود أكثر ليقول إن تفسير الآية التي تقول ((وان تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم) هو التالي :

(المراد في السياق: فإن اتخذوا المسيح وأمه، إلهين، من دون الله، فإنما ذلك لحكمة قاهرة أرادها الله بهم، ولم يجدوا عنها (مندوحة)).^٤
تخرجات محمود هذه جعلت بعض الجمهوريين يقولون إن المسيح لم ينكر صراحة - وفقا لمنطوق الآية حسب قراءتهم - ان يكون قد قال إنه الله. كتب الاستاذ محمد عثمان ابو الريش:

^١ محمود محمد طه - رسائل ومقالات - الكتاب الثاني - منشور هنا

:

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=27&chapter_id=6

^٢ المرجع السابق

^٣ المرجع السابق

^٤ المرجع السابق

(لقد إستشهد الأستاذ محمود بهذه الآية مرة، ليدلل بها على أن المسيح فعلا قال (بلسان حاله) أنه هو هو الله، ولم يقل لأحد ذلك بلسان مقاله.. لذلك قال: "لأن كنت قتلته فقد علمته" و "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك" ثم أن الكلام الكثير الذي قاله المسيح في الرد على سؤال بسيط، ليس فيه ما ينفي فيه التهمة (أقرأ الآية مرة أخرى).. حتى عبارته " ما قلت لهم الا ما امرتني به" ليس فيها نفي قاطع ل(التهمة) !

والشاهد أنه وفقا لفكر محمود والجمهوريين فإن المسيح هو تنزل من تنزلات الذات الألهية. فاذا كانت الذات الألهية مبهمه وفوق الاسماء والصفات، وكانت الحقيقة المحمدية / الإنسان الكامل / الله القرآني هو أول تنزل هذه الذات وواسطتها إلى البشر، كما يقول محمود، فإن أي شخص تتلبسه الحقيقة المحمدية / الإنسان الكامل يكون بالضرورة الله (في حده القريب).

هل - مع ذلك - يقول محمود والجمهوريون أن المسيح كان من تنزلات الحقيقة المحمدية؟! نعم وبلى. انظر لقولهم في فقرة (ميلاد المسيح) في كتاب (الموالد الثلاثة) :

(المسيح النبي الإسرائيلي الذي بعث في بني إسرائيل إنما هو صورة للمسيح المحمدي الذي سينزل ويقيم جنة الأرض. المسيح الإسرائيلي قبس من المسيح

١ محمد عثمان أبو الريش - مصدر سابق - منشور هنا :

<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>

[V٦٤٧٥٤٧&rn=1](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117)

المحمدي، وليس إياه - هو تنزل منه، كما أن آدم، وسائر الأنبياء تنزل من الحقيقة المحمدية^١

ومرة أخرى أن هذا التحقيق لإلوهية المسيح الاول ليس خالٍ من الغرض. فإذا كان الله قد تنزل وتجسد في المسيح الإسرائيلي، وفي كل الانبياء، فما المانع أن يتنزل في شخص المسيح المحمدي، القادم من السودان، كما سيظهر لاحقاً؟! انظر لقول الجمهوريين في كتاب (الموالد الثلاثة) وتحت عنوان (المسيح اسم الله المجسد) التالي :

(المسيح إنما سيجي تجسيدا لإسم الله الأعظم، كما هو تأويل قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، والملائكة، وقضى الأمر، والى الله ترجع الأمور؟؟) و (ظلل الغمام) هي عنصر الجسد الإنساني. ولقد رأى النبي اسم الله الأعظم مجسدا في الصورة الإنسانية، في المعراج، كما قال: (رأيت ربّي في صورة شاب له وفرة).^٢

عودة المسيح المحمدي في السودان :

اقتبس محمود والجمهوريون شخصية المسيح المحمدي من الصوفية، إذ يرى هؤلاء وعلى رأسهم ابن عربي ان المسيح سيعود ليحكم بالشرعية المحمدية، وربما من هنا جاءت التسمية. أما من يعود من عترة النبي فهو المهدي عند الشيعة، وخاتم الأولياء عند الصوفية .

^١ الإخوان الجمهوريون - الموالد الثلاثة - منشور هنا:

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=262&chapter_id=4

^٢ المرجع السابق - منشور هنا :

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=262&chapter_id=4

أما الجمهوريون فهم لا ينكرون المهدي ولكن يقللون من شأنه
ويدمجون المسيح في الرسول محمد بالنسب والارومة والتنزل
المشترك من الحقيقة المحمدية. وهم في ذلك ليسو نسيج وحدهم.
فقد سبقهم إلى ذلك الأحمديّة الذين يؤمنون أيضا بموت المسيح
الإسرائيلي، حين أعلن زعيمهم ميرزا غلام أحمد أنه (المسيح المحمدي
المهدي)، وقال:

*(ومن فضل الله وإحسانه أنه جعل هذا الفتح على يد المسيح المحمدي ليري الناس
أنه أكمل من المسيح الإسرائيلي في بعض شؤونه).^١*

بينما لحقهم في الامر أخيرا رجل آخر من بلادنا الحبيبة السودان يدعى
سليمان أبو القاسم موسى، وصف نفسه أيضا بأنه (المسيح المهدي
المحمدي). وما فيش حد أحسن من حد!

لكن لنرجع للوقائع ونرى من هو هذا المسيح المحمدي وأين يأتي وكيف
يأتي وما هي صفاته؟! وفقا للجمهوريين فهو سيظهر في السودان حتماً،
انظر إلى أقوالهم في (كتاب الموالد الثلاثة):

^١ ميرزا غلام أحمد - مقام المسيح المحمدي - منشور هنا :

<https://bisatahmedi.com/quotes/promised-messiah-quotes/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD-%D9%8A>

(رسالة السودان نحو البشرية، في جوهرها رسالة روحية!! فنحن نزعم أنّ السودان سيكون هو الأرض التي سيتم على أديمها (وهو الشعب الذي سيتم على يديه) ذلك البعث الروحي الأكبر المصحوب بمجيء المسيح المحمدي، وقيام جنة الأرض)١
وكذلك قولهم في ذلك الكتاب تحت عنوان (السودان موطن آدم الثاني)
التالي :

(وأفريقيا، كذلك، هي موطن آدم الثاني (المسيح)، وذلك عودة إلى أصل الخلق الأول (كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنّنا كنا فاعلين) والمسيح آدم السحنة، كآدم الأول.. قال النبي: (بيننا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر يهراق رأسه ماء، قلت: من هذا؟؟ قالوا: ابن مريم!!) ثم إنّ السودان إنّما هو روحيا، وجغرافيا، قلب إفريقيا).٢

وحتى لا يكون الأمر ملتبسا على أحد، فإن مجي المسيح مرتبط بالدعوة التي انطلقت في السودان قبل الاستقلال (اي دعوة هي يا ترى؟!). انظر لقولهم في نفس الكتاب:

(ثم إنّ الدعوة إلى ذلك البعث الروحي الأكبر إنّما قد نشأت في السودان، قبيل استقلاله، حتى لكأنها ولدت مع ميلاد السودان. لذلك فنحن نزعم أنّ السودان هو موطن آدم الثاني (المسيح).)٣

-
- ١ مرجع سابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=262&chapter_id=5
- ٢ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=262&chapter_id=5
- ٣ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=262&chapter_id=5

رسالة المسيح المحمدي هي الرسالة الثانية من الإسلام :

ولكيلا نهجه الناس وتتركهم حيارى في كنه هذه الدعوة، وفي شخص هذا المسيح المحمدي، النازل إلينا في السودان، نوضح لكم اي رسالة سيأتي بها، وهل سيطبق الشريعة المحمدية كما قال بذلك السادة الصوفية، أم أن له دعوة أخرى ورسالة أخرى سيحكم بها؟!!

يقول الجمهوريون في كتاب **(الشيعة)** وتحت عنوان (التمهيد الروحي بين عهدي الرسالة المحمدية (الرسالة الأولى) والرسالة الأحمدية (الرسالة الثانية)) التالي:

(وكذلك عاد المسلمون إلى جاهلية ثانية، لا يحتفظون فيها من الدين إلا بقشوره، وقد فرطوا في لبابه، شأن كل جاهلية، في كل فترة تسبق كل بعث ديني. وذلك حتى يجيء البعث الديني، هذه المرة، في مستوى الرسالة الأحمدية (الرسالة الثانية)، بهجاء المسيح المحمدي - محقق الحقيقة المحمدية على ظهر الأرض، كما هي النبوءة النبوية أيضًاً¹)

كما يقولون (لاحظ أن القرن العشرين فات وانقضى) التالي في كتاب (عودة المسيح):

(وانلك فقد جاءت الرسالة الأولى مفصلة، في القرآن، وظلت الرسالة الثانية مجملة، فيه، لم يقع عليها التفصيل إلا في معنى ما عاشها النبي. وسيجيء المسيح الأخير

¹ الإخوان الجمهوريون - الشيعة - منشور هنا : https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=266&chapter_id=11

ليفصلها، ويطبقها، على مجتمع القرن العشرين الذي أعدته المسيحية واليهودية والإسلام، في رسالته الأولى، إلى هذا المستوى الرفيع.^١

وكذلك يقولون في نفس الكتاب :

(لقد ختمت النبوة بمحمد، ولم تختم الرسالة، بمعنى أنه قد جاء بالرسالة الأولى (الرسالة المحمدية) وبالرسالة الثانية (الرسالة الأحمدية)، كليهما، موحى إليه بهما في القرآن، فعاش، في نفسه، الرسالة الثانية (كنبوة أحمدية)، ولم يطبق على مجتمعه إلا الرسالة الأولى (الرسالة المحمدية)، وذلك بعد ظهور قصور ذلك المجتمع عن شأو (الرسالة الأحمدية) مما أوجب الهجرة من مكة إلى المدينة بعد ثلاثة عشر عاما من الدعوة (بالرسالة الأحمدية) - الرسالة الثانية من الإسلام. وسيجيء المسيح المحمدي ليطبق الرسالة الثانية (الرسالة الأحمدية) على المجتمع المعاصر.. وإنك فإن الرسالة لم تختم.. ختمت النبوة، ولم تختم الرسالة.. وأدل الدلائل على عدم ختم الرسالة هو بشارة النبي الكريم نفسه بهجيء المسيح ليطبق شريعة الرسالة الثانية، وينظم الحياة البشرية وفقها، فيختم هو الرسالة).^٢

ولقد كان الجمهوريون يجلسون ويتحلقون حول محمود محمد طه وينشدون، وهو مبتسم بينهم غير معترض، قصيدة عوض الكريم موسى التي تقول كلماتها :

أنت ابن مريم فينا * لم يبق غير التجلي
فأنشر لواء سلام * وانزع كوا من غلي

^١ وجهة المسيح - مرجع سابق - منشور هنا :
<https://www.alfikra.org/chapter view a.php?book id=207&chapter id=3>

^٢ المرجع السابق -
<https://www.alfikra.org/chapter view a.php?book id=207&chapter id=7>

واحي الوجود بنور * من ناظريك مطل

فهل عرفت ايها السوداني الكريم، والقاريء الكريم من هو هذا المسيح
المحمدي، رسول الرسالة الثانية وخاتمها، الذي هو الانسان الكامل،
والحقيقة المحمدية، وهو الله المذكور في القرآن، الذي وعدونا بنزوله
وتفصيله وتطبيقه للرسالة الثانية، وتحقيق جنة الله على الارض، فلا نزل
ولا تجلى علينا، ولا طبّق ولا حقّق شيئاً !

٤ اغسطس ٢٠٢١م

اختبار البطة: الإله المجسد والرجل السوداني المحدد

اختبار البطة :

تابعنا في الحلقات السابقة تصور محمود محمد طه عن نفسه وتصور الجمهوريين عنه، وقلنا إن الرجل كان يرى نفسه نبيا ورسولا واصيلا، وأن كان يشوبه الشك في ذلك ويرجو كل ذلك لنفسه، ثم تابعنا انقلاب الأصيل الواحد، لنصل لمفهوم الإنسان الكامل والمسيح المحمدي الذي رسم محمود والجمهوريون أوصافه وظروف نزوله، لتنتطبق كل الانطباق على محمود محمد طه .

وقد جادلنا بعض الجمهوريين ان محمودا لم يقل صراحة أنه رسول الرسالة الثانية أو أنه الأصيل الواحد أو أنه الإنسان الكامل أو المسيح المحمدي الخ، ولكن كما يقول اختبار البطة: إذا كانت تبدو مثل البطة وتسمح مثل البطة وتبسط مثل البطة، فهي غالبا بطة¹. فإذا كان محمود يقول إنه أصيل ويقول إنه امتلك عبادة فردية، ثم يقول في موقع آخر أن الأصيل الواحد هو الشخص الوحيد الذي يكون له عبادة فردية، فهل يعني هذا أي شيء سوى قوله إنه الأصيل الواحد؟!

وإذا كان الجمهوريون يقولون إن المسيح المحمدي سينزل في السودان، في القرن العشرين، وسيحكم بالرسالة الثانية من الإسلام، اي فكرة محمود محمد طه، وإذا كان محمود يقول في بداية الخمسينات أنه ألقى إليه وتواتر الإلقاء أنه المسيح، وإذا كان الجمهوريون ينشدون امام

¹ https://en.wikipedia.org/wiki/Duck_test

محمود وهو لا يعترض (أنت ابن مريم فينا - لم يبق غير التجلي)، فهل هذه البطة لن تكون إلا بطة؟!

المسيح المحمدي هو الله مجسدا وهو لا يموت :

وقد رأينا في الحلقة عن المسيح المحمدي / الإنسان الكامل أنه لا يموت وانما يُرفع، وفقا للجمهوريين. والحقيقة أن المسيح المحمدي هو الله (المذكور في القرآن) حسب الجمهوريين، فهل يموت الله؟ يقول الجمهوريون في كتاب (أدب السالك إلى طريق محمد) وتحت العنوان الفرعي (تجسيد المقام المحمود) التالي :

(إن تجسيد المقام المحمود، وإنزاله من الملكوت إلى الملك، هو في الحقيقة، هدف حركة التطور، منذ أن كانت الحركة، قبل بروز الحياة.. فما تحرك من متحرك، ولا سكن من ساكن، إلا في سبيل الله.. في سبيل أن تتجسد الحقيقة المحمدية - مقام ولاية النبي - على الأرض.. فهذا المقام هو خلاصة تجربة التطور، وقتها، فإليه ينتهي تطور كل منطور.. وهو الذي فيه يختصم الملاء الأعلى، والملاء الأسفل.. وهو الذي به تفتتح دورة جديدة من دورات الوجود، بها تتحقق إنسانية الإنسان، وبها تتحقق خلافة الأرض، بظهور الإنسان الكامل، المسيح المحمدي، صاحب المقام المحمود)

طبيب معقول. إذن من هو المسيح المحمدي/ الإنسان الكامل وما هي قدراته، لنسمع للجمهوريين وهم يقولون في نفس الكتاب :

١ الإخوان الجمهوريون : أدب السالك في طريق محمد - النسخة
الالكترونية

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=256&chapter_id=5

(ولقد يتنا أن القرآن جميعه في حق صاحب هذا المقام، وأن الذات المطلقة هي فوق القرآن، هي فوق المرقوم.. فألى (الله) الإنسان الكامل، ينتهي تأويل القرآن).^١
ويقولون عن علمه :

(وصاحب المقام المحمود، هو أيضا ينتهي إليه علم الغيب. وهذا هو معنى قوله تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقد ذكرنا أنه من معاني هذه الآية، أنه لا يعلم ذات الله، إلا الله - الإنسان الكامل - ومن معاني هذه الآية أيضا أن الإنسان الكامل هو أكبر من يعلم الغيب، فهو علام الغيوب، المشار إليه في كثير من الآيات وهو (الكتاب المبين)، المشار إليه بقوله تعالى: (وما من غائبة في السماء والأرض، إلا في كتاب مبين).. وهو يعلم غيره الغيب).^٢
ويقولون أكثر عنه :

(وصاحب المقام المحمود، الإنسان الكامل، المسيح المحمدي، هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وعلمه، وقدرته، ليسا بجارحة، ولا بواسطة، وإنما هو يعلم بذاته، ويقدر بذاته، متخلقا في ذلك بأخلاق الله.. فهو الذي بيده الملك، المشار إليه بقوله تعالى: (تبارك الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير) فهو مبارك من قبل الذات المطلقة. وهو صاحب الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، وهو ملك النفوس).^٣

طيب كويس جدا، ما شاء الله عليه. متميز خالص. ماذا عن موته اذن.
هل يموت؟! يقول الجمهوريون في نفس الكتاب :
(لقد أشرنا إلى أن مقام (الأصيل)، المقام المحمود هو مقام الحياة الخالدة التي لا تؤوفها آفة النقص، أو المرض، أو الموت).^٤

١ المرجع السابق

٢ المرجع السابق

٣ المرجع السابق

٤ المرجع السابق

ويقولون :

(ذلك بأن الإنسان الكامل يأذن الله له (لبنيته) أو قل (لجسده) أن يرفع، فيفتتح، بهذه الرفة دورة جديدة، من دورات التكوين على هذه الأرض.. فإنه هو يرتفع - بهذه السورة الجديدة، فوق البشر المعاصر، كما ارتفع البشر المعاصر فوق الحيوان الأعجم، عند افتتاح السورة البشرية المعاصرة، هذه السورة التي نعيش الآن في أختياتها، إن شاء الله.. والإنسان الكامل عندما يرتفع إلى هذا المستوى من الحياة، يفيض الحياة على غيره.. فيبعث موقى القلوب، من موتهم).¹

هل مات محمود ام هناك شك في موته كما يظن بعض الجمهوريين؟!

لقد زعزع قتل محمود وموته الجمهوريين زعزعة شديدة، فهم كانوا يعتقدون بحصول معجزة ما أو أنه سيرفع حيا، ما دام هو الأصيل والمسيح المحمدي والإنسان الكامل. رغم أن محمود كان يهينهم لموضوع موته في أيامه الأخيرة وخصوصا فيما سمي ب (حديث الفداء). لكنهم كانوا في جهلهم يعمهون. وأنى لهم أن يفهموا في يوم وليلة أن الرجل رجل عادي سيقتل ويموت، وهم الذين تربوا - تحت يديه - طوال أكثر من ثلاثين عاما على العكس؟!

هذا ما جعل أحد الجمهوريين يصيح عند تنفيذ الاعدام على محمود ورؤيته له يُقتل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم). بل إن الأستاذة أسماء محمود نفسها وهي ابنته ومن أقرب الناس له، تعترف في حوار مع ضياء الدين البلال أنها كانت تنتظر حدوث معجزة حيث قالت :

¹ المرجع السابق

(هو داخلي قد يكون عندي الاتجاه بتاع أنو تحصل حاجة تحصل معجزة أنو المسألة ما تتم)¹.

كما تبرر الأستاذة أسماء تراجع الجمهوريين المستتابين بعد اعدام محمود باهتزاز قناعاتهم، تقول الأستاذة أسماء التالي في حوار مع الصحفي حيدر خير الله :

(الفكرة لها تعقيدها استاذ حيدر وانت تعلم ذلك وطبيعي ان تهتز قناعاتك، أن تهتز وانت ترى استاذك مكبل بالسلاسل امامك وينفذ عليه حكم الإعدام)².

لا عجب إذن أن قال الرجل الثاني في التنظيم بعد موت محمود وهو المرحوم سعيد الشايب أن (رأسه انشطب)، وهي مقولة سودانية تدل على الحيرة الشديدة وانعدام التركيز ثم قام بحل التنظيم الجمهوري ورجع إلى مدني. ولا تزال هذه الحيرة وشطب الرأس تلازم الكثير من الجمهوريين .

أسطورة الطيب وقصة الوصية :

ولقد نما إليّ أن هناك أسطورة تروج وسط بعض الجمهوريين، ومفادها أن الطيب الذي فحص محمود بعد شنقه قد رأى فيه بعض علامات الحياة، لكنه لم يستطع أن يبوح بذلك ل (هول الموقف). والحقيقة أن هذه القصة تكاد تكون مضحكة لولا أنها محزنة. وذلك للتالي :

¹ مفرغ من شريط الفيديو على اليوتوب
https://www.youtube.com/watch?v=JI8R_twfdU
² حوار الأستاذة أسماء محمود مع الصحفي حيدر خير الله - جريدة
الجريدة - منشور أيضا هنا :
<https://www.alnilin.com/816681.htm>

اولا لأن مهمة الطبيب المرافق للاعدام هي التأكد من موت المنفذ عليه، حتى إذا لم يتم الموت تمت إعادة التنفيذ، ولا أظن أن هذا الطبيب كان جمهوريا ليهيله الأمر أو يترك تنفيذ واجبه. ثانيا ما هو اسم هذا الطبيب، ولماذا بعد عشرات السنوات من انجلاء (هول الموقف) لم يفد بهذه الشهادة العجيبة.^١

كما يستدل بعض الجمهوريين بوصية محمود محمد طه التي قيل إنه كتبها في بداية الخمسينات، اي الفترة التي بدأ فيها له الإلقاء أنه المسيح، باعتبار أنها تحققت وأنها دليل على إمكانية عدم موته. والحقيقة أن الوصية طويلة وتذكر الكثير من الأشياء المالية والالتزامات، وفي ختامها فإن محمود قد طلب *(الا يكفن في جديد، والا يناح عليه، والا تترك على قبره علامة، وأن تشرف على غسله زوجته)*.

عموم الوصية وهذه الطلبات توضح أن محمودا كان يؤقن وقتها أنه سيموت موتا عاديا ولن يرفع إلى أي مكان، ودليل ذلك حديثه عن كفنه وقبره وغسله. فكيف يكون هنا غسل وكفن وقبر، لمن يرفع إلى السماء حياً؟!!

والشاهد أن جسد محمود دفن في صحراء غرب امدرمان بشهادة العميد طيار معاش فيصل مدني، وليس صحيحا أنه قد ألقى بجثته في الصحراء أو البحر، ولم تغسله زوجته وغالبا لم يكفن في كفن جديد او قديم. وشهادة الطيار فيصل مدني تؤكد الموت وهو يتحدث عن محمود

١ الرواية عن الطبيب وامكانية عدم الموت نقلا عن الجمهوري المقداد إبراهيم في حوار على موقع الفيسبوك

باعتباره المرحوم، في ظل تقبل تام للأمر من الأستاذة أسماء الحاضرة
إبان تلك الشهادة وغيرها من الجمهوريين^١.

ولقد تحدثت انا شخصياً مع الرقيب عبد الحميد الذي كان المنفذ الاوّل
لعمليات الاعدام في سجن كوبر، إبان فترة احتجازي بذلك السجن في
الفترة ١٩٨٦-١٩٨٨. وقد سألته عن إعدام عبد الخالق محجوب وإعدام
محمود محمد طه، فقال لي أنه لم يعدم عبد الخالق لكنه أعدم محمود،
وأكد لي موت الرجل. فكيف يكون للوصية اي علاقة بأن محمود لم
يمت؟! وإذا كان عدم وضع العلامة - فقط - يعني تحقق الوصية، فهل
يعني الجمهوريون بذلك أن نميري قد نفذ وصية محمود محمد طه؟!

موت محمود والحيرة والشك والبلبلية :

لقد أوردنا في الحلقة الأولى من سلسلة المرايا توثيق بعض الجمهوريين
لعقيدتهم أن محمود هو الأصيل صاحب العبادة الفردية، وما دام هو
الأصيل ذو العبادة الفردية فهو الأصيل الواحد، إذ وفقاً لنظرية الأصيل
الوحيد فهو الوحيد الذي يحق له أن يكون له عبادته الفردية (ولا عزاء
للمرحوم محيسي والآخرين). كما وثقنا كيف قال بعضهم أنه صاحب
المقام المحمود الذي انزل له من السماء، وكأنما ذلك المقام هو جسم
مادي حتى يُنزل ويُرفع ويُشد ويُبسط .

إلا أن موت محمود قد أحدث بلبلية كبرى وشكاً عظيماً وسط
الجمهوريين، إذ كيف يموت الانسان الكامل وصاحب المقام المحمود؟!
كيف يموت الله؟! لماذا لم يُرفع ولماذا لم ينزل تحيط به الملائكة

^١ نص الشهادة موثق في هذا الفيديو :

https://www.youtube.com/watch?v=B8U7_HIKE5



والغمام؟! كيف انقضي القرن العشرين ولم يتم التجلي ونحن موعودون
بنزول المسيح في القرن العشرين؟!

جزء من هذا الشك تمثل في التضعضع والتراجع المذل عن محمود وعن
أفكاره، في الأيام الأولى لموته تحت تأثير الصدمة. ولقد حكى لي صديق
سعودي كيف انهار جهيمان العتيبي واوقف القتال عندما قتل زوج
أخته ومهديه الذي كان يؤمن به (محمد عبد الله القحطاني) في الحرم
المكي، ففي تقديره أن المهدي لا يموت. وجزء منه تمثل في حالة الإنكار
والأوهام إن محمود لم يُمت وانما رفع بدلالة حديث الطبيب المجهول
والوصية المقطوعة عن سياقها، وجزء يؤمن أن محمود سيعود مرة
أخرى في صورة المسيح المحمدي ولا يحسم في أمر موته أو رفعه .

من ناحية أخرى هناك جمهوريون توصلوا إلى أن محمود هو مجرد مبشر
بالرسالة الثانية، وأنه تنبأ بالمسيح المحمدي وان المسيح لم يأت بعد .
وأنه كان أصيلا ويسعى في طريق الأصالة ولكنه لم يصل مقام الأصيل
الواحد. هم في ذلك يجعلونه في مقام الباب عند البهائية . من أمثال هؤلاء
الدكتور ياسر الشريف الذي يقول :

(قول الأستاذ محمود بأنه أصيل، أي صاحب شريعة فردية مستقلة عن التقليد،
يعني أنه سائر في درب الأصيل الواحد، ولكنه لم يبلغ ذلك المقام بعد، ويرجو أن
يبليغه الله إياه).

ويقول :

(سوف يثور سؤال: ما هي علاقة الأستاذ محمود إذن بالمسيح الذي يطبق الرسالة
الثانية التي بنسرها هو بها؟ الأستاذ محمود هو الفادي الذي دفع حياته في سبيل
التبشير بهذه الرسالة، فهو إذن أشبه بالمسيح الإسرائيلي الذي دفع حياته ثمنا لدعوته

١ الأستاذ ياسر الشريف - حوار في موقع سودانيز اونلاين:
<https://sudaneseonline.com/msg/board/155/msg/1177647547/rn/40.html>

ورسالته التي بشر فيها برسول يأتي من بعده اسمه "أحمد" وقد جاء عنه في القرآن: "وَأَذَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لِنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سَيِّئٌ مُبِينٌ" ، ٦ سورة الصف. والذي اسمه "أحمد" هو الذي يرد في صلاة المسيح بـ "أبانا" والتي يقول فيها: "أبانا الذي في السموات فليقدس إسمك وليأت ملكوتك ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض" .. والذي اسمه "أحمد" جاء عنه فيما قاله الأستاذ أنه "الحقيقة المحمدية" أو "الذات المحمدية" في مقابل "الذات الإلهية" أو ذات الله المطلقة^١

المشكلة أن هذا التبدير الأخير - فوق أنه يتجاهل أن احمد هو محمد عند المسلمين - لا يحل إشكالية أنه وفقاً لمحمود ونظرية الأصيل الواحد ليس هناك صاحب شريعة فردية الا الأصيل الواحد الذي هو المسيح المحمدي صاحب المقام المحمدي الخ. جاء في كتاب (التقليد، الأصيل، الاصلاء) التالي:

(ففي هذه السورة من دورات الحياة، دورة الحياة الدنيا تتحقق الفردية في قمتها، في مستوى ترك التقليد، لرجل واحد، هو صاحب المقام المحمود الذي يتم له انزال هذا المقام من الملكوت، وتحسيده على الأرض.. أما جميع من عداه فهم يحققون الأصالة والفردية، داخل إطار التقليد النبوي).^٢

كما يتناقض هذا التبدير مع قول الدكتور ياسر نفسه أن محمود هو صاحب المقام المحمود. ونحن نعلم من كل كتب محمود والجمهوريين أن صاحب المقام المحمود هو عينه المسيح المحمدي وهو نفسه

^١ المرجع السابق

^٢ الإخوان الجمهوريون - التقليد، الأصيل، الأصلاء - النسخة الالكترونية

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=257&chapter_id=5

الإنسان الكامل وهو الحقيقة المحمدية التي هي الله الذي في القرآن او بتعبير دكتور ياسر (أبانا الذي في السموات). انظر لقول د. ياسر في نفس المناقشة :

(الأستاذ محمود منذ أن تحقق بالأصالة بوسيلة التقليد المجد كان هو صاحب الوقت وصاحب المقام المحمود وقد تم له إنزال المقام من الملكوت وجسده على الأرض) فانظر لهذا الكم الهائل من التناقضات وتأمل !

إله مجسد أم رجل محدود محدد؟ !

في الخاتمة نكاد نشفق على الجمهوريين ونسأل: ألا يكفي للخروج من هذه البلبلة والشك العظيم والأوهام المتراكمة الاعتراف البسيط أن محمود محمد طه قد كان رجلاً سودانياً محددًا ومحدوداً، صاحب أفكار وتهويمات مختلفة، منها الصالح ومنها الطالح، اجتهد ما آله الجهد ونقل عن الصوفية ما امكنه النقل، عاش حياة فكرية دينية وتوفي بشجاعة، لكنه لم يكن في كل ذلك أصيلاً ولا رسولاً، ولا مسيحاً محمدياً ولا إنساناً كاملاً سمردياً، ولم يكن سيد الوقت ولم يتنزل له مقام محمود أو غير محمود، وأنه قطعاً لم يكن الها ولا يحزنون!؟

٦ اغسطس ٢٠٢١ م

١ الدكتور ياسر الشريف - حوار في موقع سودانيز اونلاين -
<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117>
[7٦٤٧٥٤٧&rn=49](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=155&msg=117)

الفصل الرابع
في نقد الممارسة السياسية للجمهوريين

الطائفة الجمهورية وتزييف التاريخ السياسي

مقدمة :

ترتبط الطائفة الجمهورية بالنشاط السياسي من البداية، كجزء من حركة الإسلام السياسي في السودان. وإذا كان الناس يربطون الإسلام السياسي بالإخوان المسلمين فإننا نمد المفهوم ليصل لكل من يربط السياسة بالدين أو يستغل الدين لتحقيق مآرب سياسية، وفي هذا لا تختلف عندنا الأحزاب الطائفية التي قامت حول طوائف دينية أو مختلف تفرعات حركة الإخوان المسلمين وما يشابهها أو التجليات السياسية للحركة السلفية أو التنظيمات السياسية الشيعية أو الحزب الجمهوري السوداني .

في هذه السلسلة من المقالات نتطرق للجانب السياسي في حركة الطائفة الجمهورية، وهو السبب الأساسي الذي جعلنا نهتم بهذه الطائفة أخيرا ونضعها تحت مجهر الكشف والنقد.

بدايات النشاط السياسي / تأسيس الحزب الجمهوري :

لن نستعرض النشاط السياسي أو الاجتماعي لمحمود محمد طه قبل تأسيس الحزب الجمهوري، فقد تطرقنا له ولتاريخ حركة الإخوان الجمهوريين السياسية في دراسة مستقلة، ولكن ما يهمنا في هذه الحلقة هو ما يكتبه الجمهوريون عن التاريخ السياسي لحزبهم ومحاولتهم تفريده وتمجيده، وعبر ذلك اضاء مزيد من القدسية على تجربتهم السياسية والدينية .

ولقد تأسس الحزب الجمهوري كواحد من أوائل الأحزاب السياسية في السودان وذلك في فترة الأربعينات، حيث يؤرخ له الجمهوريون بالقول:

(في يوم الجمعة ٢٦ أكتوبر ١٩٤٥م أنشأ الأستاذ محمود وثلة من رفاقه هم: أمين مصطفى التني، وعبد القادر المرضي، ومنصور عبد الحميد، ومحمود المغربي، وإسماعيل محمد بجيت حبة، حزباً سياسياً أسموه (الحزب الجمهوري)، حيث اقترح التسمية أمين مصطفى التني، في إشارة إلى مطالبتهم بقيام جمهورية سودانية مستقلة عن دولتي الحكم الثنائي، واختير الأستاذ محمود رئيساً للحزب، وعبد القادر المرضي سكرتيراً له)¹

هذه البداية كانت تبشر بالخير حيث أن الحزب ضم ثلة من المثقفين، حيث انضم له لاحقاً كل من أمين محمد صديق، محمد فضل الصديق، ذو النون جبارة، عوض لطفي، مهدي أبوبكر، أحمد المبارك عيسى، محمد المهدي مجذوب، منير صالح، مكاوي المرضي، سعد صالح عبد القادر، عثمان عتباني، أحمد يوسف قوّي، يحيى صالح عبد القادر، ومحمد صالح التوم، حسب توثيق الجمهوريين².

وواضح من قراءة نشأة الحزب أن محمود محمد طه كان فيه الأول بين متساويين، حيث كانت هناك قيادات ذات وزن غيره، إلا أن تأثير ونفوذ محمود ما لبث أن بدأ في التصاعد، وخاصة بعد أحداث رفاعة في ١٩٤٨، حيث قاد احتجاجات أهلية ضد اعتقال مواطنة بسبب تنفيذها للخفاض الفرعوني الممنوع من الإدارة الاستعمارية آنذاك .

ورغم إقرارنا بالطابع الإيجابي للحزب الجمهوري في بدايته، حيث أن برنامجه بصورة عامة كان وطنياً وإيجابياً ومعادياً للطائفية، إلا أننا نلاحظ فيما بعد محاولات لتزوير التاريخ وتصوير الحزب بما ليس له، وذلك في

¹ لمحات من سيرة الأستاذ- نشأة الحزب الجمهوري - منشور بموقع

الفكرة
الجمهورية
https://www.alfikra.org/page_view_a.php?page_id=1

² المرجع السابق

نقطتين أساسيتين يزعمها الجمهوريون وهم فيها مفارقون الحقيقة، أن لم نقل ببساطة كاذبون .

هل تفرد الحزب الجمهوري بالمطالبة بالحكم الجمهوري والاستقلال؟:

النقطة الأولى المستحقة للرصد والنقد هي زعم الجمهوريين تفرد حزبهم السياسي في دعوته للاستقلال والجمهورية، حيث يكتب الجمهوريون :
(وتفرد الحزب الجمهوري عن بقية الأحزاب في المطالبة بالحكم الجمهوري، وفي المطالبة بالاستقلال التام، في الوقت الذي كانت فيه الحركة الوطنية السودانية، ممثلة في الحزبين الكبيرين، تنادي بالاتحاد مع مصر أو الاستقلال تحت التاج البريطاني)^١
والشاهد أن الحزب الجمهوري لم ينفرد بالدعوة للاستقلال في تلك الفترة، فقد دعت لذلك أيضا وللجلاء التام الحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) وهي نواة الحزب الشيوعي الناشط اليوم. وقد تكونت بذرات تلك الحركة الأولى في عام ١٩٤٤ في كل من السودان ومصر وتوحدت في مطلع عام ١٩٤٦ لتكتمل بصورتها النهائية في أغسطس ١٩٤٦ (وهو التاريخ الرسمي الذي اجازه الشيوعيون لنشأة ذلك

^١ المرجع السابق

التنظيم^١ بينما يتحدث عبد الخالق محجوب عن مطلع عام ١٩٤٦ كتاريخ للتأسيس^٢.

ورغم أن الحركة السودانية للتحرر الوطني لم تصدر دستورها إلا في عام ١٩٤٧ (أي بعد عامين من صدور السفر الأول للحزب الجمهوري)، إلا أن كوادرها كانت تدعو لحق تقرير المصير والاستقلال منذ ١٩٤٤، بل إن أحد كوادرها الأساسية (عبد هب حسنين) كان يدعو لذلك منذ العام ١٩٤١، وقد كانت مجلة ام درمان التي انشأها دهب رسمياً في القاهرة في مارس ١٩٤٥ صوت أولئك الحركيين الذين كانوا قد صاغوا وثيقة مشتركة في ذلك العام مع الشيوعيين المصريين تنص على (الجلء عن مصر والسودان وحق الشعب السوداني في تقرير مصيره)^٣.

١ مكتب التحقيق المركزي - الحزب الشيوعي السوداني -

م

د

خ

ل

ا

ل

ي

ت

٢ عبد الخالق محجوب - لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي

السوداني - ص ٤٠

٣ المرجع السابق

ي

خ

ا

ومن القوى التي نادى بالاستقلال في تلك الفترة بل كانت أكثر راديكالية من الحزب الجمهوري والحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) في التزامها بأفريقية البلاد، جمعية القبائل المتحدة (والتي سميت باسم التنظيم الذي انشأه علي عبد اللطيف في عام ١٩١٩) والتي تكونت في عام ١٩٤٢ بواسطة بعض الجنود السودانيين السابقين وثوار ١٩٢٤ وبعض القيادات القبلية التي حولت اسمها عام ١٩٤٨ إلى (الكتلة السوداء). وكانت تلك الجمعية - الكتلة أكبر شعبية وجماهيرية من ذينك الحزبين المذكورين^١.

وقد ترأس هذه الكتلة السيد / عثمان متولي وهو ينحدر من قبيلة الداو بدارفور وكان نائبه الضابط المتقاعد وعضو جمعية اللواء الأبيض زين العابدين عبد التام وأصوله من الدينكا (وهو والد عبد الوهاب زين العابدين عبد التام أول زعيم لحستو) بينما كان أمين المال فيها دكتور محمد آدم أدهم، والذي ظنه البعض رئيسها بسبب شهرته وتعليمه وهو أيضا من الداو^٢.

ومما يثبت شعبية الكتلة السوداء هو حضور ٤ ألف عضو لجمعيتها العمومية في ١٩٤٨، وهو أمر لم يكن متوفرا لا للحزب الجمهوري ولا للحزب الشيوعي حينذاك. وقد أصدرت عددا/أعدادا من صحيفة (أفريقيا) ولكنها توقفت بسبب ضعف القدرة المالية، وكانت الكتلة من مؤسسي الكتلة الاستقلالية في السودان، وعملت بقوة تحت مؤامرات وضغوط من الأحزاب الموالية للطوائف والإدارة الاستعمارية قبل

١ محمود الحاج يونس: خلفية الدعوة لرؤية السودان الجديد قد تساعد الحقائق في التثام الجراح (نحو المجتمع الإنساني) - نشرت في موقع صوت الهامش

٢ المرجع السابق

انهيارها وتفككها عشية الاستقلال بسبب الضعف المالي والإداري ونشوء الحركات السياسية الجنوبية واجتذاب الأحزاب الطائفية لجزء من كوادرها وقياداتها.^١

والشاهد إن حزب الأمة نفسه كان من الأحزاب الاستقلالية، وكان شعاره (السودان للسودانيين). ومهما يقال ويرصد عن حزب الأمة من سلبيات سابقا أو لاحقا فقد كان لدعوته الاستقلالية (أن كانت عن حق أو باطل) ولجهازيته القتالية ضد الوحدة مع مصر ولتحالفه مع الأحزاب الاستقلالية في الجبهة الاستقلالية (التي لم يشترك فيها الحزب الجمهوري)، الدور الكبير في تعطيل مشروع الوحدة تحت التاج المصري، والدفع بالاتحاديين للتخلي عن هذا الحلم - الكابوس.

ولم يتفرد الحزب الجمهوري بالدعوة للجمهورية، بل إن كل من حسنو والكتلة السوداء كانا يدعوان لتكوين جمهورية سودانية مستقلة، وكانا يرفضان دعوة الوحدة تحت التاج المصري أو تكوين مملكة سودانية بقيادة عبد الرحمن المهدي. بل لقد كان هناك حزب ثالث لم يعمر طويلا تكون عام ١٩٥١ من بعض قيادات القبائل والشيوخ باسم الحزب الجمهوري - الاشتراكي بقيادة ابراهيم بدري. ورغم التشجيع على ذلك الحزب فقد كان من أكثر الأحزاب دعوة للجمهورية ورفضاً لفكرة الملكية التي كانت تعشعش في بعض دوائر حزب الأمة أو لفكرة الاتحاد تحت التاج المصري عند الاتحاديين. وقد حصل الجمهوريون الاشتراكيون في انتخابات ١٩٥٣ على ثلاثة مقاعد وما لبث حزبهم أن تدهور وتفكك عشية الاستقلال لنفس اسباب تفكك الكتلة السوداء .

الثابت أن الحزب الجمهوري قد كان واحدا من الأحزاب الاستقلالية والجمهورية في السودان في الأربعينات، ولكنه قطعاً لم يكن (متفرداً) في

^١ المرجع السابق

دعواه تلك، بل ولقد رفض دعوات توحيد الأحزاب الجمهورية (الحزب الجمهوري، حزب الشعب، الحزب الجمهوري الاشتراكي).^١ عليه فإن الزعم بتفرد في تلك الدعوة ما هو إلا محاولة لتزييف التاريخ في عمل عقائدي تتصف به كل الأحزاب العقائدية في تمجيد تاريخها وتثفيته جهد الآخرين.

هل كان محمود محمد طه أول سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية؟!

يردد الجمهوريون فرية أخرى مفادها أن زعيمهم محمود محمد طه هو أول سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية! حيث يقولون في السيرة الرسمية لمحمود على موقع الفكرة وتحت عنوان (أول سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية السودانية) التالي :

(فضرب رجال الحزب الجمهوري الأمثال في شجاعة المواجهة، حيث كان الحزب يطبع المنشورات المناهضة للاستعمار، ويحرص أفرادها على توقيع أسماهم عليها، وتوزيعها، في عمل فريد من أعمال المواجهة العلنية، إضافة إلى قيامهم بالخطابة في الأماكن العامة، حتى استشعرت السلطات الاستعمارية الخطر، فاعتقلت الأستاذ محمود في يونيو من عام ١٩٤٦م وقدمته إلى المحاكمة، ووضعت أمام خيارين: السجن لمدة عام، أو

١ عبد الله الفكي البشير - تصحيح تاريخ البيان الذي ألقاه محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري في الاجتماع العام للحزب، عام ١٩٥١م - <https://sudanile.com/archives/96193>

التوقيع على تعهد بعدم ممارسة العمل السياسي، فاختار السجن دون تردد. وكان بذلك أول سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية السودانية.^١

الشاهد أن هذه المقولة هي مقولة كاذبة تماماً، فالحركة الوطنية السودانية ممتدة منذ قدم التاريخ، وقد كان بها الكثير من السجناء قبل محمود. وحين لا يقدم الجمهوريون تعريفهم للحركة الوطنية السودانية، فأنا نتمسك بالتعريف العلمي الذي يراها تمتد في صيغتها الحديثة منذ تاريخ ١٨٩٨، أي بداية الاحتلال الإنجليزي المصري للسودان وبدايات المقاومة الوطنية السودانية ضده. وهكذا أرخ المؤرخون هذه الحركة على الأقل.

الدليل على ذلك إن بروفيسور محمد عمر بشير قد أرخ لهذه الحركة بهذا الشكل في كتابه (تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩)، كما أرخ لها بروفيسور مدثر عبد الرحيم في كتابه (الإمبريالية والوطنية (القومية) في السودان: دراسة في التطور السياسي والدستوري ١٨٩٩-١٩٥٦). أما محمد عمر باشري فيذهب ابعده ويؤرخ لهذه الحركة منذ عام ١٨٢١ وذلك في كتابه (معالم الحركة الوطنية في السودان)، بينما يتناول احمد عمر دياب جزءاً منها في أسفاره (المقاومة الوطنية للإدارة البريطانية من سنة ١٩٠٠ وحتى ١٩٢٤) و (موسوعة الرموز والشخصيات الوطنية السودانية ١٩٠٠-١٩٦٩) الخ

بيد أن هناك من المؤرخين من يرى - صراحة أو ضمناً- ان الحركة الوطنية السودانية ابتدأت منذ العام ١٩١٩ وأن ما سبقها من انتفاضات وتحركات كانت ذات طابع ديني أو قبلي أو جهوي، ومن هؤلاء مثلاً البروفيسور حسن عابدين في كتابه (الوطنية السودانية المبكرة ١٩١٩-

^١ لمحات من سيرة الأستاذ- نشأة الحزب الجمهوري -
https://www.alfikra.org/page_view_a.php?page_id=1

١٩٢٤) وجعفر محمد علي بخيت في كتابه (الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩) الخ .

وإذا كان الأمر كذلك، فإن من أوائل السجناء السياسيين اذن هو الأمير عثمان دقنة والذي بعد صولاته وجولاته العسكرية ضد الاحتلال الانجليزي المصري وقع في الأسر في مطلع عام ١٩٠٠، ثم قضى ٢٧ عام في السجون في السنوات ١٩٠٠-١٩٢٧، كان فيها في سجن رشيد لمدة ٨ سنوات ثم في سجن وادي حلفا لمدة ١٥ عاما (سمح له عام ١٩٢٣ بأداء فريضة الحج) ثم حُبس في الحبس المنزلي في سواكن قبل اعادته لسجن حلفا ليتوفي هناك في ديسمبر ١٩٢٧.

أما البطل علي عبد اللطيف والذي لا يشك أحد في أنه رائد وقائد الحركة الوطنية الحديثة فقد تم اعتقاله ومحاكمته عام ١٩٢٢ بعد كتابته مقال (مطالب الأمة السودانية) حيث حكم عليه بالسجن عاما قضاه في كوبر وخرج منه في عام ١٩٢٣، ليعود ويعتقل في عام ١٩٢٤ حيث حكم عليه في ١٩٢٥ بالسجن لمدة ١٠ سنوات قضاه في سجن واو ولم يطلق سراحه بعدها بل نقل عام ١٩٣٦ لسجن كوبر وبقي فيه حتى ١٩٣٨ وبعدها نقل لمصر، حيث ظل مسجوناً بلا حكم في مصحة للأمراض العقلية رغم سلامة عقله حتى وفاته في ١٩٤٨، اي أنه قضى في السجون ٢٥ عاما كاملة .

وكان من السجناء الذين حكم عليهم بعد الثورة ٤٥ شخصا آخرين تراوحت أحكام سجنهم بين الـ ١٠ سنوات والـ ٥ سنوات الخ، وكانت اقلها اربعة أشهر. وكان من اهمهم البطل عبيد حاج الامين الذي توفي في السجن في واو في عام ١٩٣٢ حيث قضى في السجن حتى وفاته ٨ سنوات ودفن في واو. كما كان من بين أعضاء اللواء الابيض المسجونون في الفترة ١٩٢٤ - ١٩٣٦ كل من صالح عبد القادر ومحمد المهدي الخليفة عبد الله وعلي البنا ومحمد عبد البخيت الخ .

فكيف بحق الله أو الإنسان الكامل، يكون محمود محمد طه هو أول
سجين سياسي في تاريخ الحركة الوطنية السودانية؟!
١٠ اغسطس ٢٠٢١م

الحزب الجمهوري: الإسلاموعروبية في أقصى تجلياتها

مقدمة :

تتابع في هذه الحلقة نقد الفكر السياسي للطائفة الجمهورية، كما تجلى في نشاطها السياسي منذ عام ١٩٤٥ عندما تم تأسيس الحزب الجمهوري، وحتى الحاضر المعاصر حيث تلعب هذه الطائفة وبعض اجنحة هذا الحزب دورا محوريا في حكومة قحت القائمة. ونزعم أن الحزب الجمهوري هو أحد احزاب الإسلام السياسي الشرسة في السودان، وأنه إحدى تجليات الأيدلوجية الإسلاموعروبية التي مزقت البلاد وسأمت شعوبنا العذاب .

الحزب الجمهوري منذ البدء حزب للإسلام السياسي:

وإذا كنا قد قلنا في المقال السابق إن دستور الحزب الجمهوري الأول كان في صفته العامة إيجابيا، في دعوته للاستقلال والجمهورية، الا انه من الواضح تماما غياب مفهوم دولة المواطنة المدنية فيه، وكون ذلك الحزب كان واحدا من أوائل أحزاب الإسلام السياسي في البلاد . يظهر ذلك في دستور الحزب وكذلك في الفقرات المتعلقة بآراء ومواقف الحزب الأساسية المضمنة في كتاب (السفر الاول). انظر لهذه الفقرات من الدستور وآراء وافكار الحزب المنشورة في عام ١٩٤٥ :

(نحن اليوم بسبيل حركة وطنية تسير بالبلاد في شحوب أصيل حياة العالم هذه الملبدة، إلى فجر حياة جديد، على هدى من الدين الإسلامي، ويرشد من الفحولة العربية، ويسبب من التكوين الشرقي)

ويمارس الحزب - منذ وقتها - هجوما عنيفا على المدنية الغربية، والتي تحتوي على تيارات مختلفة متناقضة، منها الرجعي والتقدمي والمتوحش والإنساني، ليصمها كلها بأنها كفرت بالله والإنسان: (هذه المدنية تضل وتخطئ، من حيث تنعدم فيها معايير القيم، وتنحط فيها اعتبارات الأفكار المجردة. فليس شيء لديها ببالغ فتيلاً إذا لم يكن ذا نفع مادي، يخضع لنظام العدد، والرصد. فهي مدنية مادية، صناعية، آلية، وقد أعلنت إفلاسها، وعجزها، عن إسعاد الإنسان، لأنها كفرت بالله، وبالإنسان).^١

أما في مسألة التعليم فيقول الحزب :

(يطمع الحزب الجمهوري بأن يسير بالحياة على هدى الدين الحنيف. ويطمع في أن يرد الحياة إلى ما كانت عليه أيام عمر - عمر العظيم.. أيام كان فيها الناس آدميين كآدم - أيام كان الناس يخافون الله ولا يخافون شيئاً عداه - أيام كانوا ينشدون العزة، فيطلبونها عند الله، ويعلمون ان العزة لله جميعاً - نعم يطمع الحزب الجمهوري في أن يرد الحياة إلى ما كانت عليه في تلك الأيام الغر، وسيل الحزب الجمهوري إلى ذلك هو التعليم على أسلوب غير هذا الأسلوب المضلل الذي نسير عليه اليوم).^٢

وإذا كانت هذه الآراء الإسلامية ضعيفة في الطبعة الأولى لذلك السفر، فإنها تظهر بقوة وفي الطبعات اللاحقة والمقدمات التي كتبت لها، كما تظهر في الطبعات اللاحقة لدستور الحزب في كل من ١٩٥١ و١٩٦٨، ولنقتبس من المذكرة والتفسيرية لدستور الحزب في عام ١٩٦٨ التالي:

١ محمود محمد طه - السفر الأول -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=١د=

٢ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=١د=

(الحزب الجمهوري دعوة إلى مدينة جديدة تخلف المدنية الغربية المادية الحاضرة التي أعلنت إفلاسها بلسان الحديد والنار في هذه الحروب الطواحن التي محت الأرزاق وازهقت الأرواح)

(وطلائع هذه المدنية الجديدة أهل القرآن الذين قال تعالى فيهم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي وسطا بين تفريط الغرب المادي وإفراط الشرق الروحاني ودستور هذه المدنية الجديدة ((القرآن))

(وأول خطوة في سبيل تطبيقها بعث "لا إله إلا الله" من جديد لتكون خلاقة في صدور الرجال والنساء، اليوم كما كانت بالأمس، وذلك بدعوة الناس إلى تقليد محمد، إذ بتقليده يتحقق لنا أمران: أولهما توحيد الأمة، بعد أن فرقها الطائفية أيدي سبأ، وثانيهما تجديد الدين.)^١

دستور الجمهوريين المقترح للسودان هو دستور إسلامي:

كما تظهر الدعوة الإسلامية للطائفة الجمهورية بقوة أكثر في مشروع الدستور الذي طرحه الجمهوريون في نهاية عام ١٩٥٥ للسودان، إذ يقولون في ديباجته التالي:

(ليحقق دستورنا كل الأغراض آفة الذكر، فانا نتخذه من ((القرآن)) وحده: لا سيما وأن ((القرآن)) لكونه في آن معا، دستورا للفرد ودستورا للجماعة قد تفرد بالمقدرة

^١ محمود محمد طه: أسس دستور السودان - ملحق نمرة ٣ - دستور

الحزب الجمهوري عام ١٩٦٨ -

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٢٦&chapter_id=٤d=

الفائقة على تنسيق حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة، تنسيقاً يطوع الوسيلة لتؤدي الغاية منها أكمل أداء.^١

وفي مشروع هذا الدستور يطرح الجمهوريون أن أساس التشريع هو القرآن، وكذلك تشاريع السنة في المعاملات، ويصرّون على التمسك بها، حيث يقولون مثلاً :

(فنحن إذن نتخذ دستورنا من روح القرآن ولا نقيّد تشريع هيتنا التشريعية إلا بالتوحيد المنسق للحقوق، التي تبدو لذي النظرة الأولى متعارضة، لأنه ان لم يكن كذلك لا يكون قانونا - وننظر إلى نصوص تشاريع القرآن، ونصوص تشاريع السنة في المعاملات، كوسائل لتحقيق روح القرآن، ونصر على التمسك بها، إلا إذا كانت المصلحة في تطويرها بحيث تتقدم خطوة أخرى بمجتمعنا الحديث نحو تحقيق ذلك الروح، في مضمار الحياة اليومية)^٢

ولا يكتفي الجمهوريون بذلك، بل يدخلون في مشروع دستورهم فقرات طويلة ذات أصل عقائدي تتعلق بالجبر والإختيار والإنسانية ومستقبل الدين وغيرها من القضايا ليست ذات الصلة ابدأ بمشروع دستور مدني لدولة متعددة الديانات والعقائد يفترض أن تقوم على أساس المواطنة. ومرة أخرى نقول إن بعض الحلول في ذلك الدستور كان يمكن أن تكون مقبولة، لو لم تخلط خلطاً فظيماً بالدين ولو لم يفرض الجمهوريون

١ محمود محمد طه - أسس دستور السودان -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=&d=

٢ المرجع السابق
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=11&chapter_id=&d=

عقائدهم الضيقة في مشروع ذلك الدستور الذي أُريد له أن يكون لكل
السودانيين .

كما يطرح الجمهوريون في مشروع ذلك الدستور قضية تطبيق الحدود
والتي تشكل كعب أخيل في الفكر السياسي الجمهوريين، وهو أمر
ناقشناه في مقال سابق وسنرجع له في تحليل شكل الدولة الجمهورية
القادمة كما يرونها، ولكن نكتفي هنا بهذا الاقتباسين:

(ونحن نرى لذلك أن قوانين الحدود: الزنا - الخمر - السرقة - القذف - قطع الطريق
- يجب ان تقام، ونرى أن تشريعنا يجب أن ينهض على مبدأ القصاص)^١
وكذلك :

(ثم علينا إلا نفارق تشريع القصاص، إلا حيث لا يكون التطبيق ممكناً، وفي تلك
الحالة نجعل عقوبتنا أقرب ما تكون للقصاص).^٢

ولكيلا يقول أحد إن ذلك طرح قديم ربما تجدد أو تغير، نحيلهم إلى
مقدمة الطبعة الثانية من ذلك الدستور في نوفمبر من عام ١٩٦٨، حيث
يكتبون :

(“أسس دستور السودان” خرجت طبعته الأولى للناس في ديسمبر من عام
١٩٥٥، وظهرت الحاجة اليوم إلى إعادة طبعه فلم نجد شيئاً نحذفه منه: ولم نجد
ضرورة لإضافة شيء عليه، فأخرجناه من هذا الاعتبار، على ما عليه كان أول عهده
بالخروج).^٣

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

^٣ محمود محمد طه - أسس دستور السودان - مقدمة الطبعة الثانية
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=٤d

كما أن الجمهوريون يدعون بقية أطراف احزاب الإسلام السياسي لدعمهم في دعوتهم للدستور الإسلامي، ولكلمة سواء، بل يعدونهم دعاة للإسلام، حيث يكتب محمود في عام ١٩٦٨ في كتاب (الدستور الإسلامي نعم ولا) التالي:

(هذه كلمة نوجهها إلى "جبهة الميثاق الإسلامي" وإلى "الحزب الاشتراكي الإسلامي" وإلى "الهيئة الوطنية للدستور الإسلامي" كهيئات، وإلى كل مهتم بالدستور الإسلامي، من المواطنين كأفراد.. فإن الدستور الإسلامي اليوم لا تمليه حاجة المسلمين فحسب، وإنما تمليه حاجة البشرية جمعاء)
(فيا دعاة الإسلام في هذه البلاد تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نجلس، وترك وراعنا حظوظ نفوسنا، فنجد فهم ديننا،
(ومن يدري فلعلكم واجدون في دعوة الحزب الجمهوري إحياء لسنة المعصوم بعد انتشارها؟؟؟)

ومن يدري فلعل الجمهوريين أن يكونوا الفئة القليلة المتهتدية في فئة كبيرة ضالة؟^١
كما أن كتاب (الديباجة)، وهو آخر ما كتبه محمود محمد طه، أي في أكتوبر من عام ١٩٨٤، باعتباره ديباجة لمشروع دستور متكامل للجمهوريين، يكرر نفس الأفكار ويتمسك بنفس تطبيق الحدود، وقد نرجع لذلك النص المحوري والآخر بتحليل نقدي مستقل، إذا اتسع الوقت وتوفرت الرغبة والقدرة .

^١ محمود محمد طه - الدستور الإسلامي - نعم .. ولا !! -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=13&chapter_id=13d

الحزب الجمهوري حزب عروبي :

إن قراءة بسيطة لوثائق النشاط السياسي الجمهوريين في كل مراحلهم، توضح أنهم حزب عروبي بحت، وأن أفريقيًا كانت - وربما لا زالت - غائبة تماما عن فكرهم السياسي. وأن رؤيتهم لهوية السودان لا تختلف عن أي حزب عروبي آخر، بل قد تكون عروبيتهم أقوى من باقي تلك الأحزاب . نعيد مثلا قراءة الفقرة التي اقتبسناها في بداية المقال، من اول وثيقة سياسية لهم (السفر الاول) والتي تقول إنهم بسبيل انشاء (حركة وطنية تريد أن تسير بالبلاد إلى فجر حياة جديد، على هدى من الدين الإسلامي، ويرشد من الفحولة العربية، وبسبب من التكوين الشرقي) وتتساءل ما معنى الفحولة العربية هنا، إن لم يكن الحزب عروبيا يرى جذوره في الثقافة العربية فحلة كانت أو غير فحلة؟!

كما نمضي أكثر في ذلك السفر لنقرا في المذكرة التفسيرية لدستور الحزب وفي الفقرة الوحيدة التي تتحدث عن العلاقات الخارجية، إشارة للدول العربية والواصر معها، واغفالاً تاماً لأفريقيا. تقول الفقرة الخامسة من المذكرة التفسيرية لدستور الحزب التالي :

(نحن وإن كنا لا نريد أن نرتبط بشيء ما في الوقت الحاضر، ولكن لا يمكننا أن نتجاهل الأواصر التي تربطنا بدول الشرق العربي بشكل عام، والمنافع التي تربطنا بالأقطار المجاورة بشكل خاص وسوف تتكيف علاقاتنا مع هؤلاء جميعاً على هذا الأساس)^١

ويتبنى محمود فكرة أن السودانيين عرب (هكذا) حيث يقول في مقال عن (مستقبل الثقافة العربية في السودان) التالي :

١ مرجع سابق - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٢٤&chapter_id=٤d

(وليس من همي هنا أن أنكر على السودانين كونهم عربا، أو كون السنتم شرايح مقدودة من السنة العرب. ولست أذهب مذهب التقليل من شأن اللغة في مسائل الثقافة. ولكني إنما أحب أن أقرر أن اللغة العربية (تابعة) للإسلام وليست (متبوعة).)^١

ليس غريبا في هذه الحالة ان يكتب محمود محمد طه والجمهوريون كتبا مطولة عديدة عن قضايا العرب والشرق الاوسط، ومن بينها (التحدي الذي يواجه العرب) و (مشكلة الشرق الأوسط) و(السادات) و (اتفاقية السلام ضد مصلحة الشيوعية الدولية وفي مصلحة العرب) و(إصطلحو مع إسرائيل) وغيرها، ولا نجد كتاباً واحداً مخصصاً لأفريقيا أو جزء منها .

كما أن محمود محمد طه قد أرسل رسائل بالنصح والتوجيه لكل من محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وأعلن الجمهوريون تأييدهم منقطع النظر للسادات، الذي الفوا كتابا بإسمه، في حين لم نجد رسائل من محمود محمد طه للقادة الأفارقة المعاصرين لمحمد نجيب وعبد الناصر والسادات، والذين شغلوا الدنيا وقتها، مثل كوامي نكروما أو ليوبولد سنغور، أو حتى المسلمين منهم مثل أحمد سيكوتوري أو موديبو كيتا، ناهيك عن تاييد أي من هؤلاء أو إصدار كتاب بإسمه .

أدى هذا في المحصلة أيضا للغياب التام عن قضايا التهميش وعنصرية الدولة السودانية وانحيازها للإسلاموعروبي، حيث لم يخصص الجمهوريون اي كتب عن قضايا دارفور او جبال النوبة أو شرق السودان

^١ محمود محمد طه - مستقبل الثقافة العربية في السودان - منشورة في كتاب رسائل ومقالات - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=13&chapter_id=27

أو النوبة الشمالية الخ، رغم ارتفاع مطالب تلك المناطق وانطلاق حركاتها في الخمسينات والستينات الخ. وإذا كان الجمهوريون قد اهتموا بقضية الجنوب بعض الشيء، إلا أنهم رأوا أن الحل الجذري لها يتم عبر " الفكرة الجمهورية" و"الإسلام" ^١ .

هذا الموقف المتجاهل لأفريقيا وإفريقية السودان ، والمنطلق من نظرة إسلاموعروبية ضيقة، يقف في تناقض واضح مع موقف مثقفين ومبذعين سودانيين كثيرين وقتها اهتموا بأفريقيا وسياساتها وثقافتها، مثل الفيتوري الذي تغني بها في أكثر من ديوان ووردي الذي غنى لها، بل لقد اهتم بأفريقيا بعض المثقفين المنحدرين من الوسط النيلي ، مثل عبد الخالق محجوب الذي كتب مثلا في الستينات كتاب **(المدارس الاشتراكية في افريقيا)**، وعبد الهادي الصديق الذي كتب عن **(السودان والافريقية)**، ناهيك عن مثقفي الجنوب وجبال النوبة ودارفور الخ .

من جهتهم خاض ودعم الاشتراكيون والتحريريون السودانيون مختلف قضايا التحرر الأفريقية، أن كان من منطلق يساري أو ليبرالي، سواء كانت ضد الاستعمار أو ضد التفرقة العنصرية أو من أجل التغيير الاجتماعي، بل لقد شارك بعضهم في الحركات التحررية في القارة، وخصوصا في دول الجوار، بينما كان انجاز الجمهوريين في هذا المجال صفرا كبيرا .

^١ راجع خاتمة كتاب الجمهوريين: جنوب السودان: المشكلة والحل - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٣٤&chapter_id=٢٤٧d=

الحزب الجمهوري وغياب مفهوم المواطنة :

يقول الجمهوريون دائما أن أساس وهدف دعوتهم شئيان: الإسلام والسودان. وفي الحقيقة أنهم بوضع الإسلام كهدف اول لدعوتهم، وفقا لمفهومهم الضيق، فهم بذلك ينفون غير المسلمين تماما من معادلتهم، ويجعلون أنفسهم طائفة دينية أخرى، وليس حزبا سياسيا يقوم على أساس المواطنة، ويشككون في كون السودان الواحد المتعدد، هو هدفهم فعلا .

ورغم أن الحزب قد أعلن في بداية نشاطه أن عضويته مفتوحة لكل سوداني بلغ من العمر ١٨ سنة بل و لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لا تقل عن عشر سنوات لم يبارح خلالها السودان، دون تحديد الدين ، فإن الممارسة العملية قد أثبتت عدم انضمام مسيحي أو يهودي سوداني واحد للحزب طوال تاريخه وفي تجلياته المختلفة ، عكس ما تم في اغلب الأحزاب السودانية الأخرى، التي انضم لها المسيحيون مثل حزب الأمة واحزاب الاتحاديين المختلفة والحزب الشيوعي والحزب الليبرالي الخ ، ناهيك عن الأحزاب والحركات الجنوبية والحزب القومي السوداني التي قادها مسيحيون .

وقد يزعم البعض ان الطائفة الجمهورية طائفة عالمية، بشهادة انضمام بعض الأجانب و(الخواجات) لها. وفي الحقيقة أن هؤلاء الخواجات قد كانوا وما زالوا قلة قليلة وسط الجمهوريين، فوق أن شرط انضمامهم هو القبول الكلي لأفكار محمود. ووسط الأجانب والخواجات خصوصا ليس من النادر مقابلة هواة الفرقعات الفكرية والباحثين عن انتماء ولو بمعاقرة الخرافات.

مع ذلك كان الجمهوريون ولا زالوا في أغليبيتهم الساحقة طائفة سودانية صغيرة تنتمي للوسط النيلي. بل لقد أصبحت الجمهورية عند الكثيرين

انتماءا أسريا بحتا، ينتقل فيها الاعتقاد الجمهوري من الآباء للأبناء، ولم تصبح تنظيما وطنيا شاملا قط .

في الخلاصة نقول إن الدعوة لدستور إسلامي في بلد متعدد الثقافات والديانات، والدعوة لتطبيق الحدود حتى على غير المسلمين، بزعم أن هذا في صالحهم، والتمسك بعروبة السودان والتوجه شرق اوسطيا، في بلد متعدد الاعراق ويقع - باعتراف الجمهوريين أنفسهم- في قلب افريقيا، يضرب دولة المواطنة في الصميم، ويجعل من الجمهوريين مجرد فصيل اخر من فصائل أحزاب الإسلام السياسي والأيدلوجية الإسلامية وعروبية في السودان.

١٥ اغسطس ٢٠٢١م

دعم الدكتاتور المصلح في انتظار حكم "الرجل"

مقدمة :

دعم الجمهوريون الديكتاتوريات طوال تاريخهم، ما عدا دكتاتورية الإنقاذ التي لم يؤيدوها. ولم يكن ذلك لتطور فكري أو سياسي جديد أصابهم، وإنما فقط لأنها زعمت تطبيق الشريعة، بينما هم يرون إن تطبيق الدين والحدود ممكن لهم وحدهم، تحت قيادة "الرجل"، وإن أي شخص غيرهم يتحدث عن دولة دينية محتال.

ذلك إن الجمهوريين يدعمون الديكتاتوريات ما دامت تتوافق نسبياً مع أفكارهم وتضرب أعداءهم وتسمح لهم بحرية الحركة ولا تتعدى على صلاحياتهم وصلاحيات "الرجل"، فإذا فعلت شيئاً من ذلك عارضوها. ولها أثناء توافقهم معها أن تسجن وتعدم وتقتل من غيرهم من تشاء ومتمى تشاء. هنا لا مبدئية في المواقف إطلاقاً .

الديكتاتور المصلح والخطاب لمحمد نجيب :

ولقد عبر محمود والجمهوريون عن دعمهم للنهج الديكتاتوري صراحة، حيث ايدوا أكبر انقلاب عسكري في المنطقة العربية، وهو انقلاب ٢٣ يوليو في مصر. يكتب محمود محمد طه في رسالة مؤرخة للقائد المعلن لذلك الانقلاب محمد نجيب في ١٨/٨/١٩٥٢ التالي :

(أما بعد فإن مسألة خلع الملك عن العرش، بالطريقة التي تمت بها، توفيق كبير. ولكن ينبغي ألا تحمل أكثر مما تحمل من دلائل النجاح، وإنما يجب أن ينظر إليها

على أنها مسألة لها ما بعدها. وسيكون الحكم لها، أو عليها، على ضوء ما يحصل عليه العهد الجديد من نجاح، أو من إخفاق)^١

ثم يوصي محمد نجيب بأخذ كل الامر في يديه، كما كان يفعل هو في تنظيمه، ويقول له أن يتوفر على "الحزم" و "الفهم"، حيث يقول عن الحزم :

(أما الحزم فيقتضي بأن تتولى كل أمور مصر بنفسك وأن تكون، في غير موارد، ولا رياء، المسئول الأول والأخير، أمام الشعب المصري، وأمام العالم أجمع، عن استقرار العهد الجديد في البلاد. وأن تستخدم، من السياسة من شئت، ومن الخبراء، والفنيين، المصريين والأجانب، من استطعت. على أن يكونوا مستشارين، وأعاوناً، ومنفذين، مسعولين أمامك أنت، وتحاسب أنت على سيئات أعمالهم، أكثر مما يحاسبون.)^٢

أما "الفهم" فهو ببساطة أن تبني محمد نجيب افكار محمود محمد طه، وأن يطبقها. وإن لم يطرح محمود الأمر بهذا الشكل الواضح، إلا أنه مضمرة في الرسالة والنصائح، فتجده يقول :

(أما الفهم فيقتضي بأن تكون لك "رسالة" تبلغها الشعب، وتأخذ بها، وتجعل كل مرافق الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، وسيلة إلى بلوغها. واعلم أن الشعب لا ينصاح بمجرد توفير الرخاء المادي، ذلك بأن الإنسان لا يعيش بالرغيف وحده، كما يظن الشيوعيون. وإنما يعيش بالرغيف وشيء وراءه، أهم منه، هو القيم الروحية التي تطهر القلب، وتصفي الذهن، وتسمو بالأخلاق. وأنت رجل مسلم، من شعب

^١ محمود محمد طه - خطاب الى اللواء محمد نجيب - نشر في كتاب رسائل ومقالات - الكتاب الأول -

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=٣٦d

^٢ المرجع السابق

مسلم، قد ضل الطريق إلى المناهل التي ارتوى منها أوائله، فعب من الكدر الآسن ما قعد به عن رحاب الحياة السعيدة. فهل فكرت في رد القطيع الضال إلى المبيع الأفيح من شريعة القرآن، وأخلاق القرآن؟ هل فكرت أن تقوم بإقلاّب في مناهج التعليم، ومرافق الصحة، ووسائل التغذية، وأساليب السكن، على هدى الدستور الأزلي، القرآن؟^١

ولا يتورع محمود عن تشجيع الرجل على الديكتاتورية، ويزعم أن الديكتاتورية ليست سيئة في أصلها، وانما في أعمالها، ويقول إن الديكتاتورية هي خير وسائل حكم عهود الانقلاب، بل هي خير وسائل الحكومات للشعوب المتأخرة. أنظر إليه يقول :

(ولا تخافن اسم ((الديكتاتور))، إن كنت تقدر على أن تكون ((ديكتاتوراً)) مصلحاً. فإن عيب ((الديكتاتورية)) ليس في ذاتها، وإنما هو في أعمالها. فإن أحسنت، فهي خير وسائل حكم عهود الانقلاب. وهي خير وسائل الحكومات لدى الشعوب المتأخرة، على كل حال).^٢

محمود هنا، لا يختلف عن أي واحد من علماء السلطان الموجودين بكثرة في التراث العربي الإسلامي، المقربين لملك التغلب، والمؤمنين بفكرة (المستبد العادل) العبيطة، حيث لا عدل ولا اصلاح مع الاستبداد والديكتاتورية .

الحزب الجمهوري والخطاب لعبد الناصر :

أما في الخطاب لعبد الناصر، والمكتوب في أغسطس ١٩٥٨ باسم الحزب الجمهوري، والذي غالباً ما كتبه محمود، فإن جل نصه موجه لاثناء عبدالناصر عن التحالف مع الشيوعيين، ومن الغريب أن الحزب يشير

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

لقتل الانقلاب الناصري للسياسيين (من شيوعيين وإخوان مسلمين) في أول أيامه ولا يستنكره، بل تراه يكاد يدعمه. أقرأ له ما يكتب في ذلك الخطاب :

(وقد كنا نريد للثورة أن تسلك بالتأميم سبيلا يستخلص لمصر حقوقها في أرضها من غير أن يعطي الفرصة للشيوعية السولية أن تظهر بمظهر المدافع عن المستضعفين المغلوبين مما خدع العرب عنها ويمكن لها في ديارهم تمكيننا. ولقد كان هذا السبيل ممكنا وميسورا.* وهو سبيل معروف لدى الثورة وليس غريبا عليها وقد سلكته مرة ودافعت عن سلوكه وقتلت من عارضوها في ذلك كل مقتل* .. ولكن قد كان ذلك قبل أن يكيد الشيوعيون كيدهم ويغلقوا على الثورة من السلاح والعتاد والعطف ما أنساها نفسها وعزها عن حقيقتها وأعجلها عن اصطناع الأناة وأغراها بمواقف المسرحيات والبطولات شأن كل الدكتاتوريات)^١

وفي هذا الخطاب يواصل محمود والجمهوريين وصف انقلاب عبدالناصر بالثورة، وهو وصف كانوا قد استخدموه في خطابهم لنجيب. كما هم يخاطبون عبد الناصر ويدعون له بالتوفيق والهداية، وكأن الدول تقوم على الأفراد وعلى الاماني والدعوات .

الشي الخبير الملاحظ في الخطابين أنهما يخلوان من اي دعوة لتفعيل الديمقراطية واستعادة الحكم النيابي، مما يوضح كفر محمود بالديمقراطية تماما، وتبنيه منهج الديكتاتور المصلح أو المستبد العادل، حتى يأتي زمن 'الرجل'."

هذا الموقف يتناقض مع زعم الجمهوريين بدعوتهم للحرية الفردية الكاملة، فالحرية الفردية لا تتحقق تحت ظل اي ديكتاتور، ولا تقوم دون الحريات السياسية وحق الناس في اختيار من يحكمهم وكيف يحكمهم،

^١ الحزب الجمهوري يرسل خطابا لجمال عبد الناصر - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٣&chapter_id=٦٨

اي دون الديمقراطية الليبرالية، التي داسها كل من عبد الناصر ومحمد نجيب ومرغها في التراب، وكذلك فعل بها عبود والنميري، ولكنك لن تجد اي دفاع عنها، اي الديمقراطية الليبرالية، من محمود والجمهوريين، والذين كانوا طوال الوقت أبواق تبرير وتطبيق لتلك الانقلابات وتسميتها بالثورات، كما رأينا أعلاه وكما سنرى لاحقاً.

مفهوم الوصاية وجذور مواقف الجمهوريين الفكرية:

وفي الحقيقة فان محمودا والجمهوريين كانوا يعرفون جيداً خطر الديكتاتوريات العسكرية. انظر الى قول محمود مثلاً في كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) :

(ومع إن أسلوب الحكم الدكتاتوري أسلوبٌ سعي، من حيث هو، فإن أسوأ ما كان منه دكتاتورياً مسيطراً عليه الجيش)^١

كما كان محمود يعلم بأضرار الحكم الفردي وتحكم فرد في حياة الناس وحررياتهم، وقد عبر عن ذلك أكثر من مرة. فكتب مثلاً في كتاب (الرسالة الثانية من الإسلام) التالي:

(ومن هذا نأخذ أنه ليس هناك رجل هو من الكمال بحيث يؤتمن على حريات الآخرين. وأن ثمن الحرية الفردية هو دوام السهر الفردي عليها)^٢

^١ محمود محمد طه - مشكلة الشرق الأوسط - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=13&chapter_id=13d

^٢ محمود محمد طه - الرسالة الثانية من الإسلام - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=14&chapter_id=14d

كيف تفسر بعد هذا دعم محمود والجمهوريين للديكتاتوريات والديكتاتوريين؟! هذا ينبع من أن محمود يؤمن في نفس الوقت بمبدأ الوصاية على الناس، وأن الناس قاصرون بالطبيعة ويجب الأخذ بيدهم من قبل الأوصياء، حتى يبلغوا الرشد. هذا مبدأ ديني وديني عند محمود، انظر إليه يقول بعد العبارة الجميلة أعلاه مباشرة :

(ولما كان مجتمع المؤمنين قاصرا عن الارتفاع إلى ممارسة الحرية الفردية في الاختيار والعمل، فقد جعل النبي وصيا عليهم ليعدهم لتحمل مسؤولية الحرية الفردية المطلقة، وهو أثناء وصايته عليهم يصر على إعطائهم حق الخطأ، كلما وسعه ذلك، من غير أن يشق عليهم أو يعتتهم. فهو بذلك إنما يعدهم لممارسة الديمقراطية حين يقوى عودهم، ويستحصد عقولهم)^١

ومن هذه الوصاية الدينية ينتقل محمود للوصاية السياسية، حيث يكتب محمود والجمهوريون عن سبب اختيارهم للنظام الرئاسي في مشروع دستورهم للسودان أنه نظام وصاية، حيث يقول محمود :

(ثم اننا نعتبر النظام الرئاسي نظاما مرحليا يعد الشعب لممارسة النظام الأكثر ديمقراطية وهو النظام البرلماني الذي يكون توزيع السلطات فيه أكثر شمولاً مما هو في النظام الرئاسي فكان النظام الرئاسي عندنا نظام وصاية، ولكنه أقرب نظم الوصاية الى الديمقراطية، بل هو في الحقيقة ديمقراطي تماما)^٢

ويقول في نفس كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) الذي أشرنا إليه أعلاه التالي :

^١ المرجع السابق

^٢ محمود محمد طه - أسس دستور السودان - الخاتمة
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٢٢&chapter_id=٤d=

(والشعوب العربية، بين هؤلاء وأولئك، مفروضة عليها الوصاية، من قادة قصر، هم، في أنفسهم، بحاجة إلى أوصياء..)^١

الوصي الاخير / الرجل / المسيح المحمدي :

هذا كله أدى إلى فكرة بروز رجل كامل يكون وصياً على الدين والدنيا، على السودان والعالم، ليقود الكرة الأرضية كلها من الخرطوم ويرجع الناس من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الحروب إلى السلام، ومن الخوف إلى الامان، ويعطي للناس الحرية الفردية الكاملة، ويحقق العدالة الاجتماعية الشاملة الخ.

ان القارئ المتابع لكتب الجمهوريين يلاحظ فوق حديثهم عن الأصيل الواحد والإنسان الكامل والمسيح الثاني وصاحب المقام المحمدي الخ، اشارتهم لهذا الوصي الاخير (والتعبير من عندي لا من عندهم) الذي يسمونه مرات ب "الرجل".

هذا الرجل هو من تمت الإشارة إليه في اهداء كتاب محمد محمد طه الأهم، (الرسالة الثانية من الإسلام)، حين يكتب عنه محمود في أثناء مخاطبته للإنسانية :

(إلى الإنسانية! بشرى.. وتحية. بشرى بأن الله ادخر لها من كمال حياة الفكر، وحياة الشعور، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتحية

سابق

مرجع

١

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=1&chapter_id=12d=

للرجل وهو يمتنخض، اليوم، في أحشائها، وقد اشتد بها الطلق، وتنفس صبح الميلاذ.^١

هذا الرجل هو محمود نفسه، كما شرحنا في سلسلة (صورة محمود عن نفسه وصورة الجمهوريين عنه)، إذ هو نفس "الرجل" الذي بشر به الجمهوريون في زعمهم بعودة المسيح المحمدي في القرن العشرين في السودان ليحكم السودان والعالم بالرسالة الثانية، ولكي يسوق الناس تحت وصايته الدينية والسياسية حتى يبلغوا الرشد .

انظر الى وصفهم لهذا "الرجل" وتنظيرهم لماذا يحتاج العالم إليه، في كتاب (عودة المسيح)، حيث يكتبون التالي:

(البشرية تحتاج إلى رجل يقدم من نفسه، نموذجاً للكالات الإنسانية التي يشير، إلى حتميتها وإمكانيتها، رأس سهم التطور البشري منذ الأزل. وهي الكالات المتمثلة في كمال الحرية الداخلية من الخوف والجهل، وهما مصدر كل قائص الحياة البشرية.

البشرية محتاجة إلى رجل استطاع أن يتواءم مع البيئة البشرية، والطبيعية، والحضارية الجديدة، فيتحدث بلغة العصر، وهي السلام، ويملك المفتاح لحل معضلات المشاكل العالمية المستعصية، بالمنهاج العلمي.

البشرية تحتاج إلى رجل يقيم المدنية الجديدة التي تؤلف بين القيم الروحية ومظاهر الوجود المادي، بحيث تضع القيمة المادية في مكانها الطبيعي كوسيلة، فحسب، ولكنها لا غنى عنها، للقيمة الأخلاقية.. كما قال محمد: ((الدنيا مطية الآخرة)).. وكما قال المسيح: ((ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان)).

البشرية محتاجة لرجل يبرهن بكمال فكره، وكمال شعوره، على جدوى ممارسة المنهاج الديني، في العبادة، والمعاملة، وعلى مقدرة الدين التي لا تنفد على استيعاب تطور

^١ محمود محمد طه - الرسالة الثانية من الإسلام - الهداء -

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=1&chapter_id=10.d

الحياة مهما تشعب، فيقدم الدين في المستوى العلمي الذي ينفخ الروح في هيكل الحضارة المادية، ويوحد بين الأديان، فيجمع البشرية على دين واحد- وعلى فكرة واحدة. فينفتح، بذلك، دورة جديدة للحياة البشرية لم تشهدا البشرية من قبل. البشرية محتاجة إلى رجل يطبق قوانين العدالة الاجتماعية الشاملة، في الرسالة الثانية من الإسلام، والتي تعين كل فرد على تحقيق فرديته، ويبرز منهاج (الفردية) عند النبي محمد، بحيث يرتفق به كل فرد ليبلغ به فرديته الخاصة. البشرية تحتاج إلى الإنسان الكامل. المسيح. المختص، في هذا المستوى العلمي الرفيع^١

فإذا لم "يتجل" هذا الرجل لسبب أو لآخر، كانت الوصاية السياسية للديكتاتوريين والديكتاتوريات، شرط أن يسمحوا للجمهوريين بالعمل، وألا يسلكوا في ممارستهم السياسية مسالكاً تقف بصورة واضحة ضد أفكار الجمهوريين، وان يضربوا لهم أعداءهم، والا يتعدوا على صلاحيات "الرجل" الحالية والمستقبلية .

هذا النهج الذي سماه البعض بالانتهازية في السياسة^٢، وما نسميه نحن ب "الهوس الديني المقرون بالعمى السياسي"، هو ما سنتناوله بالتوثيق والاثبات في الحلقة القادمة من هذه السلسلة .

١٨ اغسطس ٢٠٢١م

١ الإخوان الجمهوريون - عودة المسيح - المقدمة -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٢&chapter_id=٢٠٧d=

٢ غسان علي عثمان - محمود محمد طه - العرفانية في الدين، الانتهازية في السياسة - مقال من جزئيين نشر في صحيفة الصحافة ومواقع الانترنت

من الدعم السلبي للدعم الإيجابي للدكتاتوريات

مقدمة:

تابعنا في المقالة السابقة الاسس النظرية لدعم الجمهوريين للدكتاتوريات والتعايش معها، ورأينا كيف دعموا أكبر انقلاب في المنطقة العربية وأفريقيا وهو انقلاب جمال عبد الناصر ومحمد نجيب، ودعوا قادته لممارسة الديكتاتورية، التي وصفوها بأنها أفضل الطرق للحكم في أول عهد الانقلابات، بل وصفوها أنها أفضل الطرق لحكم الشعوب المتأخرة .

ورأينا أيضا وأنه حتى بعد أن اتجه انقلاب ٢٣ يوليو شرقا وتحالف مع الشيوعية العالمية التي كانوا يرونها من أكبر الشرور، لم يكفوا عن وصفه بالثورة، ولم يطالبوا بعودة الحياة الدستورية المدنية، ولم يدافعوا عن الديمقراطية الليبرالية المذبوحة تحت اقدام الجنرالات. اليوم نتناول مواقف الجمهوريين في السودان، ودعمهم السلبي والإيجابي للدكتاتوريات والديكتاتوريين .

الجمهوريون بعد الاستقلال والموقف من نظام عبود :

تأسس الحزب الجمهوري كما علمنا في عام ١٩٤٥، وعمل بنشاط في سنواته الاولى ثم توقف نشاطه او كاد عند اعتكاف محمود لسنتين، ليعاود النشاط في عام ١٩٥٢، وليشارك برأيه بعدها في كل الأحداث السياسية المحلية والإقليمية والدولية .

إلا أنه من الغريب أن الحزب الجمهوري لم يخض اي انتخابات في تلك الفترة، حيث كانت هناك انتخابات ١٩٥٣ التي أنتجت اول جمعية

تأسيسية أعلن من داخلها البرلمان. ولقد كان من الراجح أن يفوز محمود على الأقل بدائرة واحدة في تلك الانتخابات. وقد يقول الجمهوريون أن تلك انتخابات تمت بوجود المستعمر. لكن محمود والجمهوريون قاطعوا أيضا انتخابات ١٩٥٨، فما هو السبب يا تري؟! السبب الأول في تقديرنا هو احتقار محمود والجمهوريين للعملية الديمقراطية برمتها، واعتبارهم الشعب السوداني شعبا متأخرا غير قادرا على الاختيار وبالتالي غير مؤهلا للديمقراطية والانتخاب، ولا ننسى قول محمود في رسالته لمحمد نجيب في ذات تلك الفترة، أن الدكتاتورية هي أفضل أنظمة الحكم للشعوب المتأخرة.

أما السبب الثاني فينتج من ان الجمهوريين منذ عام ١٩٥٢ قد حولوا حزبهم من حزب سياسي إلى جماعة دينية، وأن محمودا منذ ذلك الوقت كان يظن نفسه المسيح المحمدي، وأن ما يطرحه من افكار انما هو من علم لدي ومن فهم اتاه الله له عن القرآن، وأن فكرتهم هي الإسلام نفسه وهي الدين نفسه، فهل يتورط انسان كهذا في دخول انتخابات مع بقية السياسيين الذين لا فهم لهم من القرآن ولم يؤذن لهم بالكلام؟! هل ينافس المسيح المحمدي في الانتخابات؟! حاشاه وكلا. هذا هو السبب الذي جعل الحزب الجمهوري يقبل بقرار نظام عبود بحل كافة الأحزاب السياسية، بما فيها الحزب الجمهوري. بل لقد اعتقدوا أن الانقلاب أنقذ البلاد، دون أن يعرفوا أن أخطاء الديمقراطية تعالج بالمزيد من الديمقراطية. هذا هو السبب في أن الجمهوريين لم يخرجوا ببيان واحد لإدانة عبود أو انقلابه، ولم يشاركوا في حركة المعارضة له طوال ٦ سنوات، وأن كان نشاطهم الدعوي لم يتوقف في الندوات اولا ثم في البيوت بعد عام ١٩٦٠، وخلال ستة سنوات أصدروا كتابا واحدا هو كتاب فكري ليس فيه شيء من السياسة باسم (الإسلام)، وقد صدر في طبعته الاولى باسم محمود محمد طه وليس تحت اسم الحزب الجمهوري.

ومن المثير ان الجمهوريين قد كتبوا أيضا لعبود يدعونه لتطبيق أفكارهم. فقد أرسلوا له رسالة مرفقة بكتاب محمود (أسس دستور السودان). ولا توجد هذه الرسالة اليوم في موقع الفكرة الجمهورية، ولكن الأستاذ عبد الله عثمان يوثقها فيكتب:

(وعندما فشلت الأحزاب بالصورة التي أدت الي قيام الحكم العسكري في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨، كتب الجمهوريون للسيد الفريق ابراهيم عبود، رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ورئيس الوزراء آنذاك، يقترحون عليه بعض الاجراءات الاصلاحية، يهمننا منها هنا ما يتعلق بمشكلة الجنوب.. فهم في هذا الصدد قد أرسلوا اليه مع خطابهم الذي اقترحوا فيه الاصلاحات كتاب (أسس دستور السودان)، ودعوه للأخذ بالنظام اللامركزي، بالصورة المبينة فيه.. وكان مما جاء في الخطاب للسيد عبود: (ونزي أن تشرع في نظام اللامركزية علي الطريقة التي اقترحناها).^١ يكتب الجمهوريون في توثيق تلك الفترة في كتاب (معالم في طريق تطور الفكرة الجمهورية) الجزء الثاني التالي :

(في هذه الأحوال وفي يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م وقع انقلاب الجيش برئاسة الفريق عبود فكان جرعة مرة في الحلق ولكنها مرارة لا بد من تجربتها فقد أقيمت الإطراب البلاد من ضياع استقلالها وذهاب كيانها إلى أمد لا يعلمه إلا الله)^٢

١ عبد الله عثمان - محمود محمد طه - عم يتساءلون ؟ -
<https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/1282284&msg=9bb.cgi?seq=msg&board=2>
٤٣&rn=٤٦

٢ الإخوان الجمهوريون - معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=&chapter_id=٩٤d

كما يسترعي انتباهنا منشور أصدره الجمهوريون في نوفمبر ١٩٦٤، اي بعد ثورة أكتوبر، يبررون فيه لحكم العسكر بزعم قصور الشعب هذه المرة حين قالوا :

(لأن الحكم العسكري سيء، من حيث هو عسكري، ولا يجد له ما يبرره على الإطلاق إلا أمراً واحداً هو قصور الشعب الذي يخضع له، وعجزه عن حكم نفسه بأساليب الكرامة والشرف.

ولقد تعرضنا لهذا العجز المهين في ساعة من ساعات تاريخنا القصير في ممارسة حكم أنفسنا، حتى استهدفت البلاد للنفوذ الخارجي حين باع نوابنا أنفسهم لمن يدفع أكثر، وأصبحت حكومتنا الدستورية معرضة للسقوط غداة فتح البرلمان)

والشاهد أن الشعب السوداني لم يكن في يوم من الايام قاصراً، فقد ناضل السودانيون ضد المستعمر في ظل ظروف صعبة، وفي ١٩٥٣ صوتوا لافضل المسيئين من الأحزاب وأسقطوا الطائفيين، وفي ١٩٥٩ تجمع الغضب الشعبي ضد ممارسات الحكومة وكان يفترض اسقاطها من البرلمان وتكون حلف سياسي جديد يعقب انهيار حكومة السيدين، لولا انقلاب عبود الذي برر له الجمهوريون. كما أن الشعب السوداني قد أنجز ثلاث انتفاضات سلمية شعبية بعد الاستقلال مناديا بالحرية والسلام والعدالة في كل مرة، فهل هذا شعب قاصر؟!

الجمهوريون وفترة ما بعد اكتوبر :

لم يكن للجمهوريين اي اسهام في ثورة أكتوبر، والتي وصفوها بالعاطفية وقالوا إنه كان ينقصها الجانب الفكري (ومن صاحب الجانب الفكري غير الجمهوريين في نظر الجمهوريين؟!) ولكنهم مع ذلك عادوا للنشاط العلني باسم الحزب الجمهوري بعدها، وفتحوا عدة دور للحزب، وقاموا بإصدار الكتب وتنظيم الندوات الخ .

لكن مرة أخرى لم يشارك الجمهوريون في الانتخابات التي تمت في عامي ١٩٦٥ و١٩٦٨، الأمر الذي أدى لإضعاف الفترة الديمقراطية الناشئة والمليئة بالتحديات والمشاكل، والشيء الذي يثبت موقفهم التخريبي تجاه مؤسسات الديمقراطية الليبرالية .

ولم يتورع الجمهوريون عن التشجيع بالتجربة الديمقراطية بعد أكتوبر، مع غيرهم من الأحزاب المعادية للديمقراطية من اليمين واليسار. ورغم أن الأحزاب الطائفية بطبيعتها نفسها مناقضة للديمقراطية الليبرالية بما تقوم عليه من اسقاط لاستقلالية الفرد، ورغم أن الحزب الشيوعي كان يهاجم الديمقراطية الليبرالية ويتآمر عليها بزعم أنها ديمقراطية برجوازية، إلا أن كل هذه الأحزاب كانت فيها اجنحة وشخصيات ديمقراطية بهذا الحد او ذاك، وكانت تشارك في الانتخابات على علاقتها، عكس الجمهوريون الذين ساهموا كما القوى الانقلابية في تشويه سمعة الديمقراطية الثانية، ومن ثم التمهيد للعسكر للانقضاض عليها .

كان التبدير الهم عند الجمهوريين لدعم الحكم العسكري هو فساد الأحزاب، حيث يكتب الجمهوريون في البيان المشار إليه اعلاه :

(ما ينبغي أن نذهل في نشوة الظفر بإسقاط الحكم العسكري عن حقيقة هامة وهي أن هذا الحكم جاء في ساعة رهيبة كان فيها بمثابة إقناذ للبلاد من النفوذ الخارجي الذي مكن له فشل قادة الأحزاب. إننا إن ذهلنا عن هذه الحقيقة نكون حريين أن نتورط في نفس الخطأ الذي جعل الحكم العسكري على سؤنه بمثابة إقناذ للبلاد)

ان فساد الأحزاب وفشل قادتها لا يحل بالحكم العسكري والانقلابات، وانما بتطوير الأحزاب وتكوين أحزاب جديدة وانتشارها وسط الشعب وكسب ثقته وخوضها الانتخابات. إلا أن الجمهوريين كانوا قانطون من الشعب، حالمون بالديكتاتور المصلح القادم. ذلك أن التغيير عندهم مرتبط بفرد وليس بوعي وإرادة الشعوب .

في هذا الصدد قال الجمهوريون في بيان بتاريخ ١/١ / ١٩٦٧ في الدعوة لمجئ الديكتاتور الجديد أو "الرجل الموعود التالي :
(ألم يأن لهذه البلاد أن يقوم فيها بأمر الله قائم، يحلم أحلامها، ويحس إحساسها، ويجيا مشاكلها، ثم هو قادر أن يثير في شعبها النبيل خصائصه الكوامن التي تجعله يسير إلى مشارق النور ومشارف الحضارة؟ بل فإن ليل التضليل والمضللين قد طال، وقد آذن بزوال "إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب؟) .

مايو ودعم الديكتاتورية الإيجابي :

في مثل هذه الظروف والدعوات برزت ديكتاتورية مايو وحلت كل الأحزاب وخضع الجمهوريون للحظر ولم يخرجوا بياناً واحداً ضدها، رغم أنها في سنتيها الأوليتين كانت متحالفة مع الشيوعية المحلية والدولية، باكثر مما كان عليه نظام عبد الناصر عندما انتقدوه .

إلا أن هذا التأييد السلبي قد تحول إلى تأييد إيجابي بعد ضرب مايو لخصوم الجمهوريين من أحزاب طائفية وإخوان مسلمين وشيوعيين. وقد أصدر الجمهوريون في وقتها كتاباً بعنوان (لماذا نؤيد ثورة مايو؟) قاموا لاحقاً -ضمن منهج التزوير للتاريخ - باخفائه وعدم نشره في موقع الفكرة الجمهورية . كما أصدروا كتاباً لم نطلع عليه باسم (ما هو البديل عن مايو ؟!) وهو من شاكلة تنفير الناس من التغيير بسؤال: البديل منو؟! وايضا لا يوجد هذا الكتاب في موقع الفكرة اليوم .

مع ذلك يمكن أن تجد توثيق ذلك الموقف المؤيد لمايو في كتب وبيانات أخرى، حيث يمكن أن تقرأ مثل هذه الدرر في كتاب (هذا هو الصادق المهدي) المكتوب في ابريل ١٩٨٢، اي قبل ثلاثة أعوام فقط من سقوط النميري ونظام مايو :

(ربما كان الصادق يقصد بحديثه عن مهادنة، ومخادعة، الحكام في الدول الإسلامية، تأييدنا لثورة مايو. فنحن قد ظللنا نؤيد ثورة مايو منذ قيامها تأييدا مبدئيا، وندعوا الشعب لتأييدها) ^١

وتجد أيضا في نفس الكتاب عن الصادق المهدي التالي:

(اننا في تأييدنا لثورة مايو ننطلق من موقف مبدئي ثابت لا تملية رغبة في كسب سياسي، ولا تحركة نزعة للاحتواء والوصاية. ونحن قد بينا اسباب تأييدنا لثورة مايو في كتابنا (لماذا نؤيد سلطة مايو)، وأللك نحن لا نحتاج ان نفضل في هذا الامر هنا. ويمكن ان نلخص هنا اسباب تأييدنا لثورة مايو في النقاط التالية:

١- لقد اوقف نظام ثورة مايو المد الطائفي الذي كاد ان يعزز سلطته الدينية بالسلطة الزمنية الشاملة، وقد قطعت مايو الطريق الى السلطة امام الطائفية، واجمضت كل محاولات استعادة مراكز نفوذها القديمة، وهي الآن تقف سدا امام الطائفية، وهذا بالذات ما يجعل السيد الصادق يحتد علينا وعلى مايو معا.

٢- قامت مايو بحل مشكلة الجنوب فاوقفت بذلك سفك الدماء بين الاشقاء.

٣- اتجهت مايو الى اللامركزية والى تسلم السلطة للشعب.

٤- اتجهت مايو الى التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية.

٥- وقفت مايو ضد الخطر الشيوعي الذي يهدد البلاد.

٦- اتخذت مايو سياسة خارجية واعية، خصوصا بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط، ووقوفها الى جانب المرحوم السيد انور السادات الذي قاطعته جميع الدول العربية ماعدا السودان وعمان والصومال) ^٢

وتجد في كتيب (الإخوان الجمهوريون في جريدة الايام السودانية) التالي :

^١ الإخوان الجمهوريون - هذا هو الصادق المهدي-

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=12&chapter_id=٢٠٤

^٢ المرجع السابق

(أما موقف الإخوان الجمهوريين، من ثورة مايو فهو موقف مبدئي ومعلن، ومثبت، ضمنوه عدداً من كتبهم، وحملوه إلى سائر المناسبات. إنه موقف التأييد والدعم الإيجابي).^١

وكذلك تجد في نفس الكتيب التالي :

(وانطلاقاً من هذا الأساس المبدئي وقف الإخوان الجمهوريون مواقف إيجابية مشهودة في مساندة هنا النظام، في أحلك الظروف، كما قد حدث إبان مؤامرة شعبان، وإبان مؤامرة سبتمبر، وإبان الغزو الطائفي الليبي)^٢

إن أسباب دعم الجمهوريين ل مايو تنطق بالسذاجة السياسية ان لم تكن تنطلق من الانتهازية البحتة. فالديكتاتوريات العسكرية لا تقضي على الطائفية، ولا تقوم بتنمية، كما أن الشيوعية وأمثالها من الأفكار الشمولية لا تهزم بالقتل والقهر، وانما بالديمقراطية والفكر.

ان الايام قد أثبتت أن الطائفية عادت بعد مايو اقوى مما كانت عليه قبلها، كما أن الحرب في الجنوب اندلعت مرة أخرى من بعد بصورة أشرس وامتدت لجمال النوبة، ولم تسلم مايو السلطة لأي شعب وانما كانت حكرا لرجل ديكتاتور ارعن مهووس بالسلطة، كما أن علاقاتنا الخارجية كانت قائمة على الانحياز للمعسكر الشرقي وحلفائه في بداية مايو ثم للمعسكر الغربي وحلفائه بعد ١٩٧٢، ولم تكن سياسة خارجية واعية أو مستقلة ابدا.

^١ الإخوان الجمهوريون في جريدة الأيام السودانية - https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=107&chapter_id=107

^٢ المرجع السابق

الصدام مع مايو والموقف من نظام الإنقاذ:

في عام ١٩٨٣ أعلن النميري تطبيق ما أسماه بقوانين الشريعة الإسلامية، كآخر محاولة لتأمين سلطته المتداعية، كما مكن للإخوان المسلمين منذ عام ١٩٧٧، اي عام ما يسمى بالمصالحة الوطنية.

وقف الجمهوريون ضد تلك القوانين باعتبار أنها تمثل عندهم إسلام القرن السابع والرسالة الاولى من الإسلام، وما كان لهم أن يقبلوا بهذا الأمر وهم يبشرون الناس بقرب نزول المسيح المحمدي الذي اظننا ظله والذي سيحكم بالرسالة الثانية، في القرن العشرين الذي تهيأ لها وله، فجاءتهم قوانين سبتمبر بالنقيض تماما .

وقف محمود محمد طه ضد تلك القوانين دون أن يقف ضد مايو كنظام وضد النميري شخصيا، وكان الجمهوريون يزعمون أن السبب في تلك القوانين وفي انحراف مايو هو الهوس الديني الذي تسلل للسلطة! وبما أن نميري لم يكن يقبل اي معارضة، وبما أن محمود كان الحلقة الضعيفة وكان الجمهوريون معروفون بالسلبية والجبن وأنهم بدون محمود لا يسوون شيئا، فقد أعدم نميري محمودا، وسار محمود بشجاعة إلى الموت في خطوة أشبه بالانتحار، وهو يرى كل مشروعه ينقلب إلى النقيض، كما أوصى تلاميذه بفداء الشعب .

لم يرفض الجمهوريون فداء الشعب فحسب، وانما تراجعوا بشكل مخزٍ وذليل عن أفكارهم وعن زعيمهم، وشتموه في جلسات الاستتابة على رؤوس الشهداء، ووقع المئات منهم تعهدا بالتخلي عن افكار محمود وعدم معارضة السلطة، ثم ما لبث الرجل الثاني فيهم أن حل التنظيم ورجع إلى مدني يجرجر أذيال الاستسلام والخيبة .

انتصر الشعب - من دون الجمهوريين - مرة أخرى في ابريل ١٩٨٥، وانشغل الجمهوريون بعد الانتفاضة فقط بقضية محمود، وحين جاءت الانقاذ لم يكن الجمهوريون من المعارضين الأشداء لها، رغم أنهم في

أغليبيتهم لم يؤيدوها. ورغم الموقف المعارض لبعضهم تجاه نظام الإنقاذ إلا أن أغليبيتهم قد سكتت عنه أو هاجرت من البلاد، بل لقد انضم شاعرهم وكاتبهم ومنشدهم الكبير - **عوض الكريم موسى** - للإنقاذ في فترة من الفترات.

يقول عوض الكريم موسى في تبرير دعمه للإنقاذ انه انطلق من منهج محمود محمد طه في دعم الديكتاتوريات، ويقول انه هو من كتب كتب **(لماذا نؤيد ثورة مايو) و(ما هو البديل عن مايو)** تحت اشراف ومراجعة وتصحيح محمود لها. وانطلق من ذلك لدعم الإنقاذ. يقول الرجل:

(أنا أيدت الأثاذ اجتهاداً مني في انو الأستاذ كان بيأيد الأنظمة رغم انها ديكتاتورية لكن أحسن من الطائفية. ويعتقد انو مايو وقفت حاجز بين الشعب والطائفية. الطائفية هنا وتوابعها من المتحالفين معاها. أنا رأيت انو الإثاذ وقفت بين الشعب والطائفية على مدى ٢٥ سنة. ويعتقد انو الطائفية الآن اسوأ من الطائفية أيام مايو.)^١

لا مبدئية الجمهوريين وموقفهم اليوم:

إن أسباب وقوف الجمهوريين ضد مايو في ١٩٨٣ وضد الإنقاذ لم تكن مبدئية على الاطلاق، ولم تكن بسبب إيمانهم بالديمقراطية وحقوق الشعوب، وانما فقط لأن هذه الأنظمة كانت تشكل النقيض العقائدي لأفكارهم وثبتت لهم أن دولتهم لم تأت .

١ عوض الكريم موسى في نادى الاعترافات مع عادل سيد احمد- من الدقيقة ٤٨,٣٧ وحتى الدقيقة ٥٠,٤١ -
[olbUhttps://www.youtube.com/watch?v=BHhAGk](https://www.youtube.com/watch?v=BHhAGk)

الشاهد الآن أن جناحاً من الحزب الجمهوري يشكل أحد أركان النظام التسلسلي الراهن لبرهان وحميدي، أي نظام الإنقاذ الثاني، ولهم ممثلون في شراكة الدم على مستوى مجلس الشركاء وعلى مستوى الوزراء والسفراء، ناهيك عن تسلطهم لفترة على المناهج ومحاولتهم تغييرها بشكل عقائدي لمصلحة فكرهم، وتعيين العديد منهم في مؤسسات الدولة دون فتح الفرص للآخرين، وفي محسوبية ومحاصصات واضحة .

أن الجمهوريين اليوم لا يتحدثون اطلاقاً عن حقوق الناس وحررياتهم المغتصبة تحت حكم الطغمة التسلسلية الحاكمة، طالما هي تسير في اتجاه قريب من أفكارهم، كما أنهم مستعدون لبيع السيادة الوطنية في انحيازهم الاحمق لإثيوبيا المحتلة لاراضيها - كما مصر تماماً - والتي تهددنا بسدها الكارثة .

كما من الواضح أن أغلب الجمهوريين اليوم يدعمون ممارسات السلطة القائمة غير الشرعية وغير الديمقراطية وتغييبها حتى لما أقرته بنفسها من مؤسسات، مثل المحكمة الدستورية والمجلس التشريعي الخ، ولم اجد جمهوريا واحدا يطالب بالانتخابات كاستحقاق ديمقراطي لشعب السودان. بل لقد رشحت معلومات عن تجنيد أعضاء في الحزب الجمهوري (يدا بيد مع البعثيين) لشباب بسيط متحمس فيما يسمى ب"كتائب حنين"، وتحريضهم ودفعهم لهم لضرب المتظاهرين وسحلهم واعتقالهم في ٣٠ يونيو المنصرم. فتأمل.

٢١ اغسطس ٢٠٢١م

الفصل الخامس
الجمهوريون والموقف الرجعي تجاه المرأة

الطائفة الجمهورية والخطاب المعادي للمرأة- قضية الزي

مقدمة:

يظن الكثيرون ان الطائفة الجمهورية قد انصفت المرأة السودانية، وفي الحقيقة فإن الجمهوريين يطرحون نفس الطرح التقليدي تجاه المرأة، والقائم على مفاهيم العفة، والوصاية، والتمييز في الحقوق والواجبات، بل يذهب الأمر أكثر ليتجذر في جذر فلسفي تختص به الطائفة الجمهورية، يجعل من انصاف المرأة ومساواتها بأخيها الرجل من المحال، وهي قصة الانسان الكامل ومفهوم الأصالة.

محدودية محمود:

وتنطلق افكار الجمهوريين عن المرأة من أفكار محمود محمد طه، وهو رجل سوداني محدود بحدود تجربته وزمنه وواقعه ومعارفه وتحيزاته، ومن تحيزاته تلك دفاعه الشرس عن تطبيق الحدود، رغم مخالفة ذلك لكل منهجه في تقسيم القرآن لمكي ومدني والإسلام لرسالة اولى وثانية، فأيات الحدود كلها مدنية ووفقاً لمنهج محمود هي من آيات الفروع ولا يجب التمسك بها أبدا .

كما تظهر تحيزات محمود في تعامله مع المرأة وقضاياها، فرغم الاعلانات الشكلية عن مساواة المرأة والرجل، ورغباً عن الحديث عن الزواج الفردي وان تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، ورغماً عن المحاولة في تطوير قانون الأحوال الشخصية، إلا انه عندما ندخل في التفاصيل نجد

إن محمود يعترف من نفس إناء الفقه التقليدي ويرجع للفكر الذكوري والبطرياركي المعشعش في المجتمع والذي تأثر به حتماً .
وأول ما تظهر فيه هذه النظريات التقليدية هو مفهوم العفة، ومفهوم الغيرة على المرأة، فمحمود ما ينفك يطرح هذين الثيمتين. انظر لبيانهم في يوم المرأة العالمي في عام ١٩٧٥ يقول:

(أعلمن أننا ضد قهر الرجال للنساء، ولكننا مع الغيرة الحكيمة من الرجال على النساء، فإن القهر دليل الخوف، وسوء الظن، والاستغلال.. أما الغيرة الحكيمة فإنها دليل الحرص على مكارم الأخلاق، والرغبة في الصون، والعفاف، فإن العفة لا تتجى بالزجر، والسدود، والقيود، وإنما بأن يعف الرجال أنفسهم؛ (عفوا تعف نساؤكم))^١.

والسؤال هو هل الجمهوريون أيضاً مع الغيرة الحكيمة من النساء على الرجال أيضاً، أم إن هذه الغيرة الحكيمة هي حكر للرجال دون النساء؟ وهل هدف عفة الرجال أن تعف نساؤهم (عفوا تعف نساؤكم)، أم ان العفة للرجل أمر مطلوب في ذاته، غض النظر عن كون له نساء أم لا؟

قضية الزي كمعيار لعقل المرأة وخلقها :

وتمتد هذه الغيرة الحكيمة لتتحكم في زي المرأة، تماماً مثل السلفيين، حتى جعل الجمهوريون من الجمهوريات نسخة متطابقة من بعضهن في الشكل، ولو ظفر الجمهوريون بالسلطة لفرضوا زيهم على نساء السودان. والصورة المرفقة توضح ذلك تماماً .

الشاهد في ذلك انهم اي الجمهوريون أخرجوا كتيباً كاملاً يوضح كيف يجب ان تلبس المرأة، وكأن المرأة السودانية (أو المرأة عموماً) لا تملك عقلاً لتختار زيها. وفي هذا الكتيب ذو العنوان السلفي الغريب (الزّي

^١ الإخوان الجمهوريون: المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمي - ١-١-١٩٧٥

عنوان عقل المرأة وخلقها يضعون شروطا ستة، تتعلق بالفستان وطوله، والتوب ولونه (الشرط أن يكون أبيض)، وتحاشي استعمال الكعب العالي، وتصفيف الشعر تقليديا، وعدم استعمال العطور (الصارخة) عند الخروج للشارع.^١ هذا ما كان عليه حال حاجة آمنة زوجة محمود محمد طه غالباً وهذا ما اراد قسر نساء السودان عليه .

ولا يغرن أحداً أن هذا الزي أو اليونيفورم المحدد للمرأة، قد قيل ان غرضه (ليس قهر النساء، او صبهن في قالب زي مؤحد) حيث ان الواقع ان الجمهوريات - كلهن - قد التزمن به ولا زلن حتى اليوم بعد ٣٦ عام من وفاة محمود. والسؤال هو: إذا كان الزي عنوان عقل المرأة وخلقها، فما هو عنوان عقل الرجل وخلقها؟ ولماذا لم يحدد الجمهوريون زياً للرجل، ويعتبرونه عنوان عقل الرجل وخلقها، لولا التحيز والذكورية والابوية؟

إن الاهتمام بالزي ومحاولة فرض زي موحد على كل الناس بمختلف اعمارهم وثقافتهم وميولهم، انما هو نهج شمولي، وهو أحد ادوات السيطرة الإجتماعية والهندسة الإجتماعية، حيث يبدأ الأمر باجبار (أو إقناع) الناس بلبس زي واحد، لتتقل الامر لاقناعهم بالعقيدة الواحدة والحزب الواحد والقائد الواحد. او ربما يكون الامر عكسيا حيث بعد السيطرة الحزبية او الأيدلوجية يقوم الحزب أو القائد بفرض نموذج زيه. كما إن السيطرة على المرأة وتهميشها تبدأ بإختصارها في شكلها وزيتها، واعتبار ان زيتها هو عنوان عقلها وخلقها، ومحاولة التحكم بها في هذا الإطار بالتحكم بزيتها. ها هنا لا يختلف الجمهوريون عن السلفيين والإخوان المسلمين الذين يفرضون نقابهم وحجابهم على النساء، أو

^١ الإخوان الجمهوريون - الزي عنوان عقل المرأة وخلقها - فقرة ماذا نريد ؟
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٨&chapter_id=٣٧d=

وعن نموذج ماو تسي تونغ وكيم اير سين الذين فرضوا ازياء محددة واحدة على النساء والرجال، لا يحدون عنه قيد أنملة .
وفي ظروف التعدد الثقافي والاثنى في السودان، حيث لكل شعب ثقافته المختلفة وازياؤه المختلفة، بما فيها ازياء النساء، وحيث يجب ان نحتفي بهذا التعدد ونغنيه، يكون فرض زي واحد يعبر عن الثقافة الشمالية النيلية حصرا (التوب الأبيض) هو ذهول عن واقع التعدد الثقافي في البلاد في أحسن الفروض، ومحاولة للقهر الثقافي وتذويب الثقافات في اسوأ الفروض.

١٤ يوليو ٢٠٢١

قضية الزواج والأحوال الشخصية

مقدمة:

يظن العديدون إن الجمهوريين متقدمين فيما يتعلق بزواج المرأة والأحوال الشخصية لها وانهم ساوا تماما بين المرأة وأخيها الرجل في الحقوق والواجبات، وساوا بينهم في الدستور والقانون. والحق ان الجمهوريين لم يبتعدوا كثيرا عن الخطاب السلفي والفهم السلفي للزواج وحقوق الرجل والمرأة وانما نمقوه .

ولاية المرأة على نفسها:

مثلا في موضوع ولاية المرأة على نفسها في الزواج. يقر الجمهوريون هذا الحق. لكنهم لا يجعلونه حقا مطلقا للانسان الراشد رجلا كان ام امرأة، بل يقيّدونه في حالة المرأة. أنظر للنص التالي من كتاب (المرأة في أصول القرآن) حيث يتحدث عن تعديل قوانين الاحوال الشخصية وفقا لايات الأصول:

(أول التعديل يدخل على الولاية، المرأة بتصبح ولية أمر نفسها، تختار زوجها، وتباشر عقدها، ولا تصادر ولايتها على نفسها الا إذا أساءت التصرف في الاختيار ... بصورة تضررت منها اسرتها لأن للأسرة حق الرضا بالزوج من ناحية الدين

والنسب البليحق بالدين فقط.. فاذا اساءت الاختيار، تقيد حريتها لانها على حرية غيرها^١

السؤال هو: هل تصدر ولاية المرأة فقط عندما تسيء التصرف، أم تصدر ولاية الرجل أيضا إذا اساء التصرف، وإذا كان الرجل مشمولاً بهذه المصادرة، اين قال الجمهوريون ذلك؟ ام في ظنهم ان المرأة وحدها هي التي تسيء التصرف؟ وهل من وقائع العملية ومن التاريخ البشري نجد ان النساء أفضل تصرفا فيما يتعلق بالمحافظة على الاسرة، ام هن الاسوأ تصرفا؟؟ ثم ماذا تعني اساءة التصرف؟ هل مخالفة المرأة للذي الجمهوري مثلا هي اساءة تصرف؟ ومن الذي يحدد اساءة التصرف للمرأة؟ هل هو نفس هذا الفكر الابوي الذكوري وممثليه؟

قضية تعدد الزوجات:

أما في موضوع تعدد الزوجات فالجمهوريون ايضا يتراجعون هنا حتى عن اصداقائهم البهائيين، الذين منعوا التعدد بشكل كلي. ورغم ان محمود والجمهوريون يزعمون ان الاصل في الإسلام ليس التعدد، وان العدل ان يكون هناك زوج واحد لأمرأة واحدة، الا ان ذكورتهم تغلب عليهم، فيجعلون استثناء للرجل ورخصة، يهدمون بها كل ما يقولون عن فردية الزواج .

يقول الجمهوريون في نفس الكتيب المشار اليه اعلاه:

(الزوجة الواحدة هي الأصل، والتعدد ما يكون الا في الضرورات القصوى، كان تكون المرأة مريضة مرض ما يستطيع معاهو ان تقوم بواجبات الزوجية او ان تكون

١ الإخوان الجمهوريون - المرأة في أصول القرآن - الطبعة الأولى - أغسطس ١٩٧٥ -
https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٦&chapter_id=٥٧د=

عقم، ومع ذلك ما يتم زواج زوجة جديدة عليها من غير استشارتها، ومن غير تدخل حكمين مقررين للأسرة).^١

لاحظ صيغة الخطاب ان (الزوجة الواحدة هي الاصل) - هذا خطاب موجه للرجل وهو يرى ان الزواج هو مؤسسة للرجل، فلم يقل النص ان الزوج الواحد والزوجة الواحدة هو الاصل، مما يوضح كيف يشتغل العقل اللاواعي. ثم يذهب الامر أكثر ليبيح للرجل حصراً حق التعدد، في حالات الضرورة القصوى، وهي ان تكون الزوجة مريضة مرضاً لا تستطيع ان تقوم معه بواجبات الزوجية او ان تكون عقيماً، وهذا يطرح جملة من الاسئلة الصعبة .

أول هذه الأسئلة ذو طابع دستوري وقانوني، وهو ماذا لو كان الرجل عقيماً أو مريضاً مرضاً لا يستطيع القيام معه بواجبات الزوجية؟ هل يبيح الجمهوريون من باب المعاملة بالمثل والتساوى القانوني أو مبدأ (المعاوضة) للمرأة ان تتزوج بآخر، أم هذا الحق في التعدد (عند الضرورة) حق حصري للرجل؟ الجواب ظاهر ان هذا الحق للرجل فقط. اين اذن تذهب المساواة القانونية ومبدأ الزوج الواحد والزوجة الواحدة من هذه القسمة الضيزى والظلم البين؟

ثاني هذه الاسئلة يتعلق باخلاقيات هذا التصرف. فإذا كان الزواج في الإسلام (وفي الحياة عموماً) قائماً على مبدأ المودة والروحة والسكنى إلى الزوج/الزوجة، فما هي القيمة الاخلاقية لزواج يتخلى عن زوجته في لحظة مرضها وضعفها ليعدد عليها؟ ألا يعتبر هذا قتلاً معنوياً لها، أو أليس من الأكرم ان يقف معها ويعالجها ويعاضدها حتى تقوم من مرضها؟ نفس الشيء يقال في حالة العقم، اليس من الافضل (بالمنطق

-

السابق

المرجع

١

https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=٦&chapter_id=٥٧

الديني والاخلاقي) ان تعالج هذه المرأة او ان يصبر عليها زوجها ويحتسب امره لله عسى ان يجعل لهم مخرجاً ويزرقهم بولداً؟ ولماذا لا يشجع الجمهوريون التبنّي في هذه الحالة مثلاً؟

ثالث هذه الاسئلة ذو طبيعة عملية وهو من يحدد ان المرأة مريضة مرضاً يقعداها عن القيام ب (واجبات الزوجية). وما هي واجبات الزوجية هذه اصلاً؟ هل هي الخدمة المنزلية ام المعاشرة الجنسية؟ ومن وما الذي يحدد ان كان العقم مؤقتاً ام دائماً، قابلاً للعلاج ام لا؟ ألن يكون كل هذا سبباً لاجاد المعاذير للرجال ليدخلوا في التعدد من هذه الثغرة التي وفرها لهم الجمهوريون؟

الجمهوريون أبناء الفكر السلفي التقليدي:

الشاهد ان الجمهوريين هنا يقبلون بالفقه التقليدي ومنطقه العام، ان الزواج والجنس والخدمة حقوق للرجل، وان المرأة مجرد أداة في ذلك، فاذا عطبت او كانت غير صالحة وجب تغييرها وتبديلها باخرى. هنا لا يفيد محاولة نثر بعض السكر (مشاورتها وتدخّل حكّمين) على هذا السم الزعاف. ومعروف طبعاً ان أغلب الفقهاء الذكوريين المتخلفين أفتوا بعدم جواز الصرف على الزوجة إذا كانت مريضة ولا يمكن الاستمتاع بها، وأنه على الزوج ارجاعها لاهلها كي يعالجوها ويرجعوها متى ما اصبحت سليمة وصالحة للاستمتاع (قولهم النفقة في مقابل الاستمتاع). فضلاً عن اباحتهم للتعدد والطلاق الاعتبائي .

اخيراً وفي إطار نفس هذا الكتيب، نجد أن الجمهوريون لا يجعلون حقوق المرأة حقوقاً دستورية وقانونية ثابتة وغير قابلة للنقض بما هي انسان، تماماً مثل اخيها الرجل، وانما يربطوها بشروط مقطوعة من راسهم، عليها ان ترتقي لمستواها، وتحسن التصرف فيها (والا صودرت). من هذه الشروط العفة والعبادة واللبس وفقاً لافكارهم الخ حيث يقولون:

(اهودا باختصار وضع المرأة في آيات الاصول، ودي حقوق كبيرة بتطالب المرأة ان تهض في مستواها، بحسن التصرف في الحرية، بأن تكون صينة في نفسها ومحتشمة في مظهرها، وتقبل على العبادة بقلب مفتوح، وذهنٍ واعٍ، حتى تبلغ بذلك المراقي، ويتحقق موعود الله (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين.))¹

السؤال هو: أين موقع المرأة السودانية غير المسلمة أو غير المتدينة أو غير الجمهورية من تلك الحقوق، ولماذا لا تكون هذه الشروط لنيل الحقوق ملزمة ايضاً للرجل، واين من كل هذا وذاك ومن هذا الدجل والتخلف والخطاب الذكوري المعادي للمرأة، مساواة المرأة الحقيقية بالرجل أمام القانون وفي الحقوق والواجبات؟

١٤ يوليو ٢٠٢١ م

المرجع السابق

١ https://www.alfikra.org/chapter_view_a.php?book_id=v&chapter_id=o&d=

هل مكان المرأة هو البيت؟!

مقدمة :

قلنا فيما سبق من كتابات أن الطائفة الجمهورية تطرح خطاباً سلفياً محافظاً معادياً للمرأة، وأن التميز الوحيد في هذا الخطاب هو تغليفه في ورق سوليفان حدائي يُدّخ به أصحاب العقول الضعيفة من بعض متعلمي السودان ضيقي الأفق، حيث يظنون بذلك أنهم ربطوا الدين بالعلم ووصلوا أسباب الأرض بأسباب السماء .

وفسرنا هذا الخطاب المحافظ والمعادي للمرأة بأن منتجه الأساسي - محمود محمد طه - رجل سوداني تقليدي عاش في القرن العشرين، وهو محدود بحدود الزمان والمكان والثقافة التي تربي فيها وتشبع بها، وتحكمت كثيراً في عقله الواعي واللاواعي .

اليوم نطرح نموذجاً جديداً لهذا الخطاب الرجعي المعادي للمرأة السودانية وهو موقع المرأة في المجتمع والأسرة، والذي يقول محمود محمد طه والجمهوريون والجمهوريات من بعده أنه في البيت وأنه مكانها الطبيعي، وهو استمرار للمقولة التقليدية السودانية والمحافظة أن مكان المرأة هو الثُكل (المطبخ).

محل المرأة هو البيت عند الجمهوريين:

في واحدة من التسجيلات لمحمود محمد طه والتي لم أجد تفريغاً نصياً لها في موقع الفكرة الجمهورية ولا في مواقع الجمهوريين المختلفة بمواقع التواصل الاجتماعي، والتي تم تركيبها مع صور في فيديو مرفق، يقول محمود محمد طه التالي:

(لمن تقول إن المرأة محلها البيت ما تعني أنها ما تعمل، لكن اهم عمل تقوم به، هو أن تجعل بيتها جنة. اهم عمل أن تجعل بيتها لزوجها وأطفالها جنة. البيت شنو؟! مثلا شابة ما اتزوجت. تخرجت من الجامعة وما اتزوجت. ما عندها بيت لسا. فلتعمل. بعدين اتزوجت. ما انجبت. ما عندها بيت يستغرق نشاطا كلو. يمكن بعد ما ترجع أن تعني بشؤون زوجها وأن تجعل بيتها جنة. انجبت طفل أو طفلين. رأت أنها تستطيع أن توفق بين عمل بيتها وبين العمل كمدرسة أو طبيبة. تعمل برا وجوة. لغاية ما يكون عندها ستة سبعة مثلا. ظهر بينها وبين زوجها، أنو عملا في البيت لا يمكن التوفيق بينو وبين عملا في الخارج، أصبح أنو عملا يكون في البيت. دا معنى المرأة مكانا البيت. يعني إذا كان العمل في البيت يستغرق نشاطا وطاقتا ووقتها تربية أطفالها والعناية بيهم وتعليمهم والإشراف على أخلاقهم. دا أصبح المكان الأول ليا هي، على أن يكون البيت زي ما قالت عنو بتول و زي ما برضو قال عنو سعيد، أن يكون البيت مفهوم غير المفهوم النحنا بنتكلم عنو هسه. نحنا بنتكلم عنو أنو المرا مكانها البيت في المكان الأول في ذهننا أنها ما تسافر ما تمرق برة ما تتعلم. لا. لكن النحنا بنقولو أن البيت بيقتضي كل المناشط الممكن تفنق ذهنها وعقلها أو إدراكها. تتعلم أعلى التعليم وتكون حرة. مسؤولة عن نفسها وسافرة ومرفوعة الرأس. لانو دا كلو مما يوسع مداركها ويجعلها كريمة في البيت. دا النحنا بنقول عنو بتنشع اطفال كريمين وأطفال احرار. فإذا اعيد النظر في الموضوع بالصورة دي. يتقا ما في افتتات على حرية المرأة وانما في وظيفة بينها وبين زوجها. اذا كان المكان الاصيلي لي أنا، ان أكون في المصنع المكان الاصيلي ليا هي أن تكون في البيت. كل واحد مننا يملأ جانبه. بدون ما يكون في ذهني انا أنو عملي انا في المصنع اهم من عملا هي في البيت)¹

¹ نص حديث محمود محمد طه مفرغ من الفيديو المنشور على هذا الرابط

<https://youtu.be/sqs8I6GmNX8>

إن الناظر المتمعن لهذا النص لا بد أن يدرك أصله الرجعي رغم الاعلانات التقدمية. وها هنا في عجلة تناول بعض اشكاليات هذا النص الممتلئ تحيزاً ضد المرأة، والذي يثبت أن محموداً والجمهوريين هم أبناء بيئتهم المتخلفة، لا يدركون واقع النشاط والاجتماع البشري لا في تاريخه ولا في حاضره ولا في مستقبله.

الاعتراض الاول: عن دور المرأة في الأسرة والمجتمع :

واول هذه الاعتراضات ذات طبيعة جوهرية، تتعلق بما قلناه سابقاً أن الفكرة المؤسسة الاولى للزواج ودور المرأة عند محمود (كما عند كل السلفيين) هي أن المرأة أداة لخدمة الرجل ومتعته الجنسية والاستيلاء. وأن الزواج هو مؤسسة لخدمة الرجل واستيلاء اطفال له. هذه هي الفكرة الجوهرية التي ينطلق منها محمود. انظر إليه يقول حتى عندما يتحدث عن عملها لتحويل بيتها إلى جنة، أن هذه الجنة ليست لها أيضاً، بل هي لزوجها وأطفالها .(اهم عمل أن تجعل بيتها لزوجها وأطفالها جنة).

هذا النص وهذا الفهم هو استمرار للفهم السلفي التقليدي، أن مهمة المرأة هي الخدمة والاستيلاء، ولذلك أباح محمود محمد طه للرجل التعدد - مع رفضه للتعدد وقوله إنه ليس اصلاً في الإسلام - في حالة عقم المرأة. أما في حالة عقم الرجل فعلى المرأة أن تقبل الطلاق أو أن تقبل بالتعدد. وهذا كما قلنا سابقاً قسمة ضيزى وخيار وفقوس وتبني لمصالح الرجل فقط وانعكاس للفكرة المؤسسة عن الزواج ودور المرأة فيه في خطاب الجمهوريين .

كما أن هذا الطرح يوضح ذهول محمود محمد طه والجمهوريين (وجلهم من سكان السودان النيلي المدينيين) عن واقع أن عمل المرأة خارج البيت هو سمة كل المجتمعات الزراعية والرعية منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، أي أن مكانها الأصلي ليس في البيت كما يزعم محمود،

وانما هو موزع بين البيت والعمل خارجه. في مجتمعات الصيد الاولى كان الرجال يخرجون للصيد في حين كانت النساء مسؤولات عن الزراعة في الحقول القربية وعن رعي الحيوانات. والخلاصة أنه في أغلب المجتمعات الريفية تعمل النساء في الزراعة وفي جلب الوقود والماء الخ، كما تعمل الفتيات الصغيرات في الرعي كما إخوانهم الاولاد .

إن خروج بسيط من السودان النيلي لشرق السودان أو غربه أو جنوبه، كان كافيا لفتح بصر الجمهوريين وتنويرهم أن المرأة في المجتمعات التقليدية مشاركة أساسية في العمليات الإنتاجية خارج البيت وداخله، وأن لها دور كبير في الممارسات التي يحصرها محمود ويحتكرها للرجل، ويقول انها مكانه الطبيعي، في حين يرى أن مكان المرأة الطبيعي هو البيت .

لا غرابة إذن أن يستخدم محمود في حديثه أعلاه الأمثلة بالعمل في المصنع للرجل أو كمعلمة أو دكتورة للمرأة، وأن يضرب أمثلة لاحقة بالبحريين، ولا يأتي على ذكر الزراعة والرعي كنشاطات مهمة للنساء والفتيات في الريف والبادية، فهذه هي بيئته المدنية النيلية التي يعرفها وينطلق منها، وهي بيئة لا تعبر عن كل التعدد الاجتماعي السوداني، ناهيك عن كل التعدد البشري والإنساني

الاعتراض الثاني: مبادئ الشراكة وعلم الاجتماع الحديث :

ثاني الاعتراضات أيضا ذات طبيعة جوهرية وإنسانية، وهي أن مبدأ الشراكة الزوجية الإنسانية تستدعي أن يشارك الرجل زوجته في الأعمال المنزلية وفي رعاية الأطفال وتنشأهم وتعليمهم وتربيتهم الخ. إن الجمهوريين هنا ينطلقون من النظرة التقليدية والسلفية أن تنشأة الأطفال هي مهمة المرأة حصراً، وأن علمها لا يراد منه أن تعمل به وأن تطور به نفسها والمجتمع اقتصادياً واجتماعياً، وانما هو مجرد أداة

لمساعدتها في تنشأة الأطفال. إن غرض التعليم للمرأة حصراً هو أن (يوسع مداركا ويجعلا كريمة في البيت بتنشئ اطفال كريمين وأطفال احرار)

إن مناهج التربية الحديثة قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن مشاركة الأب الفعالة في تنشأة الأطفال وتربيتهم منذ أيامهم الأولى، تعالج كثيراً من المشاكل الاجتماعية وتخلق رابطاً قوياً بين الأبوين وأطفالهم، وتعالج كثيراً من التشوهات التي تجلبها تربية الوالد الواحد (single parent) رجلا كان أم امرأة، للأطفال .

وتدخل في هذه التربية المشتركة والتضامنية أيضا مساهمة الأب أو الرجل عموما في العمل المنزلي من طبخ ونظافة الخ، فهذا يعوّد الاولاد الذكور على احترام العمل المنزلي، ولا يلزم البنات فقط بالواجبات المنزلية فوق واجباتهن الأخرى الدراسية والشخصية الخ . فضلا لما في هذا الأمر من تخفيف الأعباء على المرأة وتطوير الرجل نفسه وترقيته الخ .

الإعترض الثالث: التكنولوجيا وقراءة الماضي والمستقبل :

أما ثالث الاعتراضات فهو ذو طبيعة متعلقة بالتكنولوجيا والقدرة على قراءة المستقبل. إذ لم يدرك محمود أنه حتى في تلك الفترة المبكرة فإن ادخال الآلات في العمل المنزلي ساهم بصورة كبيرة في تقليل أعباء ذلك العمل (على المرأة أو على الرجل)، وبذلك أسقط الحجة التقليدية لتفريغ المرأة لعمل البيت. فبدءا من الثلاجة والفریزر ومرورا بغسالة الملابس ثم غسالة الاواني وانتهاء بالمكانس الكهربائية والمكانس الآلية ذاتية الحركة، أصبح العمل المنزلي أقل ارهاقا واكل تكلفة زمنية، بما أعطى المرأة (أو الرجل أو كليهما) وقتاً أكثر لتمضيته في العمل غير المنزلي . كل ذلك كان عن الماضي. أما في الحاضر والمستقبل القريب فتقدم إمكانيات المكننة الكاملة للمنازل وتقنيات البيت الذكي والذكاء

الاصطناعي واتترنت الاشياء، فضلا عن إمكانية العمل عن بعد، إمكانيات أفضل للإنسان، رجلاً كان أو امرأة، للتحرر من إرهاب وطول العمل المنزلي، ليتفرغ للإبداع والعمل الخلاق داخل البيت وخارجه. لذلك لا يصح البيت يحتاج لكل المناشط التي يمكن أن تفتق ذهن وعقل وأدراك الانسان، مهما كان معنى ذلك .

ان هذا الجهل بتطورات المجتمعات الحديثة، والذهول عن واقع تطور التكنولوجيا، وعدم القدرة على رؤية التحولات المستقبلية، والانغلاق على البيئة الاجتماعية النيلية التقليدية السودانية، يوضح أن محمود محمد طه لم يكن نبيا أو رسولا أعطاه الله الفهم عن القرآن، وأذن له بالكلام، ناهيك عن أن يكون المسيح المحمدي أو الحقيقة المحمدية، كما يظنه أتباعه، وانما هو مجرد رجل سوداني عادي مقيد بحدود الزمان والمكان والثقافة والبيئة الاجتماعية، ككل رجل أو امرأة مثله .

المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية ام المجتمع الاقطاعي ؟:

وينتقد محمود محمد طه كل من المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية في حديثه اللاحق في تعاملها مع قضية اجر المرأة، ويفارق الحقيقة حين يقول إن المجتمعات الاشتراكية لا ترى عمل المرأة في البيت كعمل، وأن معنى أن من لا يعمل لا يأكل يعني عدم وجود غطاء اجتماعي للعجزة والمعاقين والأطفال والآباء المنفردين الخ . لكنه لا يدرك في كل ذلك أنه ينطلق من مفاهيم المجتمع الاقطاعي الذكوري وبنية الوعي التناسلي في كل افكاره، وأن نقده للمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية لا يساهم في التطور لما هو أفضل، وانما للرجوع للفكر الذكوري البطريركي الاقطاعي كما هو بائن .

كما لا يدرك محمود محمد طه أنه بتحيزه الذكوري يريد ويشرع لبعض النساء أن يستهلكن في العمل داخل البيت وخارجه (تشتغل برة وجوة)،

في خدمة تنازل الذكور، كما نرى في العديد من البيوت السودانية وغير السودانية ، حيث المرأة مرهقة بالعمل خارج البيت كالزوج ،بينما يقع عليها عبء العمل المنزلي حصرا .

إن محمود محمد طه لم ير بشائر المجتمعات الإنسانية الجديدة في تنظيرات دولة الرفاه ثم في تطبيقاتها، كما في محدودية اطلاعه - وهي محدودية مفهومة في ذلك الوقت والمكان - لم ينظر لتنظيرات ومجاهدات مفكرين وناشطين كثيرين ليبراليين واشتراكيين دعوا لاعتبار العمل المنزلي عملا كامل الأهمية ينبغي أن يكون مدفوع الاجر ، بل لقد ذهب بعضهم - منذ القرن السادس عشر - لضرورة منح دخل ثابت مضمون لجميع المواطنين غض النظر عن عملهم أو عدم عملهم، وكان منهم توماس مور وجوهانيس فيفيس وتوماس سبنس ، وقد يكون اكثرهم نضجا وتفصيلا للفكرة وعموم نظام عدالة اجتماعية شامل المفكر والمناضل التحرري الانجليزي توماس بين الذي طرح هذه الفكرة في كتابه (العدالة الزراعية) في عام ١٧٩٧^١.

المرأة كجهاز استيلاء والذهول عن التغيير الاجتماعي :

ويكاد حديث محمود محمد طه عن إنجاب المرأة لستة اطفال او سبعة ومن ثم إن تتفرغ للبيت أن يصيبنا بالضحك لولا أنه محزن. فالشاهد أنه حتى في أول السبعينات (وقت تسجيل هذا الحديث) كان العالم يعاني من الانفجار السكاني وكانت هناك جهود جادة لتحديد النسل وتعليم الناس مبادئ الصحة الانجابية .

^١ توماس بين - العدالة الزراعية - النسخة الإنجليزية

- pdf١٧٩٥http://piketty.pse.ens.fr/files/Paine

إن كثرة الاطفال سمة لازمة للمجتمعات الزراعية والرعية المتخلفة، حيث الاعتماد على العمل العضلي وحيث أنه كلما زاد عدد أفراد الأسرة زادت الإنتاجية حيث يعمل الرجل والمرأة والأطفال في الحقل. لكن مع تطور المجتمعات ودخول الآلة والانفجار السكاني فقد وصل علماء المجتمع إلى قناعة أن عددا محدودا من الاطفال (٢ أو ٣) هو الافضل للأسرة والمجتمع، حيث يمكن أن يتلقوا رعاية أفضل من الأبوين وتعلماً وخدمة صحية أفضل الخ.

إن محمود ينطلق من واقعه هو ومن واقع المجتمع السوداني المتخلف حينها حيث يرى أن إنجاب المرأة لستة أو سبعة أطفال هو أمر بديهي، وبدلاً من تنوير الجمهوريين والشعب السوداني بمضار إنجاب هذا العدد الضخم من الاطفال على صحة الام نفسها وعلى تطور واستقرار الاسرة، نجد أنه يتعامل معه كامر طبيعي ويرسل المرأة بسببه للبيت ويمنعها من العمل خارجه، باعتبار أن البيت هو مكانها الطبيعي والاصلي.

خاتمة :

أن محمود محمد طه ينطلق من وعيه الديني التقليدي القائم على الثنائيات، ولذلك يقسم المجتمع إلى نساء ورجال لكل منهم مهمته ودوره المنفصل الثابت والطبيعي والازلي، ولا يدرك أنهما الأثنان انسانان يتكاملان ويتبادلان الأدوار حسب التطور الاجتماعي والعمراني والحضاري، وهو في كل ذلك ينحاز دائماً للرجل. كيف لا وهو ينطلق من فرضيات خاطئة تماماً عن أن الرجل خلق اولاً من الله ثم خلقت منه المرأة، ولذلك فإن المرأة ابعد عن الله من الرجل، كما سنرى في بوستاتنا حول الأسس الفكرية لتحيز محمود ضد المرأة .

ولا يغرن أحداً حديث محمود عن أن عمل المرأة في البيت مهم، أو دعوته لتعليمها لكي تربي أطفالها بشكل أفضل ، فهذا أيضاً مما يقول به غلاة

السلفيين والرجعيين والمحافظين ، الذين يرون أن مكان المرأة البيت، وأن مسؤوليتها هي انجاب وتربية الأطفال وخدمة وإسعاد الزوج، وأن هدف تعليمها ينحصر فقط في تحقيق تلك المطالب الذكورية ، ناسين ومتناسين أن المرأة تستطيع - تماما كما الرجل - قيادة الأمم والشعوب، وأن تنتج وتبدع أفضل التقنيات والابداعات ، وأن تسهم في تقدم المجتمع البشري خارج وداخل البيت، والتاريخ السوداني والعالمي شاهد على ذلك .

١٨ يوليو ٢٠٢١م

الفصل السادس
كتابات متفرقة

ما هذا العبث في كتاب مدرسي؟!

كتاب القراري للتاريخ للصف السادس يزور التاريخ السوداني وينضح
بالعنصرية والمركزية العرقية

مقدمة:

وقعت في يدي اوراق عديدة لكتاب التاريخ للصف السادس المثير للجدل، والذي ارتكبت فيه اخطاء فظيعة علمية وفنية، كما ان كل منهجه مليء بالتوجهات العرقية والعنصرية التي يزعم القراري او الكتاب انه يحاربها .

وبمراجعة سريعة لصفحتين من صفحات الكتاب ارفقهما هنا يتضح هذا العبث والتزوير والعنصرية،

بعض الأخطاء التاريخية في الكتاب:

يقول الكتاب أن في السودان ٥٠ مجموعة اثنية تتحدث ٥٠٠ لغة. يعني لو صدقنا جدلا أن السودان فيه ٥٠ مجموعة اثنية، هذا يعني أن كل مجموعة اثنية تتحدث ١٠ لغات! هذا فتح عظيم والله إن يكون كل سوداني يتحدث ١٠ لغات. طبعا يستدرك الكتاب ان في السودان ٥٠٠ قبيلة وهذا يعني ان كل اثنية مقسمة الى ١٠ قبائل. هذه تخريفات ما انزل الله بها من سلطان ولا علاقة لها بالتاريخ ولا الانثربولوجيا ولا الواقع المعاش .

ووفقا للكتاب في احدى الصفحات المرفقة ادناه فإن اهل السودان (في مملكة كوش) هم خليط من الاثيوبيين والمصريين وقبائل من الجنوب! من اين اتى بهذه المعلومة وهل المكون النوبي والمكون البجاوي والمكون النوباوي والمكون الفوراني من شعوب السودان كانت موجودة وقتها ام

ظهرت فجأة كما يقول عن ظهور البجة؟! ومن اين ظهر البجا وكيف؟! وهل الهدندوة ليسوا فرعا من البجا حتى يقول في موضع آخر (قبائل الهدندوة والبجة)؟!

ويزعم الكتاب ان مملكة كوش كانت تتكون من عدد من الممالك! كيف تضم مملكة كوش عددا من الممالك؟ يمكن ان تضم المملكة عددا من التكوينات الادارية او القبلية الأصغر ولكنها لا تضم ممالك. في افريقيا هناك كثير من الممالك الفيدرالية حيث للامراء المحليين سلطات تمنح لهم من قبل الملك المركزي او السلطان، ولكن ليس هناك مملكة تضم عدد من الممالك داخلها .

ويقول الكتاب أن القبائل في جنوب السودان قبل الانفصال هي جزء منا. ماذا يقصد بذلك ومن هم نحن في تعبير (منا)؟! هل يقصد مفهوم السودان الكبير أو السودان الثقافي ام يقصد أن أعضاء هؤلاء القبائل بالسودان الشمالي هم جزء من المجتمع السوداني الحالي؟! عموما رغم ان المعلومة صحيحة لكن الصياغة ركيكة وهي تجلب سوء الفهم أكثر مما تشرح .

وزعم الكتاب أن الممالك المسيحية عاشت في سلام مع ساكني السودان الوثنيين. يا سلام! وهل كانت هذه الممالك المسيحية بدون سكان، وهل سكانها كانوا يسكنون في القمر ام على المريخ؟! بعدين هل حطمت مملكة الفونج كل الممالك المسيحية (كما يزعم الكتاب) ام قامت فقط على أنقاض مملكة علوة بعد تفسخها وانهارها؟! وما دور مملكة الفونج مثلا في اضمحلال المقررة وانهار نوباتيا؟!

المركزية العرقية:

كما ينضح الكتاب بالمركزية العرقية والعنصرية المستترة، فهو مثلا في حديثه عن التنوع في السودان يذكر (فيما هو مرفق) اسم سبع قبائل

"عربية" كما يصفها، بينما يذكر من الشرق (البجا والهدندوة) فقط، وهما كيان واحد او قل ان الهدندوة فرع من البجة بينما يبذكر اسم ثلاث "قبائل" فقط من دارفور ويقول ان جبال النوبة تضم قبائل كثيرة ثم لا يذكرها (الظاهر ان المؤلفون لا يعرفونها او يتجاهلونها). هذه لهوجة وعبث فانت اما ان تذكر نماذج تفصيلية لشعوب السودان ومكوناته، او لا تذكر شيئاً .

ويغالط الكتاب منهجه حين يزعم وجود قبائل عربية (لا افريقية) في السودان، فالثابت ان كل من سكن افريقيا هو افريقي كما ان كل السودانيين افارقة بالميلاد والجغرافيا والتاريخ قبل الاثنية، كما ان الحديث عن القبائل النيلية وتحضرها وقبائل الرحل وعدم تحضرها مليء بالاستعلاء المدني والعنصرية المركزية. اذن الكتاب يكرس للمركزية العرقية التي يدعي انه يحاربها .

من الجدير بالإشارة ان الكتاب يستخدم وصف قبيلة للإشارة للشعوب السودانية. الثابت ان تسمية الشعوب الافريقية قبائلاً هو نهج مركزي اوروبي او مركزي عروبي إسلامي، في افريقيا شعوب كما في كل العالم. كيف يعد شعب البجا أو شعب جبال النوبة او شعب الزغاوة الخ قبيلة ويعد سكان استونيا او سان مارينو او اندورا شعباً؟ مصطلح القبيلة عفي عليه الدهر وهو مصطلح مركزي اوروبي في التعامل مع شعوب افريقيا والسودان من بينها .

إنعدام الأمانة العلمية والركاكة الظاهرة:

كما شهد الكتاب ظاهرة للتزوير الفني الفج وذلك بقطعه لوحة مايكل انجلو الاسطورية (خلق آدم) في تشويه فظيع لذلك العمل الفني لا يجب ان يكون في كتاب مدرسي (على المدرسة ان تعلم الطلبة الامانة الادبية). اما ما لحق بهذا الامر من تبريرات وتصريحات فجة للقراي تتهم اللوحة

بأنها (خليعة وتسيء للذات الالهية) فإنما هو تخلف وردة حضارية تضع القراري في نفس الموضوع مع متخلفي السلفية واوباشهم .
اخيرا هناك ركافة ظاهرة وتكرار بليد في الكثير من العبارات في هاتين الصفحتين، كما ان باقي الكتاب - او ما اطلعت عليه من صفحاته- ممتليء بها .

عموما فإن هذا الكتاب ومحتوياته لا ترقى لأن تكون بحثا لتلميذ في الصف السادس، ناهيك عن ان تكون مقررا لطلبة في الصف السادس الذي غالبا ما يكون في ظروف السودان اخر صف لبعض التلاميذ يلجون بعده سوق العمل ويودعون المدرسة بسبب الحاجة وهذا ما لا يهتم به كفوءات قحت في معاركهم الدونكيشوتية الفاشلة .

٣ يناير ٢٠٢١



الشكل (٤): وجوه سودانية مختلفة

أما في الحاضر فإن السودان يتكون من قوميات متعددة، ومن مجموع أكثر من ٥٠ مجموعة إثنية تتحدث بأكثر من ٥٠٠ لغة مختلفة، ومن قرابة ٥٠٠ قبيلة. فنجد العديد من القبائل في الجنوب قبل الانفصال جزءاً والنوير والشلك والزاندي واللاتوكا والمورلي وغيرها من القبائل. وفي قبائل كثيرة غير عربية مثل: الدناقلة، المحس، السكوت وغيرها من القبائل الجبلية والسهلية وغيرها. وفي الغرب مثل: الفور والمساليت والزعماء. **بين عديدهم في جبال اسوس** وهي قبائل النوبة المختلفة. كما هناك العديد الموجودة في السودان مثل: الكباش، الرزيقات، الجعليين، المسيرية، الكواهلة وغيرها من القبائل العربية. ولدينا أديان مختلفة. فهناك المسلمون أو أصحاب المعتقدات الأفريقية، إذ، لدينا أديان مختلفة، كلها متعايشة باختصار هي: الديانات الأفريقية، المسيحية، والإسلام. وهكذا فإن هذه قومياً، وإثنية، وثقافياً، وديناً، يشكل جزءاً منا فلا بد أن نتحدث رابطة هذه الخصائص ونستفيد منها دون أن ننفي أحد هذه المكونات. فالتحدي هو إدارة هذا التنوع. عندما نتحدث عن الهوية المشتركة لهذا التعدد وال



الشكل (4): لوحة خلق آدم لميكل أنجلو

اللويزة ودانفسي



كان عالماً ومصوراً وموسيقياً
ونحاتاً وكيميائياً ومهندساً وفلكياً،
وطبيب جراح وعالم بصريات وقد
تفوقت مهارته في فن النحت. ومن
لوحاته القيمة الموناليزا، وغبراء
الصحراء، والعشاء الأخير.

الشكل (5): لوحة الموناليزا

الشيهرية لدانفسي

الهوية السودانية

في العهود القديمة كانت مملكة كوش تضم عدداً من الممالك كما أهالي مملكة أكسوم من الأثيوبيين والمصريين وقبائل نزحت من الجنوب فأه عُرِفَت بالسودان بعد ذلك بوثقة انصهرت فيها العديد من الثقافات والأه دخل العرب كعنصر جديد، وظهرت قبائل البحا في الشرق، وهاجرت من غرب إفريقيا ومن شرق إفريقيا وكل هذه الشعوب اختلطت وكونت الحاضر.

ولهذا فإن السودان يرقعه الجغرافية وحدوده السياسية المعروفة اليوم، مجموعات مختلفة، متنوعة ومتعددة عرقياً وثقافياً وإثنية، ومتفاوتة تاريخياً ومتوزعة في أرجائه واتحانه المختلفة. وما زال جزء من هذه القبائل والمدن الكبرى وهو يعيش في بيئته الطبيعية بطريقته الخاصة عبر قيمة وعادة وحين تطورت القبائل التي تسكن على ضفاف النيل نتيجة الاستقرار الحضارة القديمة كانت القبائل والمجموعات التي تعتمد على الرعي خلف الماء والكلأ أقل تطوراً واستقراراً.

ومع ان التداخل تم بين هذه الكيانات إلا أن مفهوم الدولة لم يتطور لدى المزارعين المستقرين على ضفاف الأنهار. وقد تطورت بعض الكيانات لها نظاماً حضارية متقدمة مثل دولة مروحي في شمال السودان. لقد كانت في السودان وقام ثلاث ممالك مسيحية استمرت لأكثر من سعة قرون إذ لم يسجل التاريخ حروباً بين هذه الممالك وسكان السودان من الوثنية. دولة الفونج قد كانت متأثرة بالنصوف إلا أنها في بدايتها قادت الحروب المسيحية وأعطت وزناً وقوة للثقافة العربية الإسلامية. ومع أن السود بواسطة الحروب إلا أن ذلك لم يعمله العناصر التي تعتبر

سرقة كتاب القراري من الويكيبيديا دون الإشارة للمصدر

لفت نظري الاخ العزيز محمد هاشم كمال Mohamed Kambal لبوسته الذي يتحدث فيه عن نقل كتاب التاريخ للصف السادس الابتدائي لمواد من الويكيبيديا وهي الموسوعة المجانية على الانترنت في مخالفة لقوانين الموسوعة.

ووفقا لكمبال فإن الكتاب قد أخطأ خطئين في ذلك النقل، والخطأ الاول في عدم الإشارة إلى المصدر، والثاني في احتكاره للمواد المنحولة، حيث يثبت الكتاب لنفسه كافة حقوق الطبع والنشر، بينما تنص رخصة المشاع الإبداعي التي تقوم عليها الويكيبيديا والمادة المنقولة على أن من حق الناس الاقتباس ولكن شرط الإشارة إلى المصدر وكذلك السماح بالنقل اللاحق والاقتباس وإعادة النشر .

إذن فإن كتاب التاريخ للصف السادس لم يكتف بنقل المادة بضاباتها من ويكيبيديا، وانما قام بمخالفة قوانين ويكيبيديا بما يدخله في طائلة السرقة الأدبية (plagiarism)، وبما ينهي بقية مصداقيته العلمية المتهالكة .

يراد من الكتب المدرسية تعليم النشء على البحث العلمي والأصالة والأمانة الفكرية، بينما يعلمهم هذا الكتاب العكس .
بوست الاستاذ كمال مرفوق كما مرفقة أحد الصفحات التي ثبت سرقة فقرة كاملة منها من الويكيبيديا .

https://facebook.com/story.php?story_fbid=٤٠٧١٠

[٦٩٦٧٢٧٠٩٦٧&id=١٠٠٠٣٩١٥٠٠١٨٣٠٧&sfnsn=mo](https://www.facebook.com/story.php?story_fbid=٤٠٧١٠&id=١٠٠٠٣٩١٥٠٠١٨٣٠٧&sfnsn=mo)

مملكة كيلوه : (٩٧٤-١٥١٥م)

نشأت في الساحل الشرقي لإفريقيا، واستطاعت أن توحد الإمارات والدويلات التي كانت قائمة على طول الساحل الشرقي في دولة واحدة امتدت من مقديشو (في الحالية)، حتى سوفا لا جنوباً (في موزمبيق الحالية). واتخذت من كيلوه (التي تتبع تنزانيا الحالية) عاصمة لها.

أسسها الأمير علي بن حسن الشيرازي. وهو من أسرة بني بوية الفارسية والتي نفوذها السياسي في بغداد بسبب منافسة الأتراك السلاجقة لها. ومن ثم هاجر الأمير حسن الشيرازي ومن معه إلى شرق إفريقيا، وفرض سيطرته التامة على الساحل في القرن الميلادي موحداً لأكثر من ثلاثين إمارة ومدينة تحت حكمه.

أهم أعمال خلفاء الأمير علي بن حسن الشيرازي :

قام خلفاء علي بن حسن الشيرازي بأعمال كبيرة منها :

- إعادة بناء مدينة كيلوه، وتشجيع العمران فيها، وبناء المساجد ودور للعبادة وتشبيد الحظوظ كما استطاعوا مد نفوذ كيلوه إلى الداخل على طول السواحل، وأرسلوا الحملات لإخضاع القبائل الداخلية للقارة الإفريقية وتوغلت قواها التجارية إلى داخل أفريقيا (ملاوي الحالية)، وتنجانيقا (في تنزانيا الحالية)، ووصلت حتى بحيرة فكتوريا.

السلطان سليمان حسن (٨٥١١-٨٧١١م) :

يعتبر أهم خلفاء علي بن حسن الشيرازي. في عهده بلغت كيلوه أقصى اتساعها وازدهارها ولقب (بالعظيم) لأنه اشتهر بالحكمة والعدل. وفي عهده وفدت جماعات عربية من الحبشة واليمن، وجماعات أخرى فارسية بعد أن سمعوا بعظمة كيلوه وسلطانها العظيم. واهتم السلطان سليمان حسن بتشبيد القصور الفخمة ولعمارة ومنها قصره الخاص الذي يعتبر أجمل القصور في ذلك الوقت.



سلطنة كلوة



نشأت في [الساحل الشرقي لأفريقيا](#).^[1] واستطاعت أن توحد الإمارات والدويلات الإسلامية، التي كانت تقوم على طول الساحل الشرقي في دوله واحده امتدت من [مقديشو](#) (في [الصومال](#) حاليا) وساحل بنادر حتى سوفاالا (في [موزمبيق](#) الحالية) جنوبا. واتخذت من كلوه عاصمه لها. مؤسسها: أسسها الأمير علي بن حسن الشيرازي، وهو من أسرة بني بويه الفارسيه والتي فقدت نفوذها السياسي في بغداد بسبب منافسة الأتراك السلاجقه لها، ومن ثم هاجر الشيرازي ومن معه إلى [شرق أفريقيا](#)، وفرض سيطرته التامه على الساحل في [القرن العاشر الميلادي](#)، موحدًا لأكثر من ثلاثين اماره ومدينه تحت حكمه. سلاطين الدولة: حكم الدولة 49 سلطانا من سلالة علي بن حسن الشيرازي اهتموا بأمر الدعوة الإسلامية، ونشر العلم والثقافة بتأسيسهم للمساجد ودور العلم. وشيدوا كذلك القصور والقلاع مما ارتقي بالناحية العمرانيه التي اخذت الطابع الإسلامي في مدن السلطنة. وقد اهتم سلاطين الدولة أيضا بالناحية الإقتصادية فازدهرت تحت التجارة والصناعات البدويه والصيد، استخراج المعادن الأمر الذي أدى إلى ثراء

بوست الفيسبوك الذي سرق منه كتاب القراي خطر فاته

كنا قد أشرنا في بوست سابق للعبث والتزوير والتشويه للتاريخ السوداني في كتاب التاريخ للصف السادس والذي تم وضعه تحت قيادة القراي وقال وزير التربية انه لن يراجع ولن يغير ولن يبدل . اشار العديدون لأن فقرات واسعة من الكتاب منقولة من بوست في الفيسبوك ومن اوراق للحركة الشعبية ومن ورقة لمحمد جلال هاشم. أرشدني الاخ عبد القيوم للبوست مثار النقاش فوجدت ان مؤلف(ي) الكتاب قد نقلوا فقرات كاملة ب(ضباتتا) من بوست بالفيسبوك، مليء بالاطفاء العلمية والتاريخية كما هو طافح بالركاكة اللغوية . يرجع تاريخ البوست كما سترنوع لعام ٢٠١٣، والنقل عنه في الكتاب حرفي وليس فيه اجتهاد كبير. سأقوم بحفظ نسخة من البوست في كومبيوتري حتى لا يتم شطبه وحذفه وانكاره فيما بعد، كما قمت بعمل صور لفقرتين من البوست ووضعت خطوطا تحت ما ينطبق (وقع الحافر على الحافر) على صفتين في كتاب القراي الذي رُعم لنا ان لجنة قد أعدته . البوست كاملا تجدونه في هذا الرابط كما ان المقارنات مرفقة في الصور ادناه .

H
Y
P
E
R
L
I
N
K

d
=18291.308001307&id=130091570499902

التعريف نمون الهوية هي عنصر الشخصيات والسمات بعرض توسيع التفسير وإثبات الشخصيه ، اما حين يتعلق عن أزمة الهوية في السودان فنضيف الي هذا التعريف قصدنا من الموضوع وهو ((هوية الدولة السودانية)). إذن، ما هي الهوية التي تميز الدولة السودانية وتمثل القاسم المشترك لكل السودانين بمختلف ثقافتهم واثنياتهم وأعرافهم وأديانهم؟ . وهذا ما نجاب عليه لاحقا في رؤيتنا لحل مشكلة الهوية في السودان ، لانه حتى الآن لم تتشكل هوية سودانية تعترف بكل المكونات: التاريخية و الثقافية والاثنية والدينية للدولة السودانية ، وما نتج من عدم الاعتراف هذا هو تعميم القومية العربية علي كل السودانين مما ادي الي ظهور مشكلة الهوية في السودان .

وللإجابة علي بقية الأسئلة لابد من توضيح بسيط للواقع الذي نتحدث عنه لنتمكن من الدخول إليه من أوسع مداخلة.

خلفية تاريخية

السودان، برقعته الجغرافية وحدوده السياسية المعروفة اليوم ، كان وما يزال تسكنه مجموعات مختلفة ، متنوعة ومتعددة عرقيا وثقافيا واثنيا ، ومتفاوتة تاريخا من زاوية التطور، ومتودعة في ارجاءه والحاجه المختلفة ، حيث ما زال جزء من هذه القبائل والاعراق يعيش ، في بيئاته الطبيعية بطرقه الخاصة عبر قيمة وعاداته ولغاته وعقائده. وقد تطورت بعض الكيانات النيلية واسست لها نظاما حضارية متقدمة مثل دولة مروي في شمال السودان... . على هذا الأساس ، كان مفهوم الدولة جزء من ثقافة تلك الكيانات وهذا هو أحد وجوه التفاهت التاريخي لهذه الكيانات مقارنة بالكيانات الأخرى التي لم تصل الي مرحلة الدولة في تطورها . ويمكن ان نفترض اختلاط تلك الكيانات مع بعضها بدرجات متفاوتة كما يمكن ان نفترض انشفاق بعضها واستقلاله وقد لا يكون هذا الاختلاط والاستقلال متأكد منه تاريخيا (لكن الدراسات الإنسانية والتحليلات الثقافية تدعو لأخذ هذه الافتراضات في الحسبان عند الحديث عن تاريخ السودان القديم) وخاصة في العصور المسيحية . أما في العهد الإسلامي فقد دخلت إلي السودان الثقافة العربية الإسلامية في صورة استعمار استيطاني ومنذ مملكة الفونج اكتسبت لها مواقع في السودان ضمن كياناته وثقافته المتعددة حيث كانت الثقافة العربية الإسلامية مسنودة بخلفيتها الإمبراطورية من الناحية المادية والمعنوية بما يعرف ((بالممد الحضاري العربي الإسلامي)) الذي ينتشر عن طريق الفتوحات العربية الإسلامية ، ومن أهداف هذا المد الحضاري العربي الإسلامي هو نشر الإسلام والعروبة ، وهذا يعني تربية الناس الذين يقعون تحت سيطرة هذا الفتح ، علي قيم وعادات وتقاليد الثقافة العربية الإسلامية ، أي فرض الهوية ((الاسلامو عربوية)) ومن ثم إلحاق الكيانات الأخرى غير العربية بالحضارة العربية الإسلامية وفي هذا الجانب نوضح بعض المفاهيم التي يتم زكرها باستمرار عند الحديث عن ازومات الدولة السودانية .

الثقافة العربية الإسلامية في السودان:

هي مجمل التراث العربي الاسلامي في حالة تجردة من التشكيلات السياسية المرتبطة بتحقيق المصالح ، وبهذا المعنى تصح الثقافة العربية احد مكونات الواقع السوداني وواحدة من الثقافات الموجودة في السودان ولها الحق في التعبير عن نفسها مثلها ومثل اية ثقافة سودانية أخرى بعيدا عن جهاز الدولة السودانية الذي تناضل من اجل ان يمثل كل الثقافات السودانية ويدير التعدد والتنوع الموجود في السودان بشكل حيادي يضمن الحرية والعدالة والمساواة للجميع دون تمييز .

الثقافة الاسلامو عربية:



ازمات في الدولة السودانية

Community

WhatsApp

e About Photos Videos More ▾

Like

Message



ازمات في الدولة السودانية

July 14, 2013 · 🌐

...

أزمة الهوية في السون
مقدمة:

أزمة الهوية هي أحد المشاكل التي عانت وما زالت تعاني منها الدولة السودانية ، وقد ظل المثقفين من أبناء الثقافة العربية يقدمون رؤيتهم الخاصة بهم ويفرضونها على الشعب السوداني بتعدده وتنوعه () التاريخي والمعاصر () على أنه شعب (عربي كريم) وإذا طرحنا سؤال : هل الشعب السوداني هو شعب عربي كريم أم هو شعب سوداني كريم؟ ياترى ماذا تكون الإجابة . وكل بساطة سوف تكون الإجابة على السؤال حسب انتماء الفرد العرقي أو الثقافي أو الفكري (الايديولوجي) ... الخ . فهناك جزء كبير من العرب في السودان ينظرون الي هوية السودان باعتبارها: ((هوية عربية)) وينفس القدر هناك جزء من غير العرب في السودان ينظرون الي هوية السودان باعتبارها: ((هوية أفريقية)) ومنذ محاولات (سليمان كشة وعلى عبد اللطيف) ظهرت قضية الهوية في السودان كقضية فكرية سياسية وقد أخذت بعد ذلك اتجاهها أدبيا يظهر في محاولات (حزرة الملك طمبل) التي سعي من خلالها لتأسيس خطاب سوداني ((مواز /أو مقابل)) للخطاب العروبي السائد المتمثل في مذهب : (ألبنا والعباسي وغيرهما ...) واستمرت المسألة حتى الستينيات وخلال الستينيات ظهر جيل أكثر حداثة . حيث ذهب المثقفين من هذا الجيل الي افتراض خيارات لهوية السودان ، فمنهم من قال: (نعروية الشعب السوداني) ومنهم من قال : (بافريقية الشعب السوداني) ومنهم من ذهب إلي التوفيق بين الاثنين (العروية والافريقية) ليصل الي ما عرف بمدرسة ((الغاية والصحراء)) أو ((الأفرو عربية)) وسوف نقدم نماذج من هذه المدارس بغرض توضيح التطور الفكري التاريخي لقضية الهوية في السودان بشكل مختصر . وسوف نقاش موضوع الهوية في السودان بالقدر الذي يمكننا من نقل رؤيتنا لهذه الأزمة وكيفية إيجاد الحلول اللازمة.

المدرسة العروبية :

قامت هذه المدرسة في أدبياتها علي ما كتبه عبد الرحمن الضير في كتابة العربية في السودان بدافع اثبات عروبة السودان دون الالتفات الي العناصر غير العربية الموجودة في السودان ، ونبع في ذلك محمد

الهوية السودانية

في العهود القديمة كانت مملكة كوش تضم عدداً من الممالك كما أهالي مملكة أكسوم من الأثيوبيين والمصريين وقبائل نزحت من الجنوب فأه عُرِفَت بالسودان بعد ذلك بوتقة انصهرت فيها العديد من الثقافات والأه دخل العرب كعنصر جديد، وظهرت قبائل النجا في الشرق، وهاجرت من غرب إفريقيا ومن شرق إفريقيا وكل هذه الشعوب اختلطت وكونت الحاضر.

وهذا فإن السودان يرقعه الجغرافية وحدوده السياسية المعروفة اليوم بمجموعات مختلفة، متنوعة ومتعددة عرقياً وثقافياً وإثنية، ومتفاوتة تاريخياً ومتوزعة في أرجائه واتحانه المختلفة. وما زال جزء من هذه القبائل والمدن الكبرى وهو يعيش في بيئته الطبيعية بطريقته الخاصة عبر قيمة وعادة وحين تطورت القبائل التي تسكن على ضفاف النيل نتيجة الاستقرار الحضارة القديمة كانت القبائل والمجموعات التي تعتمد على الرعي خلف الماء والكلأ أقل تطوراً واستقراراً.

ومع ان التداخل تم بين هذه الكيانات إلا أن مفهوم الدولة لم يتطور لدى المزارعين المستقرين على ضفاف الأنهار. وقد تطورت بعض الكيانات لها نظاماً حضارية متقدمة مثل دولة مروى في شمال السودان. لقد كانت في السودان وقام ثلاث ممالك مسيحية استمرت لأكثر من سعة قرون إذ لم يسجل التاريخ حروباً بين هذه الممالك ومساكن السودان من الوثنية. دولة الفونج قد كانت متأثرة بالنصوف إلا أنها في بدايتها قادت الحروب المسيحية وأعطت وزناً وقوة للثقافة العربية الإسلامية. ومع أن السود بواسطة الحروب إلا أن ذلك لم يعملاه العناصر التي تعتبر

اسريعيه وهو يوجد مجموعت بسر به في وادي ابين برمج ابي اعصر اعصري ابيون وعدم هذه العيوب ديبه على أن هذه المجموعات قد عاشت في السودان منذ 250000 ق.م أما الحضارة النوبية المتداخلة مع الحضارة الفرعونية فيعود تاريخها الي 3000ق.م، ووصلت الحضارة الكوشية الي مستوى عال من الرقي حوالي 1700 ق.م، ومن ثم مع بداية الحقبة المسيحية قامت في السودان حضارات قوية تتمثل في ممالك النوبة المسيحية والتي دامت لأكثر من (700) سبعمائة عام . وتبع ذلك ظهور الإسلام وتدفق المهاجرين من شبه الجزيرة العربية مما أدى الي اقامة ممالك اسلامية قوية منذ عام 1500 م . وبعدها جاء الحكم التركي- المصري 1820م ، ثم المهديه 1885م ، ثم الحكم الثنائي الانجليزي - المصري 1898م ، الي ان خرج الاستعمار في 1956م ، هذا التسلسل التاريخي تسمية التنوع التاريخي ، وهو جزء منا ويشكلنا ويكون جزءا من هويتنا ، فيجب علينا ان نكون فخورين بتاريخنا ويجب ان ننقله لاولادنا كما يجب تضمينه في المناهج التعليمية وتدرسه لطلابنا لكي ندرك ثقافتنا وثرأ ماضيها .

التنوع المعاصر:

يتكون السودان من قوميات متعددة ، من مجموعات ائنية متعددة ، أكثر من (50) مجموعة ائنية تتحدث بأكثر من (500) لغة مختلفة ، ومن قبائل مختلفة أكثر من (500) قبيلة. هذا كله موجود في السودان وتسمية بالتنوع المعاصر . فجد العديد من القبائل في الجنوب ، مثل : الدينكا ، النوير ، الشلك ، الزاندي ، اللاتوكا ، المورلي ، وغيرها من القبائل . وفي الشمال أيضا توجد قبائل كثيرة غير عربية مثل: الدناقلة ، المحس ، السكوت وغيرها من القبائل وفي الشرق مثل: البجة والهدندوة وغيرها . وفي الغرب مثل: الفور والمساليت والزغاوة وغيرها . كما توجد قبائل عديدة في جبال النوبة وهي قبائل النوبة المختلفة . كما هناك العديد من القبائل العربية الموجودة في السودان مثل: الكبابيش ، الزيات ، الجعليين ، المسيريه ، الرباط ، الشاقبية ، الكواهله وغيرها من القبائل العربية ، ولدينا اديان مختلفة ، فهناك المسلمون ، والمسيحيون ، واصحاب المعتقدات الافريقية. اذهر لدينا اديان مختلفة كلها متعايشة منذ زمن بعيد ، باختصار هي: الديانات الافريقية ، المسيحية ، والاسلام . وهكذا فإن هذا التنوع المعاصر (قوميا ، واثنيا ، وثقافيا ، ودينيا) ، يشكل جزءا منا فلابد ان نتعبد رابطة قومية ، تتجاوز كل هذه الخصوصيات وتستفيد منها ، ان ننفي احد هذه المكونات ، والتجدي للتي يواجها هو ادارة هذا التنوع ، لذلك فان هوية بلادنا ووجدتها التي نتحدث عنها ، لابد ان تأخذ هذين المكونين لواقعنا بعين الاعتبار حتى تطور رابطة اجتماعية سياسية لها خصوصيتها ، وتستند علي هذين النوعين التنوع ، رابطة اجتماعية سياسية نشعر بأنها تضمنا جميعا ، ووحدة نفرخ بالانتماء اليها ونفخر بالدفاع عنها. اذن هذا هو التنوع التاريخي والمعاصر ، والذي وضعناه من خلال المراحل التاريخية والتركيبة ائنية والثقافية والدينية للدولة السودانية . وعندما نضع هذا التعدد والتنوع في الاعتبار ، عندما نتحدث عن الهوية المشتركة لينا التعدد والتنوع نجد من الصعوبة بمكان (اذا لم يكن مستحيلا) تحديد ((هوية الدولة السودانية)) علي اساس ائني أو ثقافي أو عرقي أو ديني محدد ، لذلك اكتفت الحركة الشعبية لتحرير السودان بطرح ((السودانية)) هي هوية الدولة السودانية لأنها تمثل القاسم المشترك لكل الكيانات العرقية والقبلية والثقافية والائنية والدينية الموجودة في السودان .

تعريف السودانية :

هي رابطة اجتماعية سياسية سودانية تشمل كل القوميات السودانية وكل الأديان من إسلام ، مسيحية ، ومعتقدات افريقية ، وتتتبع من الحضارات الاخرى وتستفيد من التطورات الإنسانية ، وتقوم هذه الرابطة علي ختاتق الواقع التاريخي والمعاصر للدولة السودانية في ظل نظام جديد يقوم علي أسس الحرية والعدالة والمساواة والاختيار، الطعم، ه الاداة الحة لشعب السودان. .مك: ا. : نضح الفمة السدانة ا



الشكل (٤): وجوه سودانية مختلفة

أما في الحاضر فإن السودان يتكون من قوميات متعددة، ومن مجموعات إثنية متعددة، أكثر من ٥٠ مجموعة إثنية تتحدث بأكثر من ٥٠٠ لغة مختلفة، ومن قبائل مختلفة أكثر من ٥٠٠ قبيلة. فجد العديد من القبائل في الجنوب قبل الانفصال جزءاً منا مثل: الدينكا، والتوير والشك والزاندي واللاتوكا والمورلي وغيرها من القبائل. وفي الشمال أيضاً توجد قبائل كثيرة غير عربية مثل: الدناقلة، المحسن، السكوت وغيرها من القبائل أو في الشرق مثل: الجا والمندلوة وغيرها. وفي الغرب مثل: الفور والمساليت والزعموه وغيرها. كما توجد حبيبي عبيده في جيب سوبه وهي قبائل النوبة المختلفة. كما هناك العديد من القبائل العربية الموجودة في السودان مثل: الكباش، الرزيقات، الجعليين، المسيرية، الرياطات، الشابية، الكواهلة وغيرها من القبائل العربية. ولدينا أديان مختلفة. فهناك المسلمون والمسيحيون أو أصحاب المعتقدات الإفريقية. إذن، لدينا أديان مختلفة، كلها متعايشة منذ زمن. بعد، باختصار هي: الديانات الإفريقية، المسيحية، والإسلام. وهكذا فإن هذا التنوع المعاصر قديماً، وثقافياً، ودينياً، يشكل جزءاً منا فلا بد أن نستحدث رابطة قومية تتجاوز كل هذه الخصوصيات وتستفيد منها دون أن تنفي أحد هذه المكونات. فالتحدي الذي يواجهنا هو إدارة هذا التنوع. عندما نتحدث عن الهوية المشتركة لهذا التعدد والتنوع نجد أنه من

البرج - صيف السامر

Scanned with CamScanner

مسؤولية حمدوك عن فوضى القرائي

(عبد الله حمدوك هو المسؤول الأول والأخير عن تعيين وأفعال القرائي وعن الفوضى في المناهج وعن صعود نجم الكيزان والسلفيين)

أصدر رئيس وزراء النظام العسكري - القحاطي قراراً على خلفية الفوضى التي خلقها موظفه عمر القرائي في المناهج ينص على (تجميد العمل بالمقترحات المطروحة حالياً من إدارة المركز القومي للمناهج والبحث التربوي والتي أثارت هذا الجدل. وتكوين لجنة قومية تضم التربويين والعلماء المتخصصين وتمثل كافة أطراف الآراء والتوجهات في المجتمع، لتعمل على إعداد المناهج الجديدة حسب الأسس العلمية المعروفة في إعداد المناهج وتراعي التنوع الثقافي والديني والحضاري والتاريخي للسودان ومتطلبات التعليم في العصر الحديث).^١

هذا القرار غير كاف لأن مجرد التجميد دون اعفاء القرائي ومحاسبة المستهترين الذين أعدوا المناهج بالاعتماد على بوستات الفيسبوك ومواد الويكبيديا إنما هو عجز واستهتار بالمواطن السوداني، ويدل على أن رئيس وزراء النظام القحطي لا يريد مواجهة حقيقة الفشل التام في هذه الجبهة، التي بدلا من أن تكون جبهة علمية رصينة قد تحولت إلى جبهة صراع ايدلوجي فجة.

كما أن حمدوك لم يعتذر للشعب السوداني عن قراره البائس بتعيين الدكتور عمر القرائي وهو كادر حزبي - عقائدي رگائي يميل إلى الشو

^١ بيان لاعلام مجلس الوزراء - ٦ يناير ٢٠٢١م -

<https://twitter.com/SudanPMO/status/1346183661178483661>

والفرقعات الاعلامية في هذا الموقع الهام الذي يحتاج الى شخصية قومية حكيمة رصينة.

إن حمدوك بتعيينه للقراي وبصمته على ممارساته وبتأخر ردود فعله هو المسؤول الاول والاخير عن كل هذه الفوضى العارمة وعن الاخطاء الجمة في المنهج وعن تهديد السلام الاهلي وعن إتاحة الفرصة للكيزان والسلفيين ليظهروا على الساحة ويرفعوا رؤسهم المهزومة ويدّعوا الدفاع عن الشعب والتلاميذ تجاه اخطاء القراي الفظيعة وغير المبررة. لقد عين حمدوك عددا من العقائديين والحزبيين الافجاج في مواقع حساسة في الدولة، كما ان كل مجلس وزرائه يفتقد التاهيل والحكمة، كما يفتقد هو نفسه الحنكة السياسية والقرار والرؤية الشمولية، وهو متجاهل لأهم القضايا الوطنية وهي قضية الوضع الامني المتتردي والاحوال المعيشية المنهارة والمهددات المتتالية للسلم الاهلي والوحدة القومية والسيادة الوطنية.

ان المطلوب حاليا هو إقالة القراي فوراً ومحاسبة واضعي المناهج الرثة بما في ذلك استعادة كل الاموال التي اخذوها لكيما ينقلوا من الويكبيديا، وكذلك محاسبة وزير التربية والتعليم الذي دعم مدير المناهج ودافع عن المنهج المليء بالاطعاء.

كما يجب ان يعتذر حمدوك للشعب السوداني ويتراجع امامه وليس امام الإخوان المسلمين والسلفيين، ويتخذ اجراءات حازمة في مجال الاصلاح الإقتصادي والمجال الامني وإلا فإنه سيكون الساقط التالي في سلسلة سقوط قحت.

ألا هل بلغت؟ اللهم شعبي فأشهد

٧ يناير ٢٠٢١

هل سرقت الطائفة الجمهورية أفكارها من الديانة البهائية؟!

الديانة البهائية^١ هي ديانة نشأت في إيران في القرن التاسع عشر ثم انتقلت لمناطق أخرى في الشرق الأوسط (العراق تركيا فلسطين) قبل أن تنتقل لمختلف مناطق العالم وتتحول إلى ديانة عالمية جديدة .كان من مؤسسي البهائية كل من علي بن محمد رضا الشيرازي المعروف ب (الباب) و ميرزا حسين علي نوري المعروف ب (بهاء الله) و ابنه عباس افندي المعروف ب (عبد البهاء).

من جهتها فإن الطائفة الجمهورية^٢ هي طائفة دينية - سياسية انطلقت من السودان منذ بداية خمسينات القرن الماضي وكان مؤسسها محمود محمد طه ثم تعاقب على قيادة الطائفة الجمهورية عدد من أتباعه من بينهم سعيد الشايب وجلال الدين الهادي الطيب وعبد اللطيف عمر وابراهيم يوسف فضل وفق الترتيب الذي وضعه محمود لهم .

في هذا البوست نزعم أن الطائفة الجمهورية سرقت أفكارها الأساسية، دون الإشارة للمصدر، من الديانة البهائية. ونبرر زعمنا هذا بالنقاط التالية، عسى أن نرجع لها لاحقاً بمزيد من التفصيل والتوثيق: يعتقد البهائيون بعدم انقطاع الرسالات والنبؤات والرجال المرابين، ورغم انهم نشأوا كطائفة إسلامية الا انهم ما لبثوا ان انفصلوا كدين جديد يعتبر

١ المعلومات عن البهائية اخذناها من الويكيبيديا ومن موقع الدين البهائي العالمي الرسمي :

<https://www.bahai.org>

٢ المعلومات عن الفكرة الجمهورية مأخوذة من كتبهم ومقالات لهم وعنهم وحوارات مختلفة معهم

ومن موقعهم شبه الرسمي : <https://www.alfikra.org>

كل من الباب وبهاء الله من مؤسسيه او انبيائه- الجمهوريون ايضا لهم راي مشابه إن الإسلام يتكون من رسالتين أحدها فصلت في القرن السادس والثانية اجملت واتى القرن العشرون لتفصيلها، وان الرسالة الثانية لها رسول هو (رجل آتاه الله الفهم عنه من القرآن، وأذن له في الكلام..) وبما إن مفصل الرسالة الثانية هو محمود وهو الذي تكلم وادعى الفهم عن القرآن فهو رسول هذه الرسالة الثانية. السؤال الذي يطرح نفسه الى اي درجة يمكن اعتبار الجمهورية كالبهائية دين جديد منفصل عن الدين الذي تطور منه؟

واحدة من مبادئ البهائية الرئيسية هي **(التحري الشخصي للحقيقة وترك التقليد والتبعية)** وربما سرق منهم الجمهوريون هذه الفكرة وعدلوا فيما يسمي بالشريعة الفردية وهي السير في التقليد حتى الوصول للأصالة والصلاة والعبادات الخاصة بكل فرد وأن يأخذ الإنسان كفاحا عن ربه. للأسف فإن محمود محمد طه قد احتكر مرحلة الأصالة والشريعة الفردية هذه لنفسه وأنكرها على جمهوريين اخرين ادعوا أنهم وصلوها **(مثلاً الاستاذ محمد خير علي محسي).**

من اسس البهائية **(طاعة الحكومة واجبة في كل الامور إلا في انكار العقيدة).** - ربما من هذا ايضا اخذ الجمهوريون تقيتهم حيث سكتوا عن عبود طوال ٦ سنوات وايدوا نميري خلال ١٣ عاما ولم يعترضوا عليه الا عندما صادم عقيدتهم التي ترفض الشريعة المدرسية، والان يدعم اغلبهم حكم شراكة الدم بقيادة البرهان وحميدي بل هم ممثلون في مؤسسات الدولة ولهم عضو في مجلس الشراكة. للأسف لم يلتزم الجمهوريون بما فعله البهائيون في رفض انكار عقيدتهم والموت في سبيل ذلك بل أنكر اربعة من اتباع محمود بينهم خليفة لاحق له في رئاسة التنظيم افكارهم على الملأ وفي شكل مذل لا يليق بالسودانيين ولا بالرجال الأحرار.

من أسس الديانة البهائية (ردم الهوة الساحقة بين الفقر المدقع والغنى الفاحش وإيجاد الحل الروحي للمسألة الاقتصادية). - من هنا غالباً اقتبس محمود محمد طه فكرة الاشتراكية الديمقراطية والتي ربطها مع الحرية الفردية المطلقة. هذا كله سوّقه محمود باعتباره هو الإسلام، أي قدم حلاً روحياً آخر لقضايا اجتماعية دنيوية.

من اسس الديانة البهائية (المساواة في الحقوق والواجبات بين المرأة والرجل (جناحي طير الإنسانية) فبدون هذه المساواة لا يرتقي هذا الطير إلى معارج السامية). - نجد أيضاً محاولة لطرح المساواة بين الجنسين في الفكرة الجمهورية إلا أنها محاولة عرجاء حيث تقوم على التلفيق فتسمح مثلاً بتعدد الزوجات للضرورة مع زعم محمود أن الأصل هو الزواج الفردي. البهائيون هنا أكثر تقدماً عن الجمهوريين الذين يظنون أن المرأة أقل قدراً من الرجل حتى على المستوى الوجودي، فهي في سيرها تجاه مرحلة الأصاله عليها أولاً أن تصل لمقام الرجل ثم تسير بعد ذلك لمرحلة الأصاله .

من أسس الديانة البهائية (الإيمان والاعتراف بوحدانية الخالق ووحدة الالهوية، ووحدة البشرية، وبأن أصل الأديان ومنبعها واحد). - وحدة البشرية ووحدة الالهوية هي تعبير ملطف عن وحدة الوجود والتي أيضاً يؤمن بها الجمهوريون وإن كانوا لا يقولون بها بشكل واضح. هذا التشابه بالتأثر بالصوفية وأفكارهم عن وحدة الوجود مع عدم الجهر بهذه الفكر يمكن أن يكون عاملاً مشتركاً أو فكرة مسروقة من البهائية. من مبادئ الديانة البهائية (تأسيس محكمة عالمية لفصل الخصومات بين الدول). - ربما من هذه الطائفة الجمهورية فكرتها عن الحكومة العالمية .

وقد يسأل البعض لماذا استخدمنا مصطلح سرقة ولم نطرح مصطلح تأثر أو اقتباس. واقول هنا أن الجمهوريون يدعون أن فكرتهم جديدة كل

الجدّة وغير مسبوقه، كما ان محمود محمد طه والجمهوريون لم يشيروا
قط لمراجعهم الفكرية ومصدر أفكارهم، وفي ظل هذا التطابق الكبير فإن
الأمر يصبح سرقة ادبية لا غير.

١٢ يوليو ٢٠٢١

الفصل السابع
مساجلات وردود

خطوات فى طريق الحقيقة - حوار مع الاستاذ عمر القراى

مقدمة:

اهتم الاستاذ عمر القراى ، بالحوار مع شخصى الضعيف، وافرد من وقته وجهده، ما سمح له بتسطير مقاله: "قراءة نقدية لتأملات أفق المعرفة والشهادة"^١، فى محاورة لما كتبته عن سيرة وحياة واستشهاد الاستاذ محمود محمد طه، زعيم الإخوان الجمهوريين ومؤسس الفكرة الجمهورية، فى مقالى الراجع للعام ١٩٩٩، والمعنون: " تأملات فى أفق المعرفة والشهادة - حول حياة واستشهاد محمود محمد طه".

والاستاذ عمر القراى فوق التزامه بالفكر الجمهورى، ومعرفته الثرة به وبكتابات الاستاذ محمود محمد طه، فهو كاتب وباحث فى التراث وقضايا الحاضر، وهو من اعلام التيار الإسلامى التجديدى، وتغدو مساهماته حول المرأة والإسلام، والجهاد وحرية الاجتهاد، وغيرها مساهمات قيمة فى اضاير المكتبة السودانية والفكر السياسى السودانى.

واذ كانت الكتابة الحالية لا تطمح الى حوار تفصيلى عميق، مع اطروحات الاستاذ القراى، فانها تحاول تصحيح بعض المعلومات، وتوضيح

^١ الدكتور عمر القراى - قراءة نقدية لتأملات أفق المعرفة والشهادة- المقال منشور على هذا الرابط :

<https://abdelati.tripod.com/arabi/tamulat2.htm>

منهجي في البحث، السير بعض خطوات في درب الحقيقة، والتي اعتقد انها صالتنا المشتركة، اعني الاستاذ عمر القراى وشخصي الضعيف.

تصحيح وتصويب:

يكتب الاستاذ عمر:

(كنت قد اطلعت قبل سنوات، على مقال كتبه الاستاذ عادل عبد العاطي بعنوان (تأملات في أفق المعرفة والشهادة حول حياة واستشهاد محمود محمد طه)، ولما كان المقال يعتمد في اثبات فكرته الاساسية، على تصورات مسبقة، ومعلومات سماعية، واشاعات لا حظ لها من الصحة، فقد تحدثت في ذلك الوقت عام - 1999 مع كاتب المقال، وأوضح لي ذلك فوعده بالمراجعة، وكنت اتوقع ان أرى المقال بصورة جديدة، خاصة وان كاتب المقال جم النشاط في الحركة الفكرية والسياسية، وكان يمكنه التحري من المعلومات وتصحيحها).^١

والحقيقة ان بعض ما كتبه الاستاذ عمر صحيح، فقد ارسلت له في ذلك العام نسخة من مقالى، حال فراغى من كتابته، كما ارسلت نسخة الى العديد من المهتمين، وقد كان الاستاذ عمر مبادراً في الرد وتقديم بعض المعلومات، وابداء الراي في منهجية المقال. وقد سعدت برده واستاذنته في نشر رده على الملأ، فاذن لى وقمت في حينها بنشر الرد على قائمة السودان الجديد للحوار والتراسل بالNSMDI، فليرجع اليه من يود الاطلاع عليه في ارشيف تلك القائمة.

^١ الدكتور عمر القراي - قراءة نقدية لتأملات أفق المعرفة والشهادة- المقال منشور على هذا الرابط :

<https://abdelati.tripod.com/arabi/tamulat2.htm>

الا ان رد الاستاذ عمر، قد كان في نقطة واحدة يتعلق بمعلومة، كان قد تحصل لي من قبل نقيضها، وفي نقطة اخرى يتعلق بالمنهجية، وقد اوضحت له اختلافي معه فيها. وفي هذا وذاك، لم أجد في رد الاستاذ عمر حينها من المسوغات، ما يجعله يفترض ان مقالتي قائم على تصورات مسبقة، ومعلومات سماعية، واشاعات لا حظ لها من الصحة، وغيرها من الاحكام التي تفضل بذكرها في المقدمة، فوصل الى حسم الحوار قبل ان يبدأه.

ويواصل الاستاذ عمر فيقول:

(وحين تجنب المقال مؤلفات الاستاذ محمود، وحاد عن أفق المعرفة التي ادعى انه سيناقشها، ركن الى سماع الشائعات، والأقاويل التي أشاعها خصوم الفكرة، واصدقاؤها، ومن ذلك مثلاً قوله (بما لا ريب فيه ان محمود قد أوصى تلاميذه بتجنب الموت ومسايرة السلطة، حتى ولو وفق مبدأ التقية)!! ولقد سبق أن أوضحت له بان ذلك لم يحدث، ووعدني ان يبحث عن صحة هذه المعلومة، ويغير مقاله وقتها.. فلماذا ظهر البيان بنفس المعلومة المغلوطة، والتحليل الذي أعتمد عليها؟ الجواب قريب: وهو ان الكاتب قد بنى مقاله، على ان الاستاذ محمود صوفي، وأنه كان يرغب في الموت، ولذلك لم يرد لأصحابه ان يموتوا فأوصاهم بالتنازل، والتراجع عن الحركة.)^١

واعود وأؤكد مرة اخرى صحة ما ذكر عن حوارتي مع الاستاذ عمر، الا اني اصححه فاقول باني، حين لم يتح لي الوقت لتصحيح المقال، فقد اوردت المعلومة التي ذكرها لي في هوامش المقال، ونشرت المقال بهامشه ذاك على موقعي بالانترنت، واعاد نشره آخرون مع نفس الهامش، وفي هذا الهامش الذي كتبتة مباشرة بعد حوارتي مع الاستاذ عمر، اوردت التالي:

^١ المرجع السابق

"في حوار لاحق لي بعد كتابة هذا المقال، مع الاستاذ عمر القراي، اوضح لي وجهة نظره بان معلوماتي بهذا الصدد خاطئه، حيث لم يطلب الاستاذ محمود من اتباعه حينها التراجع عن افكارهم بل طلب منهم على العكس التمسك بها وتقديم التضحية، وقال القراي انهم ببساطة عجزوا عن ذلك. واذا كان الامر كما ذكر الاستاذ القراي، فان معظم الجزء الاخير من المقال الحالي يحتاج الى اعادة صياغته، الامر الذي سنقوم به - في اطار مناقشة فرضية استاذ القراي - في مكان آخر. ما يهنا ههنا انه حتى ولو صدقت معلومة الاستاذ القراي، فوجهة محمود للموت وحده وانشرحه في مواجته تثبت قسطا كبيرا من تحليلاتنا."

والشاهد هنا اني ذكرت معلومة الاستاذ القراي بحذافيرها، وزعمت بانها لو صحت، فهي ستغير الجزء الاخير من المقال، ووعدت بالرجوع اليها في مكان آخر. لكني اكدت ايضا، بان صحة المعلومة لن تغير الكثير من فرضيات المقال، كونها فرضيات عامة، تعتمد على قراءتي لمواقف الاستاذ محمود، وعلى العبرة من سيرة حياته. وافيد الآن بان هذه المعلومة كما ذكرها استاذ القراي لم تغير من رؤيتي العامة، وانما من تفاصيلها، ولا ازال اتمسك بالكثير من وجهة نظري التي وردت في ذلك المقال.

النقد ومنهج الجمهوريين:

يقدر الاستاذ عمر القراي:

(لم يتعرض المقال في صورته التي ظهرت عام ١٩٩٩ أو صورته الحالية، لجوهر الفكرة الجمهورية، وإنما أكتفى بأصرار الكاتب على أن الأستاذ محمود صوفي، وأن الصوفية لا يتدخلون في السياسة، ولا ينشعون التنظيمات، وأن موقف الاستاذ محمود يتناقض مع خلفيته الفكرية، وهذا في نظر الكاتب ما أدى الى مأساة الاستاذ محمود،

واقفاف حركته بعد ذهابه.. وكل ذلك تقرير خاطئ، كما سنوضح، ومع ذلك بنى عليه الكاتب مقاله.)^١

ان في تلخيص الاستاذ القراى لجوهر المقال فيما اعتقد، تبسيط مخل، فقد تناولت فيه العديد من المحاور، عدا صوفية محمود. كما ان المقال قد كتب عن الاستاذ محمود كشخص، وليس عن الفكرة الجمهورية في عمومها، وقد كان في مجمله مجرد تأملات في افاق المعرفة والشهادة التى اجترحها، وكان عنوانه الثانى، حول حياة واستشهاد الاستاذ محمود محمد طه. وهذا ان دل على شئ، فانما يدل على ان غرضنا لم يكن هو دراسة الفكرة الجمهورية بتفاصيلها، او سرد سيرة الاستاذ من ناحية تاريخية. وانما كتب المقال استقبالاً للذكرى ال ١٥ لاستشهاد الاستاذ محمود، وكان بمثابة وردة وددت لو اضعها على ضريحه، ومحاولة للوصول الى الحكمة من التجربة، والتى قال عنها الاستاذ محمود، بان التجربة التى لا تورث حكمة، تكرر نفسها.

ويواصل الاستاذ القراى فيقول:

(أدان المقال الجمهوريين بسبب عدم تقدمهم لآراء الاستاذ محمود فقال (إلا ان الظلم الحقيقي يتبدى في فشل معظم اتباعه ومؤيديه عن ان ينظروا بعين النقد والتحليل لنتائج فكره ونشاطه ومنهجه ..) والحق ان هذا واجب غيرهم من المثقفين، لان الجمهوريين مؤمنين بصحة، وصلاحيه، وواقعية أفكار الاستاذ محمود، وهو يسعون لمعيشتها، ويدعو بعضهم لاشاعتها وسط الناس.. فاذا كانت الفكرة الجمهورية تحتاج الى نقد، فان المناقشة الموضوعية تتوقع من المثقفين، ولقد كنت اود لو استطاع الاستاذ عادل، القيام بهذا الدور، ليضع ايدينا على الخطأ في صلب الفكرة، بدلاً

^١ المرجع السابق

من مطالبتنا نحن، بادانة الحق الذي لا مرء فيه.. أم لعل الاخ عادل يظن انه قد قام بهذا السور، بكتابه لهذا المقال الذي بين ايدينا؟!^١

ورغم ان الاستاذ عمر يبدا في صدر مقاله من التبدير، والقاء المسؤولية على الاخرين، الا انه في متن مقاله ياتي للموافقة على بعض ارائي، ويكيل من النقد للجمهوريين، ما لامسته انا مجرد ملامسه، ولا اعتقد اني في تقييمي للجمهوريين، ولردة فعلهم بعد مقتل الاستاذ، قد اختلفت كثيرا عن اراء الاستاذ عمر عن رفاق دربه، وحالة الانكفاء والنكوص التي ركبتهم، ولا تزال تتلبس الكثير منهم.

كما لا ازمع انا ان مقالتي ذاك المتواضع، قد قام بمهمة النقد والتحليل للفكر الجمهوري، وذلك بسبب ظروفه التي قام فيها، ولامكانياتي المتواضعة في هذا الصدد، ولاسباب اخرى. إلا اني قد حاولت مقارنة هذه المهمة، حين كتبت مقالا بعنوان: "الإخوان الجمهوريون تحت منظار النقد والتاريخ ١٩٤٥-١٩٨٥"، والذي قمت بنشر الجزء الاول منه على الشبكة العالمية، وبعض الصحف . وقد تفضل الإخوان ياسر الشريف وعمر عبد الله بالرد على بعض اطروحات هذا المقال، وتصحيح بعض المعلومات. ورغم اني قد اخذت بعين الاعتبار تصحيحاتهما فيما يتعلق بالاحداث، الا اني احتفظت برأيي كما هو فيما يتعلق بالتحليل، والذي يعتمد على منهجي ونظرتي، وليس منهج الجمهوريين او نظرتهم.

وفي الرد على كل من المقالين، عن محمود والجمهوريين، والذين حرصت على ارسال نسخ منهما الى بعض الجمهوريين للاستئناس بارائهم، فقد كانت بعض التعليقات حادة جافة، في اسلوب لم اعده من الجمهوريين، وكنت اتمنى لو كان الاحترام مشتركاً، والنظر بعين العطف

^١ المرجع السابق

الى الاجتهاد مبذولاً، حتى ولو ارتكب صاحبه الاخطاء، طالما كان مبتغاه الحقيقة وحاول ان يلتزم فيه بقواعد البحث والمراجع المتوفرة.

الجذر الصوفي والنشاط السياسي:

يقول الاستاذ عمر:

(أورد المقال شذرات من بعض آراء الصوفية دون أن يناقشها، وكأن خطأها أمراً مفروضاً منه، ولقد كانت العلمية تقتضي ان يورد دفعهم عنها، وشرحهم لها، حتى لا يظن القراء ان أصحابها أوردوها بهذه الصورة المبتورة، ودون حجة من صريح النصوص..)^١

وفي الحقيقة فقد دهشت لهذه الفقرة. فحين اوردت شذرات من اقوال الصوفية، فلم أشتر تلميحاً او تصريحاً أنها خطأ، ولم افترض الخطأ فيها. وانما اعتمدت عليها كنصوص تفسر رؤيتي لمأساة محمود، وذلك مثل قول الجنيد " لا يبلغ أحد درج الحقيقة، حتى يشهد فيه ألف صديق، بأنه زنديق"، وفي متن النص اوردت اقوالاً لبعض الصوفية، وذلك لمقاربة الإتفاق والإختلاف بينها وبين اطروحات الاستاذ محمود، ولم يكن موقفي منها في كل ذلك موقف الحكم، ناهيك ان افترض خطأها او ادفع القارئ الى هذه النتيجة، والتي لم تطرأ على بالي، ولا أدري تحت اي ظرف توصل اليها الاستاذ القرابي.

بعد هذه المقدمة، حاور الاستاذ عمر اطروحاتي في ثلاثة محاور رئيسية، وهي صوفية الاستاذ محمود، وتقييم الجمهورين ما لهم وما عليهم، وبؤس النقد اليساري للفكر الجمهوري، وفي هذا الصدد فاني أعلق ببضع جمل عامة، دون الدخول في التفاصيل.

^١ المرجع السابق

أما حول صوفية الاستاذ محمود، فقد أورد الاستاذ عمر ما يراه من طريق الصوفية، ومن مقاربتها لسنة الرسول، ومن تقدير الاستاذ محمود للصوفيين. وهو في كل هذا وذلك لم ينقض ما رأيناه من تماهي الفكر الصوفي مع الفكر الجمهوري، وقد رأينا نحن ان منهج الاستاذ محمود، حين يتقارب مع الصوفية، الا انه ايضا يتقاطع معها، فكتبت:

"أن محمود في فكره، يتماهى مع الحلاج والسهروردي وابن عربي، وان كان في صورة سودانية معاصرة، أي بالشكل الذي فرضه واقع الزمان والمكان الجديدين

إن محمود بتنظيمه للحزب الجمهوري، ومن بعد للإخوان الجمهوريين، قد خالف طريق الصوفية الفردي، فإذا كانت العلاقة بين الصوفي والمريد، بين الشيخ والحوار، بين القطب والسالك، هي علاقة فردية قائمة على الاتصال الشخصي والتأثير المباشر، فان محمود حاول بناءها عن طريق تنظيم، رابطة، جماعة، تغيير اسمها من الحزب إلى الإخوان، إلا إنها احتفظت دائما بصورتها كتنظيم له أفكاره الفلسفية والاجتماعية وله نشاطه السياسي.

ومن الطبيعي أن نمو الأحزاب السياسية والنقابات ومعرفة الاستقلال، وهي الأحداث التي عاصرها محمود، ووجود ونشاط التنظيمات الدينية القديمة والجديدة، في شكل طرائق دينية أو طرق صوفية أو حركات سلفية، قد فرضت على أي مفكر جاد الانخراط في درجة من درجات العمل التنظيمي والفعل الاجتماعي والسياسي.

إن محمود في سعيه لنشر فكره، قد كان مواجهاً بمشكلة الأداة، وقد اختارها بان يطرح كل أفكاره أو جلها في كتبه وإصداراته، حتى يتصل بها مع تلاميذه ومؤيديه، لكنه بهذا طرحها أمام الجميع، فعرضها بذلك لسوء الفهم -أو سوء النية - المعشعشة في البيئة السلفية، التي حاصرت بها المؤسسات الدينية الرسمية المسلم العادي في وسط وشمال السودان لعشرات السنين."

انى وان ان زعمت مماهة سيرة الاستاذ للسهروردى والحلاج، بنهايتهما
المأساوية، الا انني رايت ان قتل كل منهم قد كان لاسباب سياسية،
حيث كتبت:

" وفي الحقيقة فهناك تشابهات مذهلة ما بين شخصية محمود ومصيره وشخصية الحلاج
ومتناه - يذكر هادي العلوي أن الحلاج قد قتل لتأسيسه تنظيم سري لمعارضة
السلطة، وليس لشطحاته الصوفية - ومحمود رغم انه لم يذهب إلى مرحلة الحلاج،
من معارضة السلطة منذ البدء أو تصريجات الانجذاب، الا انه قد قتل حتما
لاسباب سياسية."

ان هذا الذي ذكرت، يقف في تناقض واضح مع النتيجة التي توصل اليها
الاستاذ عمر القرابي، حيث يكتب:
(ولعل غاية ما يرمي اليه الاخ عادل، هو ان يؤكد ان الفكرة الجمهورية، ليست
فكرة سياسية قادرة على تغيير المجتمع.)^١

الاضطراب عندي ام عند الجمهوريين؟

ويمضي الاستاذ عمر، في تحليل طويل لسلوك الاستاذ محمود
السياسى، ليصل لاثبات - ما يزعمه من التناقض والاضطراب في
تحليلاتنا، الذي اشار اليه في البدء، حين قال:
(اسم المقاتل بالاضطراب، فتأرجح بين الشناء على موقف الاستاذ تارة، وبين أدانته
تارة أخرى، فهو مرة يقول (قد رفض محمود التعامل معها (الحكمة) وهذا وان كان

^١ المرجع السابق

بتقدير سياسي يحسب في دائرة الخطأ... ومرة أخرى يقول (ان محمود بهذا النص القصير (امام المحكمة) قد سجل تقدماً في الفهم السياسي لطبيعة النظام القائم (!) ' وأني ازعم أن لا تناقض ولا اضطراب، فموقف محمود الكلي بعدم التعامل مع المحكمة احسبه في دائرة الخطأ السياسي، حيث كان يجب اتخاذ موقف أكثر ايجابية من مجرد المقاطعة. وفي هذا لا أدعو انا الى الانكسار للقانون الظالم وقضاة السوء، كما فعل الاب فيليب عباس غبوش، وانما الى مقارعة الجلادين، وهزيمتهم حتى في المحاكم، والاستفادة من التحركات الشعبية، والتي حصرها الجمهوريون في أنفسهم، بمسيراتهم السلمية. ورفضوا التنسيق مع الآخرين، لبناء جبهة مقاومة لمحاكمة الاستاذ، ولتسيير المظاهرات ضدها - وهذا ما حدث في عطبرة مثلا - وفي كل هذا فقد ضيعوا فرصاً للعمل المعارض لا تعوض.

اما تقييمي العالي لمقولة الاستاذ امام المحكمة، وهي تفصيل خرج به عن عموم رفض التعامل، فينبع من تسجيلها لتطور موقف محمود ووصوله الى قناعات راسخة مع الديمقراطية والتعددية وكرامة الانسان، ومقاربتة للفكرة العلمانية، وقطعه لآخر الخطوط مع النظام المايوي، والذي وقف معه الجمهوريون في كل تقلباته حتى العام ١٩٨٣. وأني اذ احى الاستاذ عمر في ابصاله لنا المعلومات عن تطور حركة الجمهوريين بعد مقتل الاستاذ، ونقده لبعض المواقف والاراء والسلوكيات، من موقعه هو كجمهوري، فاني لا ازال احتفظ بارائي التي سطرته في ذلك المقال، واضيف اليها في تقييم الجمهوريين ما كتبه عنهم تحت منظار النقد والتاريخ، وهو مقال اعد بنشر الجزء الثاني منه قريبا بالشبكة العالمية.

^١ المرجع السابق

بؤس النقد اليساري؟

وتبقى نقطة اخيرة، وهي متعلقة ببؤس النقد اليساري، والذي احسب ان الاستاذ عمر يضمني اليه، حيث كتب في متن مقاله:

(ولعل غاية ما يرمي اليه الاخ عادل، هو ان يؤكد ان الفكرة الجمهورية، ليست فكرة سياسية قادرة على تغيير المجتمع، وهو ليصل الى هذا التقرير المريح، لكافة الحركات العلمانية، واليسارية بصورة خاصة، حاول جمده، ان يركز على ان الاستاذ رجل صوفي، وليس رجل سياسة.)^١

انني حين بدأت كتابة المقال مثار الحوار، لم ارم كما ذكرت الى تقييم الفكرة الجمهورية في مجملها، او الإخوان الجمهوريين، وانما حاولت ان استشف كنه هذه الشخصية العظيمة المعقدة في آن، وان أصل الى محرکها الاول في سلم القيم. ولم أنف ان لمحمود وجهه السياسي، وان رأيت ان وجهه المعرفي - الصوفي - السلوكي اهم كثيرا من وجهه السياسي - الاجتماعي.

واعود هنا واكرر باني إذا نظرت للاستاذ محمود كقمة من قمم الفكر والمواقف والانسانية في مجتمعنا السوداني، فانني انظر الى جماعة الإخوان الجمهوريين كجماعة تضاءلت كثيراً عن أن تلحق بخطاها، سيرة مؤسسها العظيم. ويكون تقييمي النهائي لها سلبياً، وهي ابعد عندي ما تكون، بصورتها السابقة والراهنة، عن تقديم اجابات واقعية وشفافية لحاجيات المجتمع السوداني، وبعيدة كل البعد عن التقديمية التي يراها فيها بعض اتباعها او المتعاطفين معها.

^١ المرجع السابق

الا ان موقفي هذا لا ينبع من حسابات سياسية، فقد كنت من المعارضين لاصدقائي اليساريين الذين رأوا في هذه الحركة في فترة ما تريباقاً ضد الحركة الاصولية، وان فكرها يمكن ان يشكل ايدولوجية للتجديد الديني في السودان. ودعوت ولا زلت أعو الى ان يحدد الجمهوريون والليبراليون واليساريون اراءهم واضحة في القضايا المفصلية للمجتمع السوداني، من قضايا الهوية الثقافية والتعددية ودولة القانون والعدالة الاجتماعية وحقوق المرأة والشباب والقوميات المهمشة. كما دعوت أكثر من مرة لأن يُعمل الجميع اداة النقد والمراجعة لكل آتهم الفكرية والسياسية والتنظيمية، وذلك لتجديد الحياة الفكرية والسياسية في السودان، وبذلت جهدي في محاوره التيارات الرئيسية للفكر السوداني، حسب ما اتاحت لي معرفتي المتواضعة، وفي هذا الإطار كان اهتمامي بالفكر الجمهوري وكانت كتابتي لهذا المقال.

والشكر والتقدير للاستاذ عمر القراري على مقاله والشكر موصول للذين اعدوا نشر مقالي فاتاحوا بذلك فرصة هذا الحوار.

٩ اغسطس ٢٠٠٢

من رسالة الى صديقة جمهورية

أما ما ناقشته عما ورد من آراء في مقالي عن الاستاذ محمود، فلك الشكر على كلماتك اللطيفة، والتي تشعرنى بان هناك صدئ لما اكتبه وأفكر فيه. وفي الحقيقة فرغم تعميمي لهذا المقال فى الانترنت، وطلبي من العديد من الاصدقاء والمهتمين ابداء رأيهم فيه، فقد جائنى الرد من بعض الاصدقاء فى بولندا - حيث اقيم - ومن الاستاذ عمر القراي، والذي قدم رده لي معلومات مهمة، ساضمنها فى اي محاولة قادمة لاعادة كتابة هذا المقال وتعميمه على نطاق اوسع، وفيما عدا ذلك فقد فضل الكثيرون الصمت الدفين، فشكرا على الاهتمام.

وفى الحقيقة فان اهتمامى بالفكر الجمهورية ودور الاستاذ قديم، حيث كنت طوال فترة المدرسة المتوسطة على علاقة قريبة بالجمهوريين فى عطبرة، والتهمت حينها معظم كتابات الاستاذ ومطبوعات الجمهوريين. وقد كنت قريباً من الانضمام لهم، الا ان ما منعنى حينها ما كان من موقفهم المؤيد للنظام - قبل قوانين سبتمبر ١٩٨٣- المكروه بيولوجياً من العطبراويين، وما صاحب نشاطهم من روح سلمية، كانت تتناقض مع العنف المستخدم ضدهم من قبل الإخوان المسلمين وانصار السنة، وموقفهم السلبي من الشيوعيين، والذين كنت اكن لهم احتراماً كبيراً، وجملة من المواقف والافكار، والتي كانت تتناقض مع شخصيتى حينها، إلا أننى ظلت أكن لهم كل احترام، الأمر الذى تضاعف بعد وقفة الاستاذ الصلبة أمام السفاح نميري، واكتشافاتي اللاحقة للدور الكبير الذى لعبته هذه الشخصية فى الفكر السودانى.

إلا ان هذا الإحترام والتقدير والتضامن، قد كان مرتبطاً بروح نقدية عالية تجاه ما رأيته سلبياً ومفراطاً في الغيبية من اطروحات الاستاذ والجمهوريين. وقد سطرت بعضاً من ذلك في دراسة طويلة عن الجمهوريين والفكر الجمهوري كتبتها قبيل عدة سنوات. ورغم أني وقتها قد كنت متأثراً بالمنهج المادي التاريخي في نمط تفكيري، إلا أني لا ازال احتفظ بالكثير من الانتقادات لبعض ابجديات الفكر الجمهوري، والذي أعتقد أنه إذا أراد التطور والإنتشار، فلا بد من إعادة قراءته ونقده وتجاوزه، ضمن عملية شاملة من النقد والنقد الذاتي في مجمل مدارس الفكر السوداني. إلا أني لا أرى في أغلب الجمهوريين الآن من له الرغبة والقدرة في انجاز هذا التطوير، والذي بدونه سيبقى هذا الفكر مرتبطاً بالاستاذ، مقيداً بحدود تجربته الذاتية والفكرية، المحدودة في الزمان والمكان، وأنت تعلم أن أقرب الطرق لقتل فكرة هو تحييطها وتقديسها، والتعامي عن قصورها، وهو منهج أكثر ضرراً من تعامل الاعداء.

من هذا المنطلق انظر الى ما كتبته عن منبع افكار الاستاذ، حيث عزيتها أنا إلى اختيار صوفي وبحث فلسفي، ورأيته انت الهاماً من عند الله. وفي الحقيقة فان هذه إحدى انتقاداتي للجمهوريين، وهي مدى الغيبية الطافح الذي يصفونه على شخصية وعمل الاستاذ محمود. ان قراءة سريعة لمؤلفات الاستاذ، ومحاوراته مع مدارس الفكر السلفي والليبرالي والماركسي، واراته حول جملة من القضايا الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، توضح عمق الجهد الذي بذله الاستاذ في متابعة تيارات الفكر المعاصر، وفي دراستها وهضمها ونقدها، كما توضح الطابع الانساني لاجتهاداته.

لا أنفى هنا دور العامل الغيبي في تكوين شخصية الاستاذ ونظرتة الى منبع أفكاره. فالانسان مهما كان عبقريا فهو محكوم بقصور شخصه وحدود تجربته. ولكنني اعتقد أن إرجاع افكاره لمجرد إلهام إلهي، يحرمانا من تقدير جهده الفذ في بحثه عن الحقيقة، ويحوله من انسان مفكر

وفاعل، الى مجرد منفعل وناقل. فهذه النظرة فوق طابعها المثالي والبعيد عن حيثيات الواقع، تجعلنا نقف عاجزين عن اي محاولة لمقاربة افكار الاستاذ وتطويرها ونقدها، فما ياتي كإلهام إلهي لا مجال للحوار معه، فاما ان نتقبله كله او نرفضه كله، وما بين المصدقين بالهام الاستاذ، والمتخرصين عليه والزاعمين بارتداده، تضيع الحقيقة العلمية، وتضيع شخصية الاستاذ كإنسان عظيم، خط باحرف من نور سجلاً فذاً للفكر والمواقف، ولكن كان له ما له من الهفوات والقصور الفكري والسياسي، والذي هو من طبائع البشر والاشياء.

ان روح التقديس والإكبار هذه، لهي من اعدى اعداء تطور الفكر، وهي في الحقيقة لا تقتصر على الجمهوريين، وانما تتعداهم الى مختلف مدارس الفكر السوداني، بما فيها مدرسة اليسار الماركسي، والتي يفترض ان تكون أبعد ما يكون من منطق التقديس - وهذا في مجموعه يرجع الى انعدام الروح النقدية في مجتمعاتنا، وإلى سيطرة الفكر الاسطوري على تراثنا وتاريخنا، وهذا ما يفسر- جزئياً- روح التطور المازوم الذي يعاني منه مجتمعنا، والى الثبات في الافكار والتحنط في القديم الذي تتصف به معظم نخبتنا واغلب جماهيرنا.

انني في مخطوطتي التي ذكرت عن الفكر الجمهوري، قد حاولت مقارنة بعض هذه القضايا، ونزع الحجب الاسطورية عن فكر الاستاذ. الأمر الذي لا ازمع النجاح فيه، ولكنها كانت خطوة اعتقد باهميتها، ومن الناحية الاخرى، فقد قمت بأمر مماثل في مخطوطتي عن الشهيد عبد الخالق محجوب، وهو شخصية اخرى فذة في تاريخ الفكر السوداني، وحاولت فيها نزع الغيبية المادية هذه المرة، والتي أضفاها عليه انصاره. ستجد هاتان المخطوطتان طريقتي للنشر في القريب العاجل، ولكني اعدك بارسالهما لك قبل نشرهما العام. من الجهة الاخرى فانا مدرك لمكامن القصور في شخصيتي ومعارفي وتجاربي، والتي يمكن ان تلقي بظلالها على قراءاتي هذه، وفي الحقيقة فانني قد غيرت في السنتين الاخيرتين

الكثير من رأيي حول بعض افكار الاستاذ، وأعكف الان على كتابة دراسة عن السنوات العشر الاولى من نشاط الاستاذ والحزب الجمهوري، اي الفترة ١٩٤٥-١٩٥٥، باسم "اعادة اكتشاف محمود - قراءة في الكتابات الاولى للاستاذ".

ساحول في هذه الدراسة القادمة مقارنة الافكار السياسية والاجتماعية للاستاذ في هذه الفترة، واحاول توضيح طابع بعضها العبقري. من الجهة الثانية فان هذه القراءة ستحاول متابعة التغيرات والتطور الذي حدث في الفكر الجمهوري فيما بعد، وحصص الثابت والمتحول في اجتهادات الاستاذ. لم ينظر او يحلل معظم الجمهوريين التغيرات التي تمت في اطروحات الاستاذ، وخط التطور الذي حكمها، وربما كان ذلك لسيطرة الروح الغيبية على نظرتهم، (النظر لهذه الاراء كإلهام إلهي) وانعدام النظرة النقدية والعلمية في تجربتهم، والتي يمكن ان تساعد في التأريخ للفكرة من جهة، ومن الجهة الثانية في اكتشاف الجوهرى والسليم فيها، استهدافاً لتطويره والانطلاق به الى افاق جديدة".

العقل والعقلانية ومنهج الجمهوريين - ردي على رد الدكتور قصي همرور حول نظرية المعرفة عند الجمهوريين

كتبت في عام ٢٠٠٤ مقالاً عن "نظرية المعرفة عند الجمهوريين" - وقد رد علي الدكتور قصي همرور بعدة مداخلات^١ كان ردي عليها كالتالي (دون العناوين التي اضفتها لاحقاً):

نظرية المعرفة عند الصوفية والجمهوريين:

حديثك عن المعرفة - عند الجمهوريين والصوفية - لا يختلف كثيراً عما قلته انا، سوي إنك اضفت كلمة الفكر، كاحد مكونات او ادوات المعرفة، ويبدو لي ان هذا القول فيه نظر، حيث ان المعرفة عند الصوفية- والجمهوريين، انما هي حصيلة ممارسة وتعبد وتقوى (واتقوا الله ويعلمكم الله)، او كما قال ابايزيد البسطامي: (جلست على هذا الدرج عشرين عام، لا اسمع شيئاً إلا من قلبي، ثم جلست عليه عشرين عاماً اخرى، لا اسمع شيئاً إلا عن ربي)، او كما قال.
من الناحية الاخرى، فان الفكر عند الصوفية، او قل النظر العقلي، هو ثانوي وليس اساسي، وهو يعبر عن تاثرهم بالفلسفة، وليس أصيلاً في

[https://sudaneseonline.com/cgi-](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)

[bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)
[^٧٢٠&rn=13](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)

[https://sudaneseonline.com/cgi-](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)
[bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)
[^٧٢٠&rn=24](https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=107982)

دعواهم، وقد انطبق نفس الامر على الشيعة وغلاتهم، وهم أصحاب نظرة يحيلون فيها المعرفة لآل البيت، وكذلك النقليين النصيين من السلفيين، ممن حاربوا الاتجاه العقلي في الفلسفة الإسلامية، ولكنهم مع ذلك استخدموا المنطق الشكلي في محاججاتهم، وبذلك فان الصوفية هنا، او الجمهوريون، في تطعيمهم لطريق المعرفة السلوكي القلبي عندهم، ببعض الفكر او النظر العقلي، ليسوا استثناء.

ما يثبت ان الصوفية - والجمهوريين في زعمي يسيرون على طريقهم، لا يؤمنون حتى في امكانية ان تصل بهم المعرفة الي غايتها، اي معرفة الله، او الحق، او الحقيقة، ما قاله مثلا ذو النون المصري، وهو يعد من فلاسفة المتصوفة، ومستخدمي الحجج العقلية وسطهم، حينما سئل عن التوحيد فقال: "هو ان تعلم ان قدرة الله تعالي في الاشياء بلا مزاج، وصنعه للاشياء بلا علاج، وعله كل شي صنعه، ومهما تصور في نفسك شي، فالله خالفه".

كما يقول احمد ابن عطاء: "المعرفة معرفتان، معرفة حق، ومعرفة حقيقة. فمعرفة الحق معرفة وحدانيته، على ما أبرز للخلق من الاسامي والصفات. ومعرفة الحقيقة على ان لا سبيل اليها، لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية". وقد استشهد الاخير بالآية: "ولا يحيطون به علما".

هذا ما يوصلنا الي ما قلته انت عن ان:

" الحيرة علم.. إذ أن إدراك العقل لمجزه هو في حد ذاته إدراك.. يقول الصوفية.. زدني بفرط الحسن فيك تحيرا.. كما يقول الشاعر الجمهوري.. وتجلت الأسرار في حيرة المحترار وبدا هو الخافي"،

وهذا عندي من تناقضات الجمهوريين والصوفية، حيث ان الحيرة والشك ليستا علماً، وان كانت تحض علي العلم، وقد تمت الاشارة الي كل هذا في حوار الاستاذ محمد محمد علي، مع الاستاذ محمود، والذي

تابعناه على بوست مجاور، ولا أعلن لك سرا إذا قلت إني في ذلك الحوار أقف في جانب محمد محمد علي، أكثر مما أقف بجانب الاستاذ محمود. اما حديثك يا قصي عن جملتي التي اوردت فيها ان المعرفة عند الجمهوريين ليس هدفها الله، وانما هو وسيلتها، وان الهدف هو محبة الله. فاقول ان نقدك صحيح، فالجملة كما اتت عندي غير دقيقة، وهذه مشكلة الكتابة المستعجلة، ولو اعدت صياغة الفقرة لقلت: "إن المعرفة عند الجمهوريين ليس غرضها الله فحسب، وانما هو كذلك وسيلتها، وان أقصى الغاية عندهم بعد معرفة الله، هي محبة الله" الخ.

هذه الاخطاء بسقوط بعض الكلمات، او الاتيان بكلمات لا نقصدها، تتكرر عندي، وفي نفس هذا النص وجدت جملة " والتحرر التقليدي من قيود الجسد والشهوات"، واندعشت لها، حيث اني كنت اقصد " والتحرر التدريجي من قيود الجسد والشهوات " ، ولا اعلم من اين انت كلمة التقليدي، ولأني في الفترة الاخيرة اكتب علي الكومبيوتر مباشرة، ومرات تكون سرعة الافكار اكبر من سرعة الكتابة، فتأتي كلمات من جمل اخري، او تسقط كلمات الخ، وعلي كل حال فعند فرويد نظرية كاملة حول اخطاء الكلام والكتابة غير المقصودة ، لها طرافتها ودرجة من الصحة.

تفسير محمود محمد طه للقرآن:

اما تفسير الاستاذ محمود، للعديد من آيات القرآن، تفسيراً - أو تأويلاً - لا يجد له سنداً من اسباب النزول، ولا من مقتضيات اللغة، فهو يسير في ذلك في طريق الصوفية، وبعض الشيعة، واصحاب المعرفة الباطنية (الغنوصية)، وهو كما قلت تاويل، لا تفسير. وكل هؤلاء اعتمدوا على الآية التي تقول: "وما يعلم تأويله الا الله، والراسخون في العلم". وانت طبعا فوق ما ذكرت، مما اورده عن القرآن (الكتاب)، تعلم ان البعض قد ذهب في

تعظيمه للقرآن، حد ايصاله الي درجة استحاله فهمه للعوام، ومن هذا التقسيم للقرآن الي ظاهر وباطن، وحقيقة وشريعة الخ.

من الناحية الاخرى، فان منهجاً كهذا، يؤدي الي تعريب الانسان، وقبل كل شي الانسان البسيط، عن النص (الكتاب)، وتركه حكراً للراسخين في العلم، يؤلونه كما يشاءون، بما وهبوا من العلم اللدني، ويذهب كل منهم الي تاويله، بما يناسب رؤيته، وقد ذهب غلاة الشيعة من الاسماعيلية وغيرهم، مذاهب شتى في تاويل الكتاب، وفي غياب المعايير الموضوعية - اسباب النزول، تفسير الرسول ومقتضيات اللغة، فان القرآن بهذه الطريقة يستحيل سراً مغلقاً، ما علينا الا اتباع احد الراسخين في العلم، كيما يؤله لنا، وهذا منهج غير علمي وغير تاريخي في التعامل مع النص القرآني، الذي جاء مخاطباً للناس كافة، في ظل ظروف معروفة رصدت في الكتب التي تحدثت عن اسباب النزول، وفسر ما اغتلق منها، باحاديث النبي الكريم، ولا يمكن له ان يخرج عن حدود ومعاني الزمن الذي أتى فيه، واللغة التي نزل بها، وهي لغة لها ضوابطها، كاي لغة اخرى. الشاهد هنا، أنك لا تنفي صحة تحليلي، بان تفسير (او تأويل) الاستاذ محمود للنص القرآني، او الحديث النبوي، لا يعتمد لا على مرجعية اسباب النزول، ولا على مرجعية اللغة، بل على مرجعية اتيان الفهم من الله، والاذن له في الكلام. وهي مرجعية إذا كانت مقبولة عندك، بالتصورات التي تحملها عن الإسلام والقرآن، فهي غير مقبولة عندنا، طالما كنا ننظر للنص، بما فيه النص الديني، كونه نص للانسان، يمكن فهمه وتفسيره في اطره التاريخية واللغوية والمنطقية، ويكون هذا التفسير ممكناً للجميع، طالما عرفوا هذه الاطر، دون حاجة الي علم لدني لهم، لا سبيل لتاويله او التاكيد منه، بحال من الاحوال.

محمود محمد طه والتحليلات العلمية والتنبؤات:

وتتحدث يا قصي عن التحليلات العلمية في اسهام الاستاذ محمود، ومن بينها تنبؤه بان الاستقلال سيعلن من داخل البرلمان. وانا هنا لا انفيها، ولا انفي ذكاء الاستاذ محمود، ولا سعة اطلاعه، ولا حتى عبقريته الفذة. ويمكنني فضلا عن ذلك، ان اتى لك باستشهادات عديدة، عن موقفه من الاستقلال السياسي الشكلي، والحرب الاهلية التي ستندلع، ورايه حول تنظيم الإخوان المسلمين وكيف سيصل الي السلطة ويسوم الشعب العذاب، وكيف سينشق على نفسه، الخ الخ من هذه التنبؤات السياسية العبقرية، والتي اثبت التاريخ صدقها

ولكن هذه التنبؤات، ليست قاصرة علي الاستاذ محمود، بل هي خاصية لكل من امتلك سعة الافق وعمق المعرفة وبعد الرؤية، وقد كان الشهيد علي عبد اللطيف، يقول في الثلاثينات والاربعينات، ان موقع قناة السويس سيكون موضع حرب، وقد تم هذا الامر في ١٩٥٦، الامر الذي يوضح سعة أفقه ونظراته الاستراتيجية، ولكن كل هذا يبقي في إطار العلم المكتسب بالوعي والتجربة وتمحيص المعلومة المتوفرة والقدرة التحليلية، وهي امور لا علاقة لها بالعلم اللدني.

من الناحية الثانية، فانت تشير الي ما نتفق عليه - عبقرية محمود وسعة أفقه وقوة تحليله - وتتجاهل ما لا نتفق عليه، وما اثبتناه بقول محمود وكتابته، من ان العلم الاساسي عنده هو علم ياخذ الانسان كفاحا عن الرب - او القرآن-، وان الرسالة الثانية يقوم بها "رجل اتاه الله عنه الفهم للقرآن، واخذ له بالكلام"، وهذه افكار مركزية عند محمود، بدليل انه اتى بها في مقدمة واحد من اهم كتبه، فهل اخطأنا اذن عندما بان طريق المعرفة عند الاستاذ هو طريق حدسي قلبي، أكثر منه عقلي مخبري؟

الثابت عندي ان قوة تحليل الاستاذ محمود، في المسائل الدنيوية، لا تثبت باي حال صحة المعارف اللدنية، وإذا اتفقنا - او اختلفنا - في الاولي، كونها خاضعة للبحث والنقاش والبرهان الخ. فان لا سبيل لنا مطلقا، لان نتأكد من الثانية، وليس لنا الا ان نؤمن بانه هو ذلك الرجل الذي اذن له بالكلام، او نحاجج في ذلك، ونطالب بالاثبات، حيث الموقع موقع ايمان لا اثبات، وموقع قلب لا عقل. ومما لا شك فيه ان من يؤمن بالثانية - اي معارف الاستاذ اللدنية - سيؤمن قطعاً بكل اجتهادات الاستاذ الدنيوية - وما هي مقارنة بالعلم اللدني؟ -، وسيذهب الي المبالغة بان التاريخ كانما كان يتبع الاستاذ كتلميذ، ونحن نزعم ان الاستاذ ونحن والدين والانسان، خاضعة لقيوانين الكون والتاريخ.

العلم اللدني ومصادر الفكر:

تفسير اراء الاستاذ الدينية بالعلم اللدني، من قبيل رجل اتاه الله عنه فهم القرآن، واذن له بالكلام، تتجاهل ما اشار له الكثيرون من تاثر الاستاذ محمود بالفكر الصوفي، بل وتأثره ببعض المناهج الغربية، كما تتجاهل تاثر الفكر الصوفي نفسه بالفلسفات القديمة من اغريقية وهندية وصينية، وعلاقته بالتشيع، وعلاقته حتي بالانجاهات العقلية التي رفضت الطريق السلفي - فلسفية كانت كمحاولات الفارابي، او موسوعية عقلية صرفة كإخوان الصفا، او عقلية إسلامية كالمعتزلة، وتقطع الفكر عن جذوره، وتجعله معلقاً في الفضاء، وعندها لا يمكن تفسيره الا من كون عبقرية صاحبه، أو توفر المعارف اللدنية له .

إن البوستات التي نشرت خلال الاسبوعين الاخيرين، تثبت ان الاستاذ محمود كان متابِعاً جيداً للمشهد الثقافي المحلي والعالمي، وانه قد نهل عميقاً من نهر الصوفية، وأنه قد جود ادوات المعرفة التقليدية من معرفة وضعية او دينية، ثم عاد وسكب كل هذا في بنيان خاص به، دون

ان يشير للأسف للمؤثرات الفكرية التي احتكم لها، ولا ان يرجع بعض الافكار الي أول من قال بها، فكان أن ظن البعض، ولم يمنعمهم من ذلك منهج الاستاذ محمود، أنه قد توفر علي العلم اللدني، مع إن القراءة التاريخية النقدية لكتابات الاستاذ، يمكن ان ترجع كل فكرة، بل كل جملة فيها، الي اصلها الأول في تاريخ الأفكار، دون أن يعني هذا انتقاصاً من عبقرية الاستاذ، او تقليلاً من جهده العظيم .

أعلن مفكر آخر، ماركس، صراحه ان منهجه قائم على ثلاث دعامات سابقة له: الإقتصاد السياسي الانجليزي، والفلسفة الالمانية - الهيجيلية -، ومدارس الاشتراكية الفرنسية، ويمكن ان نري في كل عمل له، وفكرة، وجملة، اثرأ من إحدى هذه المكونات الثلاثة، ولكن هذا ايضا لا يقلل من قيمة الرجل، وكونه من هذه الدعائم، قد خلق بنياناً جديداً، أصبح ينسب اليه، مع معرفة الجميع بجذوره والمكونات الثقافية والتاريخية له.

يبقي اذن من واجب العاملين بتاصيل تاريخ الافكار، اكتشاف دعائم الفكر الجمهوري، ونزع الغلالة الغيبية التي رسمها مؤسسه وتابعوه حوله، وإرجاع هذا الفكر لاصوله التاريخية والمرجعية، ولظروفه الاجتماعية والثقافية التي نما فيها وتطور، حتى نكتسب الحكمة الكامنة من هذه التجربة، وحتى نقيم حواراتنا على اساس من العقل، والتقييم السليم للاشياء والمواقف والاشخاص.

نأتي بعد هذا يا قصي لما اوردته من مقتطفات من اقوال وكتابات الاستاذ محمود، والتي يحث فيها اتباعه على احترام العقل، وإعمال الفكر الحر. ومما لا ريب فيه عندي، ان الاستاذ محمود قد كان ذلك المفكر الحر، والانسان الحر، الذي يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم لا يكون من عمله الا الخير للاشياء والاحياء.

هذه الدعوة مع ذلك، تتناقض مع مبدأ العلم اللدني، وتتناقض مع فكرة اتيان العلم عن الله، ثم اتيان الاذن منه. فمن يجعل حرية الفكر، واحترام العقل مبدأه، لا يجعل لاحكامه مصدرا غير العقل، ولا يرجعها لعالم

الشعور، او قل هو يتخذ من هذا العقل منطلقا، ومما لا ريب فيه، ان مقولات الاستاذ محمود عن النبوة، وعن صاحب الرسالة الثانية، توضح انه يقف مع المنهج الشعوري -اللدني في أصل المعرفة، لا المنهج العقلي الفكري. او على الاقل هناك تناقض ما بين اقواله التي اوردها هنا، وتلك التي اوردها أعلاه.

الفكر الحر واحترام العقل:

من الناحية الاخرى، فان إعمال الفكر الحر، يجعلنا نذهب الي الفكرة الجمهورية لا يمكن ان تكون خلاصة التجربة الانسانية، ما دامت التجربة الانسانية مستمرة في سيرورتها، وما دام مصدر التجربة عند الجمهوريين، الذي هو الله، "كل يوم هو في شان". ان اعتبار فكرة ما هي الخلاصة، انما هي ايقاف لحركة الفكر، ولحركة الحياة التي تدير عجلة الفكر، وفي هذا السياق اذكر تناقض الماركسيين، والذين يقيمون دعواهم على نظرية تقول بديمومة التطور والتغيير، ثم ارادوا للتاريخ نهاية واحدة ليس بعدها شي - مرحلة الشيوعية -، ضاربين بذلك منهجهم في الصميم، ولا يختلف عنهم مدعي الليبرالية فوكوياما، والذي أعلن نهاية التاريخ، ومجئ الانسان الاخير، ولم يكن يعلن الانهية تاريخه هو، وان الانسان لا يزال في كدحه يسعى، ولا انسان اخير الا ببلوغ الخلود، او نهاية الكون.

إن إعمال العمل، والفكر الحر، يجعل من الفكرة الجمهورية ذاتها، هدفا للدراسة ، ومن كتابات الاستاذ، هدفا للنقد والتحليل، الامر الذي لم نلحظه وسط الجمهوريين، حيث انهم علي استعداد لنقد كل شي، ما عدا اسهامات الاستاذ، او مواقفه المختلفة ، مهما بلغت درجة وضوح خطها - من ذلك تاييد الجمهوريون لمايو طيلة ١٤ عاما الا قليلا -، بل حتي انعكس الامر في عدم نقد قيادات الجمهوريون، والتي قادت الجماعة بعد الاستاذ، والتي توقفت بالحركة والتنظيم عند حدود جد

متواضعة، علي صعيدي الفكر والممارسة العامة، مما جري الحديث عنه
في بوست مجاور - **الجمهوريون : الفكرة والمجتمع** -.

اضافة الي كل ذلك، فان إعمال الفكر الحر، ينبغي ان يخلق مفكرين
احرار، يفكرون بانفسهم لانفسهم، ويتساوون في الاجتهاد والمقام،
ويحترمون أنفسهم فيما بينهم في إطار التجربة والخطأ، ومبلغ علمي ان
الاستاذ بعد اربعين عام من النشاط، لم ينشئ من بين تنظيمه مثل هذا
المفكر الحر، بقدر ما خرج تلاميذ مؤمنين بالفكرة، ومكررين لها،
ومدافعين عنها، الامر الذي جعله يقول ان قيادات الجمهوريين ارقام.
اما من فكر لنفسه بنفسه، فاما ابعد عن إطار الجماعة، او ابتعد بنفسه
عنها، وهذا ما يوضح لك اي الجانبين كان أقوى في حركة الجمهوريين:
العلم اللدني والايمان، ام اتباع العقل والفكر الحر.

فاحترام العقل يا قصي، وإعمال الفكر الحر، ليست اقوالاً مبتسرة، تاتي
ضمن منهج غيبي متكامل، وانما هي منهج مختلف، يقوم على الفردية
والتساؤل والنقد والمراجعة المستمرة، وقد مثله في الثقافة العربية
الإسلامية مثلا إخوان الصفا، ومثله في الادب ابو العلاء المعري، ومثله
في الفلسفة الحديثة افكار اوغست كومت.. إن إيراد جمل عن إعلاء
العقل وإعمال الفكر الحر، في تنظيم يؤمن بالعلم اللدني لقائده، انما
يعني مباشرة، أن المعني بهذا الكلام من احترام العقل وإعمال الفكر
الحر انما هو صاحبها، اما الاتباع فلا حظ لهم من ذلك، بدليل الممارسة.

عن نيتشه وبرجسون وكيركغارد:

اما عن نيتشه، فصحيح ما قلته عنه، وانا هنا اوردت برجسون وكيركغارد،
باعتبارهما من المدافعين عن المعرفة الحدسية الداخلية، وهما في
طرحهما قريبين من اطروحات التصوف الشرقي، وان كان في قالب
فلسفي، وليس ديني واضح، وان لا تنفي تأثير الدين عليهما.

اما الاشارة الي نيتشه، رغم انه من المتشككين، بل الداعين الي اعلان "موت الاله" ، فينتج من انه دعا الي نظرية الانسان الكامل، او السوبرمان، حيث اراد ان يحل الانسان محل الله، ولكنه في ذلك لم يعتقد بان هذا الإحلال قابل له كل الجنس البشري ، اي مطلق انسان، بل اناس مختارون، لهم ارادة الفكر والفعل ، وهو في هذا قريب من شوبنهاور، والذي دعا الي ارادة القوة ، وقد زعم البعض ان في افكار الرجلين بذور النازية ، وهذا غير صحيح عندي، حيث ان النازية قد ابتذلت اعمالهما، وفسرتها وفق ايدلوجيتها المريضة ، وازافت اليها طابعا عنفيا لم يطرحاه، وفهمت معني ارادة القوة وفق مقامها المنخفض ، ولكن هذا مقام حوار اخر، قد تتوفر له ذات يوم.

في النهاية لا اري اننا نختلف كثيرا في مجال تثبيت الحقائق، وان كنا نختلف في الاستنتاجات، والاختلاف خير، وانا اقول لك ان من وحي الحوار معك، قد استفدت كثيرا، وبهذا فان المقال اعلاه سيأخذ صيغة جديدة عند كتابته مرة اخري، اعتمادا على زخم هذا الحوار، وما يليه.

٢٤ يناير ٢٠٠٤

بين امانتي وتزوير الجمهوريين

تعليق على زعم تشويهي وبتري لأقوال محمود الذي جاء من بعض
صغار الجمهوريين

مقدمة :

بعد أن كتبت الحلقة الأولى من سلسلة بوستات " المرايا المكبرة: صورة محمود محمد طه عن نفسه وصورة الجمهوريين عنه"، أنبري لي بعض صغار الجمهوريين متهمين أنني شوهت وبترت حديث محمود طه في الحوار الذي أجراه معه صالح بانقا، حيث أوردت جملة كاملة يزعم فيها محمود أنه نبي، ويقول إنه يرجو أن يكون محقا في ذلك، وقالوا أنني لم ات بكل الإجابة، ولذلك شوهتها وبترتها .
والحقيقة أنه لم يكن هناك بتر ولا شيء، فقد اتيت بفقرة كاملة اتت مفصولة عما سبقها في تصفيف ونشر موقع الفكرة الجمهورية لها، كما موضح في الصورة المرفقة، لكن شاء حظ هؤلاء الجمهوريين الصغار العاثر أن ما لم أت به هو هرطقة وجنون أكبر مما اتيت به من حديث محمود الواضح. الان اقوم بنشر السؤالين الأولين في الحوار المعني مع الاجابات كاملة مع تحليلها، حتى يعرف الناس بشكل أفضل ماذا يقول محمود، وهل تجنينا عليه أم أن هؤلاء الجمهوريين هم من يمارسون الإنكار والتزوير.

السؤال الاول :

في السؤال الأول يبادر السيد بانقا محمودا بهذا التساؤل :

(س): يعتقد العم خاطر أنه نبي ورسول ، وأن الآيات القرآنية لا تؤكد عدم وجود الأنبياء بعد محمد كما أنه يعتقد أنك نبي ، وفي كلا الاعتقادين لدينا شك وشكوك.'^١
والعم خاطر هو السيد ابو بكر خاطر من أهل رفاعة كان يعتقد في نفسه وفي محمود محمد طه وفي الملك فاروق أنهم أنبياء .
ماذا كانت إجابة محمود؟! سنقوم بإيراد إجاباته بالتسلسل ضمن اقواس ثم نعلق على كل جملة أو فقرة .

قال محمود :

(ج): لا نبي بعد محمد من لسن بعثه إلى قيام الساعة.^٢

هذا يتسق مع الفقه التقليدي وهذا ما أتى به صغار المذورين الجمهوريين لينفوا قوله إنه يزعم أنه نبي. طيب نواصل مع محمود.
قال محمود بعدها :

ليس في هذا إشكال ولا خلاف لأن النص في القرآن صريح ولكن الإشكال في أمر الساعة، وذلك بأن الساعة ساعتان: ساعة يبدأ بها "يوم الله في الأرض" وساعة يبدأ بها "يوم الله في السماء".^٣

هنا تبدأ المراواعات، فبعد أن قال محمود انه لا نبي بعد محمد من لدن بعثته إلى قيام الساعة، زعم أن هناك ساعتان، وأن كان لم يحدد مصدره لذلك وادعاؤه أن هناك يوم لله في الأرض ويوم له في السماء. والواضح أن هذه الفقرة تنسف سابقتها نفسا، إذ وفقاً لها فإن محمدا خاتم الانبياء

^١ حوار الأستاذ بانقا مع الأستاذ محمود محمد طه - نشر بموقع الفكرة الجمهورية -

https://www.alfikra.org/interview_page_view_a.php?talk_id=٦&page_id=١

^٢ المرجع السابق

^٣ المرجع السابق

حتى قيام الساعة، ولكن فقط حتى قيام الساعة الاولى، اي ساعة الله في الأرض كما سنرى في الفقرة اللاحقة.

يقول محمود لاحقاً:

(أما يوم الله في الأرض فنلك حين تبلغ الإنسانية الكمال وهي في إطارها الأرضي من اللحم والدم فتملأ الأرض عدلاً وحرية ومحبة بين الناس. وقد أرسل الله جميع الرسل من لدن آدم والي محمد ليعدوا حياة الأحياء لهذا اليوم العظيم، بتعليم الناس الأخلاق التي تستقيم مع معاني العدل والحرية والمحبة)¹

مرة أخرى لا يوضح محمود من اين له هذه التخريجات وما هو مصدره أن هناك يوم لله في الأرض هو الساعة الاولى. النظرية فقط قطع راس من ذهنه وما علينا الا التصديق والتقبل. كما نلاحظ التهويل أن كل الرسل قد أرسلوا كممهدين ومعدنين لتلك الساعة الاولى .

ويواصل محمود :

(وحين قال الصادق الأمين "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" إنما أشار إلى هذا الإعداد الخاص الذي اشترك فيه جميع الرسل وحين قال "كيف أتم إذا نزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً" إنما أشار إلى هذا اليوم "يوم الله في الأرض" واليه الإشارة أيضاً في القرآن الكريم حين قال عن لسان المصطفين فيه "وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين" تلك (جنة الله في الأرض) في "يوم الله في الأرض"²

هنا ايضاً يفسر محمود على هواه، مثل قوله تلك جنة الله في الأرض ويوم الله في الأرض، هكذا اعتباطاً دون الالتزام بالتفسير القديمة أو أسباب النزول أو قواعد اللغة. وهذه صفة في كل اقوال وكتابات محمود، انه يفسر على مزاجه أي شيء يريد دون أي مرجعية. كيف لا وهو كما سيتضح لاحقاً نبي ورسول وانسان كامل الخ.

¹ المرجع السابق

² المرجع السابق

ويواصل محمود :

(فإذا ابتدأ هذا اليوم فقد ابتدأت الساعة التي بها نهاية توقيت ختم النبوة بمحمد وجاء وقت المبعوث الذي بشر به محمد والرسل من قبله وهو عيسى ومع عيسى يبعث جميع الأنبياء والصدّيقين والأولياء كأصحاب له)¹

هنا نصل لبیت القصيد من نظرية الساعة الاولى والساعة الثانية. فعند الوصول للساعة الاولى يصل المبعوث أو النبي المرتقب اي عيسى (المحمدي كما سيتضح لاحقا). هذا النبي لم يبشر به محمد وكل الرسل من قبله فحسب، حسب زعم محمود، وانما هو يعلو عليهم، حيث يكونون أصحابا له، ومعهم كمان الصديقين والاولياء. يعني هو يأتي على رأس الانبياء والاولياء والصدّيقين .

ولكيلا يكون الكلام غير واضح أن القادم نبي وليس مجرد مصلح أو مجدد أو مهدي، يقول محمود:

(في هذا اليوم يصح أن تكون هناك نبوة لا يعني وحي محسوس يجيء به الملك كما كان الشأن بين محمد وجبريل، فإن ذلك قد إنقطع باستقرار القرآن بالأرض، ولكن بمعنى إلقاء رحاني علي قلوب عباد تطهرت من شوائب الشرك)²

وهذا ما قاله محمود لاحقا في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب "الرسالة الثانية من الإسلام"، أن رسول الرسالة الثانية هو رجل أتاه الله الفهم عن القرآن واذن له بالكلام. وبما أنه شرع مباشرة في تفصيل تلك الرسالة الثانية فيجب ألا يكون هناك شك فيمن هو هذا الرجل .

ويواصل محمود في وصف ذلك اليوم وتلك الساعة الاولى وظهور النبي الجديد :

¹ المرجع السابق

² المرجع السابق

ولهذا اليوم علامات لا تعرف إلا بأنوار البصائر فمن كانت له بصيرة يبصر ويعرف أن الوقت قد حان. ومن كان لا يرى إلا بعيني رأسه كما ترى الدواب لا يبصر شيئاً ويظن أن الوقت هو الوقت منذ الأزل، لأن الشمس ما زالت تشرق من المشرق وتقرب في المغرب كما فعلت دائماً^١

طبعا هنا ايضا ليست هناك اي مرجعية، وانما قول مرسل ساي، عليك أن تقتنع به وإلا كنت ترى كما ترى الدواب وكنت جاهلا وأحمقا، كما سيقول محمود لاحقا عنم خرجوا عن دعوته أو لم يقتنعوا بها .

وحتى لا يظن أحد إن هذا التنظير يتعلق بمستقبل بعيد، فإن محمود يقول لنا إن هذا اليوم قد اتانا واطلنا. وذلك في جملته اللاحقة :

(لأن هذا اليوم قد أظلنا الآن والناس عنه في عماية عمياء. وقد مد لهم في علماتهم عنه إلتباس صورته في أذهانهم باليوم الآخر الذي أسميته أعلاه بيوم الله في السماء، فأن ذلك لا يجيء إلا حين تنتصر الحياة على الموت بتجربته واجتيازه، وهو امتداد ليوم الله في الأرض وليس مغايرا له .والي ذلك الإشارة بقوله تعالى: "من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)^٢

اليوم وصل وهو قد اظلنا. يا بشرانا .محمود لم يقل في الإجابة أن هذا اليوم سيظلنا " في المستقبل " بل قال إنه اظلنا خلاص. يعني نحن عايشين تحت هذا اليوم. لكن للأسف كل الناس عنه في عماية - إلا محمود طبعا ومن سيتبعه من طائفته-. وما هو الدليل على كل ذلك؟! الدليل قول محمود وآية مقتطعة من سياقها يرميها محمود جزافا ويقول انها تشير إلى قوله. طبعا كل آيات القرآن وفقا لمحمود تشير إلى أقواله وأفكاره. ساي كذا .آيات القرآن حسب التفسير المحمودي ليست موجهة للعرب وقتها ولا للإنسانية جمعاء كي يفهمها الناس، وليست

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

مرتبطة بواقعها التاريخي وتاريخ الدعوة المحمدية أو مفاهيم الإسلام العقدية، وانما كانت مخفية المعاني تنتظر محموداً ليشرحها لنا بطريقته العشوائية، فإذا لم نقبل كنا من العمايا أو كنا ننظر كما تنظر الدواب . بعد هذا ينتقل محمود للفقرة الأخيرة الحاسمة، وهي التي اتيت بها في بوستي السابق، والتي يزعم فيها محمود أنه هذا النبي الذي اطلنا وقته وساعته:

(أما الجزء الأخير من السؤال فانه الإجابة من الناحية الموضوعية وهي المهمة قد سلفت أعلاه. ومن الناحية الشخصية "فإني أزعم لنفسي ذلك وأرجو أن أكون محقاً")^١.

ما هو الجزء الاخير من السؤال الاول؟! هو هذه الجزئية (كما أنه يعتقد أنك نبي)، وهنا يقول محمود أنه رد الرد الموضوعي أن هناك نبوة قادمة بشر بها الانبياء واتت ساعتها واطلنا، أما من الناحية الشخصية (اي السؤال عنه وهل هو نبي) فهو يقول: اني أزعم لنفسي ذلك وارجو أن اكون محقاً.

بهذا اكتمل السؤال الاول وإجابته .وفي الحقيقة أن الجزء الموضوعي الذي زعمه محمود من إجابته ليس موضوعياً بأي حال، وانما هي خطرقات ذاتية يزعم فيها وصول زمن نبي جديد متقدم على كل الانبياء، الذين كانوا مجرد بشائر له، وفي نصوص لاحقة سيوصف جميع الأنبياء بأنهم كانوا رواد له. وقد قلت لصغار الجمهوريين ان الفقرة التي وصفتها بأنها طويلة ومعقدة هي أخطر من قول محمود اللاحق حيث يزعم لنفسه انه نبي ويرجو ذلك، في انها تقول إنه سيد الانبياء، ولكنهم كانوا مثل الشاه التي تبحث عن حثفها بظلفها.

^١ المرجع السابق

السؤال الثاني:

ولكيلا يكون هناك شك في صحة قراءتنا، ننتقل للسؤال الثاني والذي قال فيه بانقا :

(س): حتى هذه الآونة لم تحل البراهين البالغة علي نزول المسيح عيسي بن مريم حسب ما لدينا من نصوص الفقه والحديث ، وقد تطرق أن سمعنا أن هناك دعوة مثل هذا الحديث العيسوي تقومون بها. فماذا تقرر وماذا تقول؟؟^١

يرد محمود بالتالي :

(ج): إن القرآن من أوله إلى آخره في معانيه التي لا تدركها إلا أنوار البصائر بشاره بمجيء عيسى ، جهل المسلمون معاني القرآن المكنونة، فكيف يجهلون الأقوال الصريحة في البخاري وغيره المأثورة عن الصادق المصدوق وقد أوردت لك منها حديثا في ج ١ واليك غيره " لو بقي من الدنيا قدر يوم واحد لمد الله فيه حتى يبعث رجلا من بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا."^٢

مرة أخرى يتهم محمود كل المسلمين بالجهل، وهو ما سيطوره لاحقا في وصفهم بالجاهلية الثانية، وأنهم ليسو على شيء. ومرة أخرى يُحال إثبات اقوال محمود للبصائر، فإذا أنت لم تبصر ببصيرتك فأنت من العماة أو تنظر كالذباب. متنهي. أما الحديث الذي اتي به محمود في الإجابة اعلاه فهو لا يتحدث عن أي نبي وانما عن مصلح أو مهدي الخ، ولكن هل نستطيع نحن معشر الذواب والعماة أن نغالط محمودا الذي اتاه الله الفهم عنه في القرآن، والذي يفسر القرآن على هواه، ونمنعه من تفسير الحديث على هواه؟!

ويواصل محمود :

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

(الذين يعرفون القرآن يعلمون أن محمدا ليس نبيا وإنما هو النبي وخاتم الأنبياء وأن عيسى ليس رسولا وإنما هو الرسول وخاتم الرسل)^١

هذه من قبيل الحذلقات اللفظية والأساليب الماكرة التي يتم بها خداع الناس. فكيف يكون الرسول المعرف بالالف واللام ليس رسولا؟! الشاهد أن القرآن قد وصف كل من محمد وعيسى بكلمتي "رسول" و"الرسول"، انظر الآيات التي تقول إن عيسى رسولا: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وكذلك (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) وغيرها. اما في حق محمد فهناك الكثير من الآيات من بينها (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم) أو (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) الخ اخيرا نأتي للجزء الاخير من رد محمود على السؤال الثاني، ومرة أخرى يمارس محمود بعض الحذقة ويقول:

(أما عن الجزء الأخير من السؤال فإنه قد ألقى إلى ذلك وتواتر الإلقاء. وإنما يحقق الله الحق ويبطل الباطل بكلماته. وليس المهم عندي من أكون، وإنما المهم عندي أن أعرف كيف أدعو الناس إلى الله دعوة يكون بها صلاح الدين والدنيا)^٢

لا يرد محمود مباشرة ويقول "أما في موضوع دعوة عيسويتي" وإنما يقول "أما عن الجزء الأخير من السؤال". طيب ما هو الجزء الأخير من السؤال يا سيد؟! هو هذا الجزء (وقد تطرق أن سمعنا أن هناك دعوة مثل هذا الحديث العيسوي تقومون بها. فماذا تقرر وماذا تقول؟؟) - إجابة محمود على هذا الجزء واضحة، أنه قد ألقى إليه ذلك، اي عيسويته، بل لقد تواتر الإلقاء. هو لم ينف أنه يقوم بدعوة من الحديث العيسوي

^١ المرجع السابق

^٢ المرجع السابق

وانما أكدها حينها وألمح إليها فيما بعد بل طلب من الجمهوريين ألا يشكوا فيه (مع شكه في نفسه) .
في الخلاصة فإن محمود في الإجابة على جزأي السؤالين المتعلقين به قد أكد ما سئل عنه، اي كلام العم خاطر أنه نبي، فرد أنه يزعم ذلك لنفسه ويرجو أنه الحق، وفي موضوع دعوته العيسوية قال إن الأمر ألقى إليه وتواتر الإلقاء، فهل بعد هذين الاجابتين شك او جدال؟ !

خاتمة :

الشاهد أنه رغم حذقات محمود محمد طه وعدم اجابته على الأسئلة ابداً بشكل مباشر، حيث يغرق الإجابة دائماً في تنظيرات طويلة تجهد السامع أو القارئ، إلا أنه في النهاية يفصح عن رأيه بشكل أو بآخر. وفي هذا فهو أشجع من أغلب الجمهوريين الذين لا يتهربون من الاجابات فقط، وانما يحاولون اليوم خداع الناس وتضليلهم عن افكار وعقائد محمود الحقيقية وعن عقيدتهم فيه .

ولنا رجعة لهذا اللقاء المفصلي وتجني محمود على العم خاطر في سعيه لتسفيه كل من يطرح مثل أفكاره، كما فعل لاحقاً مع الاستاذ محيسي.

٣٠ يوليو ٢٠٢١

